



رمضان شلح

والجهاد الإسلامي

د/ وليد علي القططي

تقديم: ثابت العمور

رمضان شلح

والجهاد الإسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الكتابة عن الرجال واستحضار سيرتهم ومسيرتهم ليس بالأمر السهل فكيف إذا كانت عن رجل بقيمة وقامة الدكتور رمضان شلح -أبو عبدالله- رحمه الله؛ وهو الاستثناء في زمن تزدهم فيه الأسماء، لم يكن الدكتور رمضان شلح مجرد اسم عابر في سيرة التاريخ الفلسطيني المعاصر؛ بل كان محطة فكرية وسياسية مفصلية واستثنائية، لم يكن الرجل مجرد قائد لتنظيم أو أمين عام لحركة مقاومة، بل كان مفكراً وأديباً وسياسياً ووطنياً ووحيداً لأبعد الحدود؛ كان مشغولاً بسؤال التحرير، وضميراً منحازاً لفكرة أن فلسطين ليست ملفاً سياسياً قابلاً للإغلاق بل قضية مفتوحة على التاريخ والجغرافيا والهوية.

جاء الدكتور رمضان شلح في زمن التيه وهجوم السلام؛ وقاد حركة الجهاد الإسلامي في مرحلة ارتبك فيها المشهد الفلسطيني بين خيار التسوية ومنطق المقاومة، فاختار أن يقف في الضفة الأكثر صلابة، حيث لا مساومة على الثوابت؛ لم يكن صوته هو الأعلى لكنه كان من أكثرها ثباتاً على الموقف وصادقاً فيه، لم يكن حضوره صاخباً لكن كان وما زال عميق الأثر. يملكك كلما التقيته ويحيطك بإجابته لكل الأسئلة مهما كانت. أعاد الدكتور رمضان شلح تعريف الفعل المقاوم كمشروع وطني استراتيجي طويل النفس مستمر، لا رد فعل آني، ولم يدع أنه وحده عماد هذا المشروع بل ربطه بسياق الأمة العربية والإسلامية متجاوزاً حدود الجغرافيا الفلسطينية.

لم يكن د/ رمضان شلح مجرد قائد أو أمين عام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، بل كان مرحلة من التاريخ الفلسطيني المعاصر، ومحطة في تاريخ الحركة الإسلامية الفلسطينية؛ كان رحمه الله حالة فكرية غير تقليدية نشأت من رحم مدرسة الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي وأكملت مشواره وأوفى بالوعد والعهد حتى ترجل.

يتفرد هذا الكتاب بأنه أول كتاب علمي أكاديمي يقع بين يدي يتناول الدكتور رمضان شلح الإنسان والمفكر والقائد والكاتب؛ ولم يكتف الكاتب د/ وليد القططي بتقديم رمضان شلح فقط؛ بل تناوله من خلال رؤيته لحركة الجهاد الإسلامي، إن القيمة الأكاديمية والتوثيقية لهذا الكتاب أنه يجمع بين بعدين فكر الدكتور رمضان شلح الإنسان، وفكر ومواقف حركة الجهاد الإسلامي كما يقدمها ويراها ويرويها رمضان شلح الأمين العام.



هذا الكتاب يقاوم النسيان، ويعيد استحضار أفكار الدكتور رمضان شلح التي لم تُقرأ بما فيه الكفاية ولم تأخذ حقها في البحث رغم أهميتها وعمقها وتميزها وفرادتها، والكتاب يستعيد الرجل ويُقدم فكره عبر مختلف المحطات التي عصفت بالمشهد الفلسطيني ويضعها كما هي بين يدي القارئ. قيمة هذا الكتاب أنه يستعيد فكر الدكتور رمضان شلح ويضعه بين يدي القارئ والباحث وكل من يريد فهم مسيرة عاصفة من الجهاد والمقاومة امتدت لأكثر من ثلاثة عقود متواصلة كان الرجل خلالها حاضرا بفكره وخطابه؛ وشاهداً بقرارته ومواقفه كأمين عام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.

وبهذا المعنى، يأتي هذا الكتاب (رمضان شلح والجهاد الإسلامي) كإضافة نوعية ورافد موضوعي، ومحاولة جادة غير مسبوقة لقراءة أحد أبرز العقول التي أسهمت في تشكيل مسار المقاومة الفلسطينية في العقود الأخيرة.

"وفي الليلة الظلماء يفقد البدر"

ثابت محمد العمور
مايو- أيار- 2026

رمضان شلّح وفتحي
الشقاقي والجهاد الإسلامي
بعيون رمضان شلّح



الباب
الأول

الفصل الأول : رمضان شلّح كما عرف نفسه

المبحث الأول: من هو رمضان شلّح؟

أولاً: رمضان شلّح فلسطيني من غزة:

"أنا رمضان عبد الله شلّح، فلسطيني من أسرة فلسطينية، من حي الشجاعية بمدينة غزة، درست الاقتصاد في مصر وبريطانيا، حيث حصلت على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد الإسلامي والبنوك الإسلامية من جامعة (دورهام) بإنجلترا عام 1990م، وعملت في الولايات المتحدة استاذاً جامعياً ومديراً لمركز أبحاث في ولاية (فلوريدا)، رافقت الشهيد فتحي الشقاقي منذ عام 1977، وبقيت إلى جانبه في قيادة الحركة حتى لحظة وداعه الأخيرة".¹

ثانياً: رمضان شلّح.. المسار الأكاديمي

"دراستي الجامعية الأولى كانت في مصر، حيث درست الاقتصاد في جامعة الزقازيق، وعملت مُحاضراً في الجامعة الإسلامية بغزة حتى عام 1986م، ثم خرجت لإكمال دراستي العليا في بريطانيا من جامعة (دورهام) عام 1995م، بعدها انتقلت إلى أمريكا حتى عملت زميلاً ثم مديراً لمركز دراسات الإسلام والعالم، وكذلك استاذاً جامعياً في قسم الدراسات الدولية في جامعة جنوب (فلوريدا)، تركت الولايات المتحدة صيف 1995م، بغية العودة إلى فلسطين لكن شاعت الأقذار أن تسوقني إلى الوضع الذي أنا فيه الآن بعد استشهاد الأخ القائد أبو إبراهيم".²

ثالثاً: رمضان شلّح .. المسار الحركي:

"أنا في الأساس مدرس جامعي وأكاديمي موجود في حركة الجهاد منذ أن كانت فكرة ونبته صغيرة قبل ما يقرب من عقدين من الزمان، عندما شكّل الشهيد أبو إبراهيم تنظيمًا إسلامياً مستقلاً في مصر مع إخوة آخرين، كنت أنا أول شخص عام 1979م يُبايع أبو إبراهيم من شباب جامعة الزقازيق... وقد صاحبت الشهيد القائد لفترة طويلة، وحين فصلتني عنه الجغرافيا كنت أقرب ما يكون إليه، فلم يعد سراً أنني كنت على اتصال دائم للتشاور في أمور الحركة وتنفيذ التكاليف التي يطلبها مني لاسيما فيما يتعلق بالداخل".³

1- جريدة الرأي الأردنية، كانون الأول 1995م

2- مجلة البلاد 19-12-1995م

3- صحيفة المجد، 27-1-1997م

رابعاً: رمضان شلّح.. الدافع الوطني والحماسة الدينية هما البداية

"انتمائي إلى أسرة محافظة، ووالدي - رحمه الله- كان مُتدينًا، وهو الذي حال دون انخراطي في التنظيمات الفلسطينية وبالذات اليسارية منها، لأنّ راديكاليّتها كانت تستهوني لكن موقفها من الدين كان يمنعني من الانخراط فيها، أمّا عن عدم التحاقني بالإخوان كتنظيم إسلامي فكان سببه المناخ المعادي لهم وللإسلاميين في فترة عبد الناصر، وكانت هناك صورة سلبية للإخوان في الشارع، لدرجة كان عضو الإخوان يُقال عنه (الإخوانجي) كأنها تُهمة أو سُبة ولدت لدى الكثير من الناس النفور منهم ... في الحقيقة الدافع الوطني كان موجوداً والحماسة الدينية كانت هي الغالبة في علاقتي بالشقاقي عندما تعرّفت عليه في البداية".⁴

هكذا عرّف رمضان شلّح نفسه، وإضافة إلى ذلك استناداً إلى مصادر أخرى، فقد ولد شلّح في الأول من يناير - كانون الثاني لعام 1958م، لأسرة محافظة من حي الشجاعية بمدينة غزة جنوب فلسطين كان هو أكبر أبنائها الذكور، والتزم منذ صغره بالصلاة والصوم والآداب والأخلاق الإسلامية طوال مراحل دراسته، إلى أن أُضيف إليه البعد السياسي والوطني في المراحل الأخيرة من المرحلة الثانوية التي كتب فيها الشعر الوطني بحماسة، وبهذه الخلفية الدينية والوطنية توجه إلى مصر عام 1977م لإكمال دراسته الجامعية في جامعة الزقازيق، حيث التقى فتحي الشقاقي الذي سبقه بعامين لدراسة الطب في نفس الجامعة، وكانت من هذه الدراسة في جامعتي الزقازيق والشقاقي نقطة تحول في حياته ومسيرته.

⁴ - صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة، 10-1-2003م

المبحث الثاني: تأثير فتحي الشقاقي على رمضان شلّح

أولاً: فتحي الشقاقي.. الجامعة:

"التقيت بالأخ أبو إبراهيم عام 1977م عندما كنا طلاباً في جامعة الزقازيق بمصر، كان هو يدرس الطب، وكنت أنا أدرس الاقتصاد، وقد اخترت هذا التخصص بتشجيع منه - رحمه الله - على الصعيد الشخصي كنت اعتبر معرفتي بالدكتور ميلاداً جديداً بالنسبة لي، لقد كان بفكره وإسلامه وأخلاقه هو المدرسة الحقيقية والجامعة الأهم التي التحقت بها في الزقازيق، أنا مدين كلياً للشهيد في تحوّلي واعتناقي الفكر الإسلامي كأيدولوجية، بل حتى في فهم هذا العالم فهماً إسلامياً متميزاً وطريق للتغيير"⁵

ثانياً: فتحي الشقاقي.. المعلم:

"النقطة حدثت على يد الدكتور فتحي الذي بدأ يحدثني عن دور الإسلام في تاريخ الأمة وصناعة لأمجادها وحضارتها، وكيف حدثت المواجهة بين الاستعمار الغربي الحديث والأمة الإسلامية حيث انتصر الغرب وأقصى الإسلام من الحياة، وأيضاً دور الإسلام في مقاومة الاحتلال في الجزائر، الشيخ عبد الحميد بن باديس في الجزائر، وعمر المختار في ليبيا، والسنوسي في تونس، وعز الدين القسام في فلسطين، والمهدي في السودان، والكواكبي والأفغاني ... وصولاً إلى الحركة الإسلامية المعاصرة... ونشوء دولة الاستقلال في الوطن العربي والإسلامي على أسس علمانية، ثم موقف الحركة الإسلامية من ذلك، وهنا بدأت اتعرف على كتابات المودودي وسيد قطب والشيخ الغزالي والشيخ القرضاوي وآخرين حتى بدأت أدرك أنّ هناك عالماً آخر، أو رؤية أخرى إلى العالم غير التي تعلمناها في المدارس أو في بيوتنا"⁶

ثالثاً: فتحي الشقاقي.. الحل الإسلامي:

"كنا مجموعة من الطلاب نلتف حول الشقاقي عندما اندلعت الثورة الإسلامية في إيران في فبراير - شباط 1979م، طلبنا منه أن يشرح لنا خلفية أبعاد حركة الإمام الخميني وأهدافها.. في البداية قرر أن يكتب دراسة في حدود عشر صفحات حتى يقرأها الجميع ولكن الفكرة تطورت إلى كتيب يطبع ويوزع في الأسواق.. فألف ذلك الكتيب الذي كتبت مسودته بخط يدي قبل أن يُرسل إلى المطبعة، وقد نزل الكتاب إلى الأسواق بعنوان (الحل الإسلامي والبديل) بعد وصول الإمام الخميني إلى طهران بأيام تقريباً في 12-2-1979م.⁷

⁵ -مجلة البلاد، 19-12-1995م

⁶ - صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة، 10-1-2003م

⁷ - المرجع السابق

رابعاً: فتحي الشقاقي .. نقلة نوعية:

"بدأت هذه الرحلة مع الجهاد الإسلامي عام 1977م عندما سافرت للدراسة في جامعة الزقازيق بمصر، وتعرّفت هناك على الدكتور فتحي الشقاقي الذي التحق بكلية الطب في الجامعة نفسها عام 1974م، كان لقائي بالشقاقي بمثابة نقلة نوعية في حياتي بكل المقاييس .. فتح التعرف على الشقاقي آفاقاً جديدة بالنسبة لي على مستوى رؤيتي للإسلام وفهمي للإسلام وفلسطين والعالم، بل كل شيء في الحياة"⁸.

خامساً: فتحي الشقاقي .. الرمز والنموذج

"بالنسبة لي فمنذ تعرّفت على الدكتور فتحي الشقاقي والتحقّت بالحركة الإسلامية تبخّرت كثير من الرموز والمُسميات في رأسي، وبرزت شخصية عز الدين القسام كنموذج وكرمز إسلامي ثوري فلسطيني... عبد الناصر كنت أحبه جداً وأحب طريقته في الخطابة... ولكن هذه الصورة تغيرت في ذهني عندما تحوّلت إلى الإسلام الحركي ... بعد هزيمة 67 والصدمة التي أصابت كل من وعى الهزيمة برزت شخصية ياسر عرفات، واذكر أننا يوم وفاة عبد الناصر كنا نهتف "عبد الناصر لما مات حمل الراية عرفات"، ولكن عرفات للأسف لم يُحافظ على هذه الرمزية ... في الحقيقة فتحت عيني على القضية الفلسطينية وأنا صبي صغير فوعيت الشقيري، كنت مُعجباً به وتشدني خطبه الحماسية .."⁹.

⁸ - صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة، 10-1-2003م

⁹ - صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة، 10-1-2003م

المبحث الثالث: نشأة (الطلائع الإسلامية) برواية رمضان شلّح

أولاً: الفكرة قبل التنظيم

"كان اللقاء مع الشقاقي يغلب عليه الطابع الفكري، وكنا مجموعة من الطلاب من تخصصات وكليات مختلفة في جامعة الزقازيق نلتف حوله، وكنا نعقد الجلسات والحلقات القرآنية، نحفظ القرآن، وندرس التفسير خاصة (في ظلال القرآن) للشهيد سيد قطب، واستمر هذا الوضع إلى أن اندلعت الثورة الإسلامية في إيران في شباط فبراير 1979م، في تلك الفترة اذكر أننا طلبنا من الدكتور فتحي أن يشرح لنا في الجلسات خلفية أبعاد حركة الإمام الخميني وأهدافها لأننا لم نكن نلم بحقيقة ما يجري" ¹⁰.

"بعد هزيمة 67 أصيب الشقاقي بصدمة وخيبة أمل أحدثت لديه التحول عن الإسلام في رحلة البحث عن خيار بديل، وجد الإجابة في كتابات المفكرين الإسلاميين كالغزالي وسيد قطب وحسن البنا وغيرهم، ولكنه في واقع الحركة الإسلامية أخذ عليها قصورها أو تخلف موقفها من المسألة الفلسطينية من الطرح القومي الذي يعتبر فلسطين قضية مركزية، ومن الموقف العملي لرائد الحركة الإسلامية المعاصرة الشهيد حسن البنا الذي أرسل المجاهدين للقتال في فلسطين، ومن هنا حدث جدل عميق بين الشقاقي وبين حركة الإخوان المسلمين على خلفية الموقف من القضية الفلسطينية ومسألة الجهاد ضد الاحتلال" ¹¹.

ثانياً: (الطلائع الإسلامية) .. التنظيم الأول للحركة

"بعد الاعتقال الأول مباشرة للشقاقي على خلفية نشر كتاب الخميني أربعة شهور أواخر عام 1979م، أذكر أنني طرحت عليه فكرة التنظيم لأنني شعرت أنّ الرابط الذي كان يجمع الشباب حوله كان ضعيفاً، واعتقاله ولد حالة من الخوف لدى بعض الشباب وخشيت أن ينفرط هذا العقد فصارحته بذلك وقلت له لابد من وجود تنظيم وإلا فإن كل واحد سيذهب في حال سبيله والطلاب في النهاية يخشون على دراستهم ومستقبلهم، فما كان من الشقاقي إلا أن صارحني بوجود تنظيم، في البداية اعتقدت أنه يقصد (الإخوان المسلمين) .. قال هناك نواة لتنظيم جديد يتقاطع مع الإخوان... هناك إخوة مازالوا في الإخوان فقط لم يدخلوا التنظيم الجديد... وهناك إخوة في الإخوان وفي التنظيم الجديد، وهناك أخوة في التنظيم الجديد ليست لهم علاقة بالإخوان... فما كان مني إلا أن عبرت عن سعادتي وفرحتي بذلك وبايعته بيعة الجهاد، وكان ذلك في آذار مارس 1979م .. كان اسم التنظيم (الطلائع الإسلامية)، وعندما بايعت الشقاقي كان حجم التنظيم صغيراً لا يتعدى بضعة أفراد... ولم يكن في الزقازيق غير الشقاقي فكنت أنا أول من بايعه بيعة التنظيم في الزقازيق.. (الجهاد الإسلامي) جاء لاحقاً بعد عودتنا إلى فلسطين" ¹².

¹⁰ - المرجع السابق

¹¹ - صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة، 10-1-2003م

¹² - صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة، 10-1-2003م

المبحث الرابع: رمضان شلّح.. الأمين العام لـ (الجهاد الإسلامي)

أولاً: الوصول إلى قيادة (الجهاد الإسلامي)

" أنا عضو مؤسس في حركة الجهاد الإسلامي منذ نشأتها في أواخر السبعينات.. لقد كنت في أمريكا بشكل مؤقت لكن علاقتي بالحركة وبالشهيد القائد لم تنقطع، فكنت متواصلاً مع الحركة وقضاياها أولاً بأول... وعند استشهاد (أبو إبراهيم) لم أكن في أمريكا وكنت بين إخواني المرابطين على تخوم فلسطين وقد جرى اختياري أميناً عاماً للحركة بالإجماع وليس بالأغلبية من كل مؤسسات الحركة في الداخل والخارج وفق دستورها " 13.

".. أحد الإخوة بعد اسبوعين من استشهاد الدكتور الشقافي واختياري أميناً عاماً عثر ونحن نراجع أوراق الشهيد وملفاته على رسالة موجهة إلى فيها:

أنا إن سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح

واحمل سلاحك لا يخفك دمي يسيل من السلاح

وانظر إلى شفتي أطبقها على هوج الرياح

وهذه قصيدة مشهورة من قصيدة (المعركة) للشاعر معين بسيسو من أغاني الثورة الفلسطينية، كما أن الشقافي عند سفره عهد إلى بإدارة شئون الحركة أثناء غيابه" 14.

ثانياً: رمضان شلّح بعد الأمانة العامة

لدى تسلّم رمضان شلّح قيادة الحركة كانت أمامه تحديات كبيرة أهمها: حل اللّغز الأمني الذي أدى إلى اغتيال الشقافي، وترتيب البيت الداخلي للحركة، والحفاظ على وحدة الحركة التنظيمية، وملء الفراغ الكبير الذي تركه الشقافي، والتمسك بثوابت الحركة الفكرية والسياسية، ولكن التحدي السياسي الرئيسي على المستوى الوطني تجاوز مرحلة أوصلو الخطرة بالتوازي مع الحفاظ على الوحدة الوطنية واستمرار مواجهة المشروع والكيان الصهيوني... وقد شكّل اندلاع انتفاضة الأقصى عام 2000م مخرجاً للكثير من هذه التحديات... وأهمها التحدي العسكري المقاوم حيث أعاد تشكيل الجهاز العسكري السابق للحركة (القوى الإسلامية المجاهدة) المعروفة اختصاراً بـ (قسم) باسم جديد هو (سرايا القدس).

وتأكيداً لما سبق وبعد أربع سنوات من تسلّمه الأمانة العامة للحركة قال شلّح: "لقد حاولنا خلال أربع سنوات الحفاظ على خط الجهاد الإسلامي ناصعاً ونظيفاً كما رسمه الشهيد الشقافي ورواه بدمه، ولقد سعينا لذلك من خلال التأكيد على تميز موقفنا السياسي الذي رفض المساومة على أي جزء من حقوقنا ودماننا،

13 - جريدة الرأي الأردنية، كانون الأول 1995

14 - جريدة الحياة، 27-11-1995م

ومن خلال العمل الجهادي ضد الاحتلال الصهيوني، برغم كل التحديات والمعوقات التي تواجهنا وتواجه كل الشرفاء والسالكين لخط المقاومة فقد استطاعت الحركة والله الحمد أن تصمد وأن تواصل المسير على هذا الطريق¹⁵.

ثالثاً: رمضان شلّح .. الأمين العام المقاوم والاستشهادي

يتحدث رمضان شلّح عن ضريبة الانتماء للحركة ومن ثم قيادتها قائلاً: "الحياة في ظل المطاردة أو الملاحقة الإسرائيلية لنا هذا شيء ألفناه، ونحن منذ سلكنا هذا الطريق نعرف أنّ له تكلفة، وأنّ له ثمن، ونحن والحمد لله جاهزون لأن ندفع هذا الثمن، حياتي ليست أغلى ولا أعز من حياة أي إنسان فلسطيني مُستهدف من إسرائيل على الأرض الفلسطينية، ونأخذ بعض الإجراءات وبعض الاحتياطات... ولكن في النهاية النتائج على الله - سبحانه وتعالى - ونحن نرضى بما يكتبه الله لنا في هذا الأمر"¹⁶.

"منذ سلكتُ طريق الجهاد إلى اليوم على إيمانٍ راسخٍ وقناعةٍ بهذا الخط، بل هو بالنسبة لنا التزام ديني ووطني وإنساني، لأننا لا يمكن أن نقبل بالعبودية والاستسلام لقوى الشر والعدوان.. بالنسبة لي شخصياً فأنا أؤدي ضريبة الانتماء لديني وأمتي ووطني، فأنا أكون مسلماً بحق أو عربياً بحق أو فلسطينياً بحق، فيجب أن أكون مقاوماً، هذا هو إيماني وهذه هي قناعاتي؛ لأنّ مقاومتي للظلم والعدوان هو مصدر إحساسي بأنني إنسان كرمه الله - عز وجل- بإنسانية وليس مجرد كائن بيولوجي يُمارس وظائفه البيولوجية كسائر من يدب على هذه الأرض"¹⁷.

¹⁵ - نداء القدس 1999م

¹⁶ - قناة الميادين، برنامج بالعربي، 17-7-2005م

¹⁷ - جريدة الأهرام المصرية، 2007م

مصادر الفصل الأول

- 1- جريدة الرأي الأردنية، كانون الأول 1995م
- 2- مجلة البلاد، 19-12-1995م
- 3- صحيفة المجد، 27-1-1991م
- 4- صحيفة الحياة اللندنية؛ الحلقة الرابعة، 10-1-2003م
- 5- مجلة البلاد، 19-12-1995م
- 6- صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة، 10-1-2003.
- 7- صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة، 10-1-2003م
- 8- صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة، 10-1-2003م
- 9- صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة، 10-1-2003م
- 10- صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة، 10-1-2003م
- 11- صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة، 10-1-2003م
- 12- صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة، 10-1-2003م
- 13- جريدة الرأي الأردنية، كانون الأول 1995م
- 14- جريدة الحياة، 27-11-1995م
- 15- نداء القدس، 1999م
- 16- قناة الميادين، برنامج بالعربي 17-7-2005م
- 17- جريدة الأهرام المصرية، 2007م

الفصل الثاني : فتحي الشقاقي بعيون رمضان شلح

المبحث الأول: فتحي الشقاقي يُشخص مشكلتي الحركتين الإسلامية والوطنية

أولاً: رؤية الشقاقي مُتجاوزة لواقع الإخوان المسلمين

" الشقاقي كان عضواً في (الإخوان المسلمين) الفلسطينية، فهو ينتمي إلى الحركة الإسلامية وفكرها الإسلامي الحركي، لكن الشقاقي كان يحمل رؤية متجاوزة لواقع الإخوان المسلمين في كثير من القضايا، أهمها الموقف من القضية الفلسطينية، لأنَّ الإخوان في فلسطين كانوا يقولون إنَّ فلسطين قضية إسلامية مثلها مثل سائر القضايا التي تهم المسلمين، لكن الشقاقي كان يقول إنَّ القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للحركة الإسلامية، بل للأمة الإسلامية، كما يقول المشروع القومي الذي اعتبر القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للأمة العربية" ¹⁸ .

ثانياً: مشكلة الشقاقي مع الحركة الإسلامية التقليدية

"في الحركة الإسلامية كانت مشكلة الشقاقي في وعيه المتقدم جداً، كما قال أحد المفكرين الكبار يوماً: عندما يأتي شكلاً من أشكال الوعي قبل زمنه يكون مأساوياً، لم تكن فلسطين حاضرة في التكوين الوجداني لأبناء الحركة الإسلامية، ولا في الدروس الباردة التي تستخف بفلسطين الجغرافيا استخفافاً على التاريخ، بل إنَّ الأرض بما هي أرض لم تكن مسموحاً أو مقبولاً مجرد الكلام فيها، أشعل الشقاقي الحوار في جدل الديني والوطني داخل الحركة الإسلامية. اتقن الشقاقي فن اختيار المُسلّمات في الوسط الإسلامي التقليدي، لأنه اتقن فن مُساءلة التاريخ وتفكيك رواياته السائدة ليعيد تشكيل الوعي الإسلامي في فضاء تكوين فلسطين بويرته المركزية... أدرك الشقاقي بإيمانه المؤسس على المعرفة، ووعيه المرتبط بالواقع حاجة المرحلة إلى المشروع الذي يُعيد اكتشاف إسلامية الفلسطيني وفلسطينية الإسلامي، بما يفيد اكتشاف فلسطين من جديد، وأدرك أن تجاوز الهزيمة لا يتم في الفراغ، بل في دائرة الفعل، فأبدع حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين" ¹⁹ .

ثالثاً: رأي الشقاقي في أزمة (الإخوان المسلمين)

" كان فتحي الشقاقي عضواً في حركة الإخوان المسلمين التي كانت تُعاني آنذاك من أزمة حقيقية من وجهة نظر الشقاقي، انعكست بشكل أساسي في إهمال المسألة الوطنية وطرح أولويات بديلة، وكذلك الهروب من الهموم الحقيقية والتحديات الجوهرية التي تُواجهها الأمة، إلى القضايا الهامشية والشكلية والجزئية،

¹⁸ - صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة، 10-1-1993م

¹⁹ - جريدة الاستقلال، غزة، 28-10-1999م

كان الشقاقي يُركز على مسألة غياب المنهج في تناول وفهم الإسلام والواقع والعالم، الأمر الذي أحدث خللاً في سُلّم أولويات الحركة الإسلامية، وأوقعها في مأزق التعارض الوهمي بين العروبة والإسلام، أو بين الوطنية والإسلام، فبدت الحركة الإسلامية كأنها لا تملك إجابة للمسألة الفلسطينية التي بقيت تتراوح لدى الإسلاميين بين الإهمال والتأجيل²⁰.

رابعاً: رأي الشقاقي في أزمة الحركة الوطنية الفلسطينية

" رأى الشقاقي أنَّ معظم القوى الوطنية الفلسطينية المنضوية تحت إطار منظمة التحرير الفلسطينية تستبعد الإسلام كثقافة وهوية وأيديولوجية عن إدارة الصراع فغيبته عن برامجها النضالية وحياتها اليومية... حركة الجهاد الإسلامي حلت إشكالية الدين والوطن، فجاءت إجابة إسلامية ثورية عن السؤال الفلسطيني، وإجابة وطنية فلسطينية عن السؤال الإسلامي"²¹.

خامساً: مأزق الحركتين- الإسلامية والوطنية- برؤية الشقاقي وقلم شلح

" كانت المعادلة واضحة في ذهنه (فتحي الشقاقي)، إسلام بلا فلسطين، وفلسطين بلا إسلام، يعني فقدان البوصلة والدوران في حلقة مُفرغة لا تنتج إلا مزيداً من الضعف والعجز والهوان، وهذه المعادلة هي مفتاح فهم أفكار الشهيد وما حاول أن يبدعه من مفاهيم ومسالك جديدة في العمل الإسلامي والعمل الوطني الفلسطيني، إنَّ تلاقح فكرة الإسلام دين التحرر من كل عبودية، والثورة على كل ظلم، مع فلسطين المُغتصبة، لا بد أن يرفد مفهوم الجهاد في المعادلة بمزج عناصرها الثلاثة: الإسلام والجهاد وفلسطين، كلمة السر المكوّنة لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين"²².

²⁰ - مجلة نداء القدس 1999م

²¹ - المرجع السابق

²² - موسوعة الأعمال الكاملة للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي، المجلد الأول، 1997م

المبحث الثاني: فتحي الشقاقي يُدشن مشروع الجهاد والمقاومة في فلسطين

أولاً: مركزية فلسطين في فكر الشقاقي

" لم يكن فتحي الشقاقي مجرد أمين عام لتنظيم فلسطيني مقاوم للاحتلال الصهيوني، بل كان بذرة الوعي والثورة في حقل النهوض الإسلامي الكبير، وكان الشقاقي يدرك أن الأمة تعيش أزمة حضارية شاملة في مواجهة الهجمة الغربية الشرسة، لكنه كان يرى أن فلسطين هي مركز الهجمة وعنوانها الرئيسي.. حين أغمد المناضلون القدامى سيوفهم وامتشقوا ألام التواقيع على صكوك الاستسلام، كان الشهيد الشقاقي يمتطي صهوة جواده ويُعلن مجدداً أن الطريق إلى فلسطين تمر عبر فوهة البندقية.. لقد قرر الشقاقي أن يضع حداً لمهزلة الموت على مزاج الأوصياء باختيار الشهادة على طريق الأنبياء" ²³.

ثانياً: فتحي الشقاقي مُفجّر الثورة الإسلامية في فلسطين

" إن الشقاقي هو الرصاصة الإسلامية الأولى في فلسطين في ربع القرن الأخير، إن فتحي الشقاقي كان الشرارة بل الصاعق الذي فجر الحركة الإسلامية في فلسطين، وأخرجها من سباتها ونومها إلى وهج الجهاد والاستشهاد، هذه حقيقة يجب ألا تُنسى، ومن حق الشقاقي أن نُسجلها له في صفحات تاريخ شعبنا ونضاله" ²⁴.

" الشهيد الشقاقي هو الذي دشن مشروع الجهاد والمقاومة تحت راية الإسلام في الحركة الوطنية الفلسطينية في مرحلتها وطورها المعاصر من خلال تأسيسه لحركة الجهاد الإسلامي.. والحديث عن الكفاح المسلح لا يعني هذا اختزال الشقاقي ومشروعه في بندقية، بل إننا بذلك نضع أصبعنا على الجرح، جرح الأمة الغائر في فلسطين التي كانت قبل الشقاقي غائبة كقضية جهادية عن برنامج الحركة الإسلامية" ²⁵.

ثالثاً: فكرة (الثورة الإسلامية في فلسطين) هي جوهر مشروع الشقاقي

" قبل الشقاقي لم تكن أطروحات مركزية القضية الفلسطينية، والثورة الإسلامية في فلسطين، والجهاد المسلح من أجل تحرير فلسطين... من المصطلحات الأليفة على عقل وقلب الحركة الإسلامية في فلسطين... واليوم بعد أن علّق الشقاقي وإخوانه الجرس وأشعلوا الشرارة، ولحق بهم آخرون فهذا دليل على عظمة وأصالة مشروع الشقاقي.. إنَّ الفكرة التي حملها الشقاقي وبشّر بها لم تكن لتمت بغيابه، ولم تكن لتحتضر في الحركة التي أسسها الشهيد.. لقد غدت فكرة الشقاقي ومشروعه عنصراً ثابتاً في ضمير الأمة" ²⁶.

²³ - المرجع السابق

²⁴ - كلمة غير منشورة للدكتور رمضان شلح، في الذكرى الخامسة لاستشهاد الشقاقي 2000م

²⁵ - مجلة ياران الإيرانية، 2007م

²⁶ - كلمة غير منشورة للدكتور رمضان شلح، في الذكرى العاشرة لاستشهاد الشقاقي 2005م

المبحث الثالث: فتحي الشقاقي.. الإنسان والقائد والمفكر

أولاً: فتحي الشقاقي الإنسان:

1- فتحي الشقاقي.. التعبير عن قضية الإنسان

" فتحي الشقاقي كان التعبير الحقيقي عن قضية الإنسان بكل أبعاده، الإنسان الذي يرفض أن يكون ضحية فيصارع الجلاذ، الإنسان الذي يرفض أن يكون ذليلاً فيختار أن يكون ثائراً، الإنسان الذي يرفض أن يكون عبداً للطغاة والجبابرة فيختار أن يكون شهيداً... " ²⁷ .

" كان الشقاقي أصلب من الفولاذ، وأمضى من السيف، وأرق من النسمة، كان بسيطاً إلى حد الذهول، مُركباً إلى حد المعجزة، كان ممتلئاً إيماناً ووعياً وعشقاً وثورة... كان الإيمان العميق والصبر الجميل هما زاده في مواجهة سيل الأعداء.. فيستعذب العذاب، ويقبل التحدي والمنافسة، يُحسن النية وصدق الكلمة وقداسة المسؤولية وشجاعة الموقف وعلو الهمة.. شعاره: قليل من العناد والصبر ينفلق الصخر، الذي ينتظرنا ليس هو الموت، إنَّه الحياة أو النصر " ²⁸ .

2- فتحي الشقاقي.. التجسيد الفعلي للإنسان الحسيني الثائر

" لأن فكرة الثورة هي جوهر مشروع الشقاقي الإنسان والثائر والشهيد لا يقتصر على فلسطين، فستظل روح الشقاقي ورايته تنبعث من كل جبل وفي كل عصر وفي كل أرض ينشب فيها صراع بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، تماماً كما هو الحسين بن علي _رضوان الله عليهما_ الذي سكنت روحه وهمته قلب الشقاقي ووعيه وفكره، فكان قدره أن يستشهد كما الإمام الحسين " ²⁹ .

ثانياً: فتحي الشقاقي.. القائد:

1- فتحي الشقاقي .. قائد فذ:

" لقد جمع رضوان الله عليه بشخصيته الغنية بأفاقها الرحبية وملكات المتنوعة صفات القائد الفذ، لقد كان مثالاً للطهارة والصفاء والعطاء، ونموذجاً لنكران الذات والترفع عن الصغائر، كان كبيراً في نفسه، كبيراً في همته، كبيراً في أخلاقه وطموحاته، كبيراً في مشروعه الجهادي، كان منفتح العقل والقلب والوجدان، ولعلَّ أهم ما كان يميزه هو صدقه مع نفسه، وصدقه مع إخوانه، وصدقه مع شعبه وأمتة، وقبل كل هذا صدقه مع ربه عز وجل " ³⁰ .

²⁷ - المرجع السابق.

²⁸ - موسوعة الأعمال الكاملة للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي، المجلد الأول، 1997م

²⁹ - كلمة غير منشورة للدكتور رمضان شلح في الذكرى العاشرة لاستشهاد الشقاقي 2005م

³⁰ - مجلة فلسطين المسلمة، 1-12-1996م

2- فتحي الشقاقي.. أمة في رجل:

" كان الشقاقي أمة في رجل بكل معنى الكلمة، وهذا يعني أنه كقائد وكمُرشد وكزعيم لا يُعوّض، وخسارتنا بفقده كبيرة، ولكن عزاءنا فيه أنه أسس بنيان حركة الجهاد الإسلامي على تقوى ووعي وبصيرة تضمن استمرار هذا المشروع بغيابه كما بحضوره.. إنَّ دمه لم يزدنا إلا تماسكاً وإحساساً بالمسؤولية وإصراراً على مواصلة النهج الذي خطه- رحمه الله- بعرقه ودمه" ³¹.

3- فتحي الشقاقي.. نموذج في العمل الجماعي:

" العمل الجماعي كان أساس طريقة الدكتور في العمل، كان دائماً حريصاً على ممارسة الشورى، كان دائماً حريصاً على إشراك إخوانه فيما يتعلق بأمور الحركة.. لكنه شخص غير عادي، وهو مُتميز وصاحب حُجة وصاحب رأي وفكرة قوية، دائماً يجد فرصة لرأيه أن يُحترم ويُقدَّر، ويجد فرصة أن يقتنع به الإخوة بعد مداولات وممارسة حقيقية للشورى التي بالنسبة له أساساً مركزياً في عمله" ³².

ثالثاً: فتحي الشقاقي... المُفكر:

1- فتحي الشقاقي.. المُفكر مناضلاً:

" فتحي الشقاقي كان مُفكراً لكنه لم يكن قابعاً في برج عاجي، بل كان مجاهداً يتابع أدق التفاصيل في المشروع الجهادي الذي دشّنه.. وكان مناضلاً مجاهداً لكنه كان صاحب فكرة على درجة عالية من الثقافة والاطلاع، وكان يملك رؤية للعالم والمنطقة والعصر الذي يعيش فيه.. الشقاقي ظلم من الناحية الفكرية لأنه لم يجد الوقت لصياغة رؤيته الفكرية للعالم والتاريخ وللمنطقة والمستقبل" ³³.

2- فتحي الشقاقي.. المُفكر مُعلماً:

" لقد تعلمت في مصر في جامعتين.. الأولى هي جامعة الزقازيق التي تعلمت فيها الاقتصاد.. والجامعة الأخرى كان اسمها بكل فخر واعتزاز (فتحي الشقاقي)، نعم تعلمت في جامعة فتحي الشقاقي تعلمت ما هي فلسطين، وما هو الإسلام، وفي أي عالم نعيش، وما هي الرؤية التي يجب أن نحملها في هذا الزمان إن كنت مُسلماً وتريد أن تؤدي حق الله في كل شيء يتعلّق بهذا الوجود" ³⁴.

" كنت اعتبر معرفتي بالدكتور ميلاداً جديداً بالنسبة لي، لقد كان بفكره وإسلامه وأخلاقه هو المدرسة الحقيقية والجامعة الأهم التي التحقت بها في الزقازيق، أنا مدين كُلياً للشهيد في تحوّلي واعتناقي الفكر الإسلامي كأيدولوجيا، بل حتى في فهم هذا العالم فهماً إسلامياً متميزاً وطريقاً للتغير" ³⁵.

³¹ - مجلة الرأي الأردنية، ديسمبر 1995م

³² - مقابلة مع صحيفة الرأي الأردنية 17-11-1995م

³³ - مجلة ياران الإيرانية، 2007م

³⁴ - كلمة غير منشورة للدكتور رمضان شلح في الذكرى (15) لاستشهاد الدكتور فتحي الشقاقي 2010م

³⁵ - مقابلة مع مجلة البلاد، 19-12-1995م

المبحث الرابع: الأعمال الكاملة للمفكر الشهيد فتحي الشقاقي

أولاً: (حركة الجهاد الإسلامي).. هي الأعمال الكاملة للشقاقي

طلب باحث من الدكتور رمضان شلح أن يُرسل له نسخة من موسوعة الأعمال الكاملة للشهيد الشقاقي (رحلة الدم الذي هزم السيف)، فردَّ عليه ما يلي: " سُرسل لك نسخة، لكن هذه ليست موسوعة، ليست أعمالاً كاملة، هذه مجموعة مقالات ومقابلات صحفية للشهيد قمنا بجمعها من بعده، أما الأعمال الكاملة لفتحي الشقاقي فهي حركة الجهاد الإسلامي بكل ما فيها، هذه هي الموسوعة الحقيقية التي سطرها الشهيد الشقاقي بدمه وعقله وقلبه، وهي كتاب مفتوح لم يكتمل بعد" ³⁶.

ثانياً: غرس فتحي الشقاقي يثمر

قال أحد أصدقاء حركة الجهاد الإسلامي، وهو شخصية فكرية بارزة في المنطقة في معرض إعجابه بأداء الحركة وتطور بُنيته، مَوْجهاً كلامه للدكتور رمضان شلح: " لو أنَّ الشهيد فتحي الشقاقي عاد اليوم (عام 2004م)، لن يُصدّق بأنَّ هذه هي ذات الحركة التي تركها يوم رحل (عام 1995م)، فردَّ عليه الدكتور رمضا شلح قائلاً: " إنَّ هذا بركة دم (أبو إبراهيم) - رحمه الله - فكل ما لدينا اليوم وكل ما أنجزنا - بعون الله - على قلة إمكانياتنا وتقصيرنا، هو من غرس فتحي الشقاقي رضوان الله عليه" ³⁷.

ثالثاً: فتحي الشقاقي يعيش مرحلة العمر الثاني

في كلمة للدكتور رمضان شلح في الذكرى (12) لاستشهاد فتحي الشقاقي قال: "فتحي الشقاقي لم يمت، واليوم هي السنة الثانية عشرة لا أقول على رحيله أو غيابه، بل هي السنة الثانية عشرة من عمره الثاني، ألسنا نؤمن بأنَّ الشهداء لا يموتون، وأنهم أحياء عند ربهم يُرزقون، والعمر الثاني لا يحياه الشقاقي كما كل الشهداء بجسده وعمله الذي لا ينقطع برحليه عن دنيانا، وعمره الثاني يحياه الشهيد في أمته باتباعه وأصحابه وإخوانه وتلاميذه ومريديه وأبناء شعبه الذين يتمثلون الفكرة والمبادئ التي جسدها الشهيد في حياته" ³⁸.

³⁶ - نشرة الجهاد (الحركية) مايو/أيار 2007م

³⁷ - المرجع السابق

³⁸ - كلمة غير منشورة للدكتور رمضان شلح في الذكرى (12) لاستشهاد الشقاقي 2007م

مصادر الفصل الثاني

- 1- صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة، 10-1-1993م
- 2- جريدة الاستقلال، غزة، 28-10-1999م
- 3- مجلة نداء القدس، 1999م
- 4- مجلة نداء القدس، 1999م
- 5- موسوعة الأعمال الكاملة للدكتور فتحي الشقاقي، المجلد الأول، المقدمة 1997م
- 6- موسوعة الأعمال الكاملة للدكتور فتحي الشقاقي، المجلد الأول، المقدمة 1997م
- 7- كلمة للدكتور رمضان شلح غير منشورة في الذكرى الخامسة لاستشهاد الشقاقي 2000م
- 8- مجلة ياران الإيرانية، 2007م
- 9- كلمة للدكتور رمضان شلح غير منشورة في الذكرى العاشرة لاستشهاد الشقاقي 2005م
- 10- كلمة للدكتور رمضان شلح غير منشورة في الذكرى العاشرة لاستشهاد الشقاقي 2005م
- 11- موسوعة الأعمال الكاملة للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي، المجلد الأول، 1997م
- 12- كلمة غير منشورة في الذكرى العاشرة لاستشهاد الشقاقي، 2005م
- 13- مجلة فلسطين المسلمة، 1-12-1996م
- 14- مجلة الرأي الأردنية، ديسمبر 1995م
- 15- مقابلة مع صحيفة الرأي الأردنية، 17-11-1995م
- 16- مجلة ياران الإيرانية، 2007م
- 17- كلمة غير منشورة في الذكرى (15) لاستشهاد الشقاقي 2010م
- 18- مقابلة مع مجلة البلاد، 19-12-1995م
- 19- نشرة الجهاد (الحركية) مايو/أيار 2007م
- 20- نشرة الجهاد (الحركية) مايو/أيار 2007م
- 21- كلمة غير منشورة في الذكرى (12) لاستشهاد الشقاقي 2007م

الفصل الثالث: الجهاد الإسلامي بعيون رمضان شلح

المبحث الأول: حركة الجهاد الإسلامي.. الفكرة والمشروع

أولاً: (الجهاد الإسلامي).. الفكرة

في مقابلة صحفية يؤكد رمضان شلح على أهمية ومركزية الفكرة في بناء مشروع الحركة فيقول: "لقد كانت نشأة حركة الجهاد الإسلامي ثمرة حوار فكري وتدافع سياسي شهدته الحركة الإسلامية الفلسطينية أواخر السبعينات، وقاده مجموعة من الشباب الفلسطيني أثناء وجودهم للدراسة الجامعية في مصر، كان على رأسهم مؤسس حركة الجهاد الإسلامي الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي -رحمه الله- كان فتحي الشقاقي عضواً في حركة الإخوان المسلمين، التي كانت تعاني آنذاك من أزمة حقيقية من وجهة نظر الشقاقي، انعكست بشكل أساسي في إهمال المسألة الوطنية وطرح أولويات بديلة، وكذلك الهروب من الهموم الحقيقية والتحديات الجوهرية التي تواجهها الأمة إلى القضايا الهامشية والشكلية والجزئية. كان الشقاقي يركز على مسألة غياب المنهج في تناول وفهم الإسلام والواقع والعالم، الأمر الذي أحدث خللاً في سلم أولويات الحركة الإسلامية، وأوقعها في مأزق التعارض الوهمي بين العروبة والإسلام، أو بين الوطنية والإسلام. فبدأت الحركة الإسلامية وكأنها لا تملك إجابة على المسألة الفلسطينية التي بقيت تتراوح لدى الإسلاميين بين الإهمال والتأجيل.

هذا على صعيد مناخ الحركة الإسلامية، أما من ناحية الحركة الوطنية الفلسطينية فقد رأى الشقاقي أنَّ معظم القوى الوطنية الفلسطينية تستبعد الإسلام كثقافة وهوية وأيديولوجيا عن إدارة الصراع فغيته عن برامجها النضالية وحياتها اليومية. ومن هنا كانت حركة الجهاد الإسلامي كفكرة.. في ذهن مؤسسها الدكتور فتحي الشقاقي حلاً لهذه الإشكالية، إشكالية الدين والوطن، أو العروبة والإسلام، حيث وطنيون بلا إسلام، وإسلاميون بلا فلسطين، فجاءت حركة الجهاد الإسلامي كإجابة إسلامية ثورية عن السؤال الفلسطيني، ورفعت شعارات: الإسلام، والجهاد، وفلسطين، الإسلام كمنطلق، والجهاد كوسيلة، وفلسطين كهدف للتحريك"³⁹.

ثانياً: (الجهاد الإسلامي).. المشروع

"إنَّ مشروع حركة الجهاد الإسلامي الذي يركز على اعتبار القضية الفلسطينية قضية مركزية للأمة العربية والإسلامية، إنَّ مشروع تحرير فلسطين هو تنويع لمشروع حضاري كبير وليس مجرد بندقية تطلق النار، أو عبوة تنفجر، ولكن الكفاح المسلح يجب أن يستمر ليؤكد عصيان صاحب الحق على الدفن حياً، وليمنع إغلاق باب الصراع كما يُراد له في مشروع السلام الإسرائيلي الراهن"⁴⁰.

³⁹ - مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م

⁴⁰ - مقابلة مع جريدة (الشرق) القطرية، 23-3-2008م

"مشروع الجهاد الإسلامي ليس حركة تحرر وطني فقط، قامت كرد فعل على وجود الاحتلال، لا نحن نملك رؤية تتعلق بهذا العالم كله، وتتعلق بواقع أمتنا، ونعتبر أن وجود إسرائيل هو رأس حربة المشروع الغربي كله، التقدم والنهوض والاقتصاد والاستقلال والتنمية والأخلاق.. كل هذه المسائل غير معزولة عن واقع الأمة، لأن وجود إسرائيل في قلبها، والتي تُعتبر وجهاً آخر للتجزئة والتخلف والتبعية، لذلك فالقتال على جبهة فلسطين، واعتبار فلسطين قضية مركزية للأمة، نحن نعتبر هذا الشعار مشروع نهوض للأمة كلها، لأن إسرائيل في المشروع الأمريكي الصهيوني لا تستهدف فلسطين فقط، بل نقطة ارتكاز للهيمنة الاستعمارية الغربية"⁴¹.

"مشروعنا السياسي استنهاض الأمة على قاعدة مركزية القضية الفلسطينية، فالمشروع الصهيوني لا يستهدف فلسطين وحدها، ولكنها بالنسبة له نقطة ارتكاز لاستهداف الأمة جمعاء... لا يمكن استنهاض حقيقي للأمة طالما هذا الكيان الغريب عن جسم الأمة المُسمى إسرائيل الذي يُعتبر رأس حربة الاستعمار وقاعدته في المنطقة جاثم على قلوبنا.. نحن ندرك أن هزيمة إسرائيل وإنهاء المشروع الصهيوني لا يمكن أن تقوم به منظمة بمفردها.. لكن يجب أن تتكاتف كل قوى الأمة الحية من أجل تحقيق هذا الهدف"⁴².

⁴¹ - مقابلة مع قناة (العربية) برنامج (بالعربي) 15-5-2004م

⁴² - مقابلة مع موقع (إسلام أون لاين) 12-11-2001م

المبحث الثاني: حركة الجهاد الإسلامي.. النشأة والتطور

أولاً: النشأة والتطور... مرحلة مصر:

" من حيث أطوار النشأة، فقد تجمعت النواة الأولى لمشروع الجهاد الإسلامي من خلال تنظيم أسسه الدكتور الشقافي في مصر في أواخر السبعينات، منفصل عن حركة الإخوان المسلمين التي كان الشقافي عضواً فيها حتى بعد تأسيس التنظيم المستقل. وفي فترة مصر اقتصرت نشاط التنظيم على انتقاء العناصر الطلابية وتجنيدها وتعهدها بتربية إيمانية وفكرية خاصة ومتميزة كما كان عليه البرنامج التثقيفي في التنظيم الإخواني التقليدي، وبالرغم من استفادة التنظيم من فكر وأدبيات حركة الإخوان المسلمين. لقد قرأنا تجارب وأفكار الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا وسيد قطب والمودودي ومحمد الغزالي ومالك بن نبي وتوفيق الطيب ومحمد باقر الصدر وآية الله الخميني وعلي شريعتي، ولاحقاً الترابي والغوشي وفضل الله والعوا والقرضاوي وغيرهم من أعلام الحركة الإسلامية، هذا بالإضافة إلى الاهتمام بمجالات أخرى من المعرفة كالأدب والسياسة والتاريخ والاقتصاد والمذاهب الأيديولوجية الأخرى وغيره. وقد كانت مجلة (المختار الإسلامي) في مصر هي القناة الأولى التي عبر بها الشقافي عن بواكير مشروعه الفكري والإسلامي، كما كانت مجلة (المسلم المعاصر) الرائدة منهاً أساسياً للتربية الفكرية للرعيل الأول من أبناء الحركة"⁴³.

ثانياً: النشأة والتطور.. مرحلة فلسطين

" بعد عودتنا من مصر في أوائل الثمانينات، تهيأ التنظيم لخوض غمار التعبئة الشعبية والسياسية في المساجد والجامعات والمدارس، مع التركيز على الجانب التعبوي والسياسي للعبادة والشعائر الإسلامية. بإقامة صلوات العيد في العراء، وإحياء ليلة القدر بمهرجانات في ساحة المسجد الأقصى، وذلك للتعريف بفكرة الجهاد وغرسها في النفوس، قبل أن تتبلور كحركة وكفصيل مقاتل على الساحة الفلسطينية في منتصف الثمانينات. وفي طور التأسيس والانتشار في قطاع غزة والضفة الغربية سعت الحركة إلى تفادي الصدام الذي فرض علينا فرضاً مع الإخوان المسلمين، الذين رأوا في أفكار الحركة وتنامي قاعدتها في صفوف الشعب خطراً على قاعدتهم التنظيمية، مما استنزف طاقات الحركة الإسلامية بمجملها للأسف. وقد احتل الموقف من الثورة الإسلامية في إيران وتأييدها في مواجهة الهجوم الأمريكي والإقليمي ضدها حيزاً كبيراً في الصدام وصل إلى حد اتهامنا بالتشيع بل وتكفيرنا، وقد كان ذلك على حساب العنوان الرئيسي للخلاف وهو موقف حركة الإخوان المسلمين من مسألة الكفاح المسلح"⁴⁴.

⁴³ - مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م

⁴⁴ - مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م

ثالثاً: النشأة والتطور.. الجهاد المسلح:

1- الجهاد المسلح.. البداية:

"... وقد كان الخروج من أجواء الخلاف السلبيّة (مع الإخوان المسلمين) يأخذ زمام المبادرة العسكرية والانتقال إلى طور صناعة الحدث، وهذا ما فعلته الحركة بالإشراف المباشر للشهيد الشقافي الذي كان يتولى شخصياً قيادة المجموعات العسكرية الأولى منذ منتصف الثمانينيات، فاعتقل في مارس عام 1986م من قبل سلطات الاحتلال بعد تنفيذ الحركة لعدة عمليات عسكرية، وقد بلغت ذروة العمل الجهادي للحركة آنذاك في معركة الشجاعة 6-10-1987م، حيث اشتباك مجاهدو الحركة الفارون من السجن وغيرهم مع قوات الاحتلال، وقد كانت هذه المعركة سبباً مباشراً ومقدمة حركت الشارع الفلسطيني وقادت إلى اندلاع الانتفاضة"⁴⁵.

2- الجهاد المسلح.. الانطلاقة الجهادية

"العالم كله يعرف أنّ الجهاد الإسلامي كفكرة وكتنظيم يحمل هم الجهاد والمقاومة بدأ من أواخر السبعينات ومطلع الثمانينيات، وأنه بدأ بالكفاح المسلح منذ عام 1985م، ولكن الحدث الأبرز في طور النشأة الأولى تمثل فيما عُرف بمعركة الشجاعة الباسلة في السادس من أكتوبر تشرين الأول عام 1987م... فلم تكن معركة الشجاعة هي بداية العمل العسكري للجهاد الإسلامي، ولكنها كانت العمل الأبرز؛ بل كانت قمة الذروة المُعلّقة لسلسلة متواصلة من الكفاح المسلح السري الذي سبقها، ونظراً لما للسّادس من أكتوبر ومعركة الشجاعة من مكانة في تاريخ مسيرتنا الجهادية ومسيرة شعبنا النضالية عشية الانتفاضة الأولى رأينا أنّ ذلك اليوم يُجسد فعلاً (الانطلاقة الجهادية) الكبرى والمُعلنة لحركة الجهاد الإسلامي، السّادس من أكتوبر لا يُلغي ما سبقه من جهاد وكفاح مارسه الحركة؛ بل يؤكد ويستحضره"⁴⁶.

3- الجهاد المسلح.. مرحلة التسوية

"عندما بدأت شعلة الانتفاضة تخبو في ظل هجوم مشروع التسوية، تصاعد دور الحركة المشهود في تقديم المبادرة الجهادية المتميزة بالعمليات الاستشهادية النوعية (التي كان يقوم بها جهازها العسكري القوى الإسلامية المجاهدة -قسم).. فتلقت الحركة ضربات مُتتالية من العدو بتصفية عدد من قيادات الحركة السياسية والعسكرية مثل الشهيد هاني عابد والشهيد محمود الخواجه، لكن الحدث الأخطر والأكثر إيلاً كان فاجعة اغتيال القائد والمؤسس الشهيد الدكتور فتحي الشقافي على يد الموساد الإسرائيلي بتاريخ 26-10-1995م... في هذا الطور انصبت جهود الحركة في جزء كبير منها على تنظيم شأنها الداخلي وترتيب أمرها بما يعينها على الثبات ومواصلة الطريق والنهج الذي خطه الشهيد والمؤسس"⁴⁷.

⁴⁵ - المرجع السابق

⁴⁶ - كلمة غير منشورة في مهرجان الانطلاقة الجهادية للحركة، 30-10-2009م

⁴⁷ - مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م

المبحث الثالث: حركة الجهاد الإسلامي.. ضرورة وإضافة

أولاً: (الجهاد الإسلامي).. ضرورة وطنية وإسلامية

"حركة الجهاد الإسلامي عندما نشأت كانت ضرورة وطنية وضرورة إسلامية... وكانت حاجة فلسطينية بالدرجة الأولى، أي أنها تنظيم فلسطيني نشأ على خلفية اجتهد وقناعة الطليعة المؤسسة لقتال المشروع الصهيوني على أرض فلسطين، أي إنها ليست امتداداً لأي تنظيم خارج فلسطين، كما أن نشأة حركة الجهاد لم تكن مجرد ردة فعل على خلفية غياب الدور الجهادي لدى الآخرين، أي أن هذا هو السبب الوحيد لوجودها ويزول السبب بزوال مبرر وجودها نتيجة لصحوة الآخرين وقيامهم بدور جهادي، المسألة ليست هكذا، نشأة الحركة كانت نتيجة وعي الطليعة المؤسسة بهذا الصراع وتاريخه وطبيعته ومضامينه وأدواته وحاضره ومستقبله، وهذا الصراع ليس جامداً عند نقطة معينة، بل إن تغيرات هائلة صاحبت في كل أبعاده، وقد اثبتت حركة الجهاد في مختلف المراحل أنها قادرة على قيادة الظروف في المنعطفات الخطرة والتأثير فيها وتوجيهها نحو التمسك بثوابت القضية، الأمر الذي ولد باستمرار مبررات جديدة تثبت أن حركة الجهاد ما زالت أكثر من أي وقت مضى ضرورة وطنية؛ وضرورة إسلامية، وضرورة جهادية، وضرورة إنسانية إبداعية تدلل على قدرة المجتمع الفلسطيني التي لا تنتهي"⁴⁸.

ثانياً: (الجهاد الإسلامي).. إضافة وطنية وإسلامية

1- إضافة إسلامية: "على صعيد الحركة الإسلامية في الساحة الفلسطينية... قبل وجود الحركة لم يكن الكفاح المسلح جزءاً من برنامج الحركة الإسلامية في فلسطين... فالحركة رفعت شعار (التربية من خلال المواجهة)، وليس (التربية من أجل الجهاد)، فالعدو لا ينتظرنا... فالجهاد طريق الهداية، والهداية طريق الجهاد، كما قال تعالى: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ"⁴⁹.

2- إضافة وطنية: "وعلى الصعيد الوطني كان الإسلام مغيباً، وكان هناك استشهاد بأيديولوجيات وتجارب ومناهج نضالية في العالم، إلا التجربة الإسلامية التاريخية التي كانت رصيد هذه الأمة ومبعث وجودها وهويتها في مواجهة كل الغزاة، الإسلام كان مهمشاً، ولم يكن له في فكر وممارسة المشروع الوطني الفلسطيني أي دور. هنا مزجت حركة الجهاد الإسلامي بالإسلام بفلسطين، وكان رأس الحربة لهذين الركنتين في مشروعها هو الجهاد، والجهاد المسلح فالحركة توليفة من: الإسلام وفلسطين والجهاد"⁵⁰.

⁴⁸ - مقابلة مع موقع (وكالة فلسطين اليوم)، 21-5-2004م

⁴⁹ - مقابلة مع قناة (أبوظبي) الفضائية - برنامج بدون مقدمات، 13-4-2001م

⁵⁰ - المرجع السابق

المبحث الرابع: حركة الجهاد الإسلامي .. ميلاد وبرنامج

أولاً (الجهاد الإسلامي) .. ميلاد مُتجدد

"إنَّ العدو عندما اغتال القائد المؤسس الشهيد فتحي الشقاقي - رحمه الله- كان يظن أنه سيُنهي بذلك حركة الجهاد ويمحوها من الوجود.. بفضل الله وتوفيقه فإنَّ مسيرة (21) سنة من الجهاد والعطاء والتضحيات منذ غياب الشقاقي، وبكل تواضع تثبت لهذا العدو كم كان مُخطئاً في حساباته عندما اغتال الشقاقي... إنَّ الحفاظ على هذه المسيرة المباركة... ومن أجل أن تولد مُجدداً قوية متينة في كل لحظة وفي كل محطة وكل مرحلة كما يقول الشاعر (ميلادنا المُتجدد)، فإنَّ هذا يتطلب تواصل الأجيال وإعطاء الفرصة للجيل الجديد، جيل انتفاضة القدس، جيل أسامة بن زيد"⁵¹.

ثانياً: (الجهاد الإسلامي) .. برنامج مقاومة

"برنامج الجهاد الإسلامي يركز على نقطتين في هذه المرحلة (1996م) النقطة الأولى: هي في التصدي لمشاريع تصفية القضية الفلسطينية من خلال تبصير الشعب والأمة لخطورة هذه المشاريع وعدم الانخراط فيها بأي حال من الأحوال. والنقطة الثانية: هي مواصلة الكفاح المسلح وتصعيد العمل العسكري باعتباره الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تُسبب آلاماً للعدو وتكبد خسائر في معركتنا الشرسة معه، والذي سيُحرر فلسطين ليس حركة الجهاد بمفردها ولا الجبهة الشعبية أو أي تنظيم فلسطيني لأنَّ فلسطين قضية الأمة، والذي سيُحررها هي الأمة بأسرها عندما تنهض وتخوض حرب التحرير"⁵².

⁵¹ - كلمة غير منشورة في مهرجان الانطلاقة الجهادية للحركة، 21-10-2016م

⁵² - مقابلة مع مجلة الهدف، 26-5-1996م

مصادر الفصل الثالث

- 1- مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م
- 2- مقابلة مع جريدة (الشرق) القطرية، 23-3-2008م
- 3- مقابلة مع قناة (العربية) برنامج (بالعربي) 15-5-2004م
- 4- مقابلة مع موقع (إسلام أون لاين) 12-11-2001م
- 5- مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م
- 6- مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م
- 7- مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م
- 8- كلمة غير منشورة في مهرجان الانطلاقة الجهادية للحركة، 30-10-2009م
- 9- مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م
- 10- مقابلة مع موقع (وكالة فلسطين اليوم)، 21-5-2004م
- 11- مقابلة مع قناة (أبوظبي) الفضائية-برنامج بدون مقدمات، 13-4-2001م
- 12- مقابلة مع قناة (أبوظبي) الفضائية-برنامج بدون مقدمات، 13-4-2001م
- 13- كلمة غير منشورة في مهرجان الانطلاقة الجهادية للحركة، 21-10-2016م
- 14- مقابلة مع مجلة (الهدف)، 26-5-1996م

فلسطين بين مشروعين



الباب
الثاني

الفصل الأول: فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر

المبحث الأول: فلسطين قضية الأمة المركزية.. لماذا وكيف؟

أولاً: فلسطين قضية الأمة المركزية.. لماذا؟

في ندوة (المنتدى الحضاري) بدمشق تحت عنوان (فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر) قال الدكتور الراحل رمضان عبد الله شلح ما يلي: ⁵³

"الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي -رحمه الله- كان هو أول من طرح أنَّ القضية الفلسطينية هي قضية مركزية للحركة الإسلامية في أول الثمانينات... وتم تجسيد هذا الشعار عملياً لدى الحركة الإسلامية الفلسطينية بالجهاد في فلسطين... وهذا الشعار استراتيجي ينطلق من الأبعاد العقائدية والتاريخية والواقعية، كما يلي:

1- البُعد العقائدي

"حيث الفهم المنهجي للإسلام كعقيدة وشريعة ومنهج حياة، واستناداً إلى القرآن الكريم والسنة الصحيحة، نقطة البدء في اكتشاف موقع فلسطين كآية من الكتاب ومركز للصراع الكوني بين تمام الحق وتمام الباطل، لقد جعلت الحركة الإسلامية من سورة الإسراء التي تسمى سورة (بني إسرائيل) ورداً يومياً في خطابها السياسي والتعبوي، والسورة تحكي قصة أهم إفسادين وعلوين لبني إسرائيل في التاريخ، ونحن نأخذ باجتهاد بعض المفسرين القائل بوقوع هذين الإفسادين بعد مجيء رسالة الإسلام، وليس سابقاً لها كما قال بعض المفسرين القدامى، بمعنى أننا نعيش مرحلة رد الكرة لليهود علينا كأمة الإسلام، وأنَّ الجولة القادمة هي جولة فاصلة بين المسلمين واليهود.

2- البُعد التاريخي

الصراع في فلسطين غير منفصل عن الدور اليهودي في التاريخ، والمقابلة واستبدال الأدوار بين الظاهرة الإسرائيلية والظاهرة الإسلامية، بين اليهود الذين انتزع الله منهم الملك والنبوة عندما حُمِلوا التوراة ولم يحملوها، وبين المسلمين والعرب الذين حُمِلوا القرآن فحملوه في عصور ازدهارهم، والصراع مع الاستعمار الغربي بعدما حلَّ باليهود من اضطهاد انتج المسألة اليهودية... والصراع في سياق مواجهة التحدي الغربي الحديث للامة ومركزيته زرع الكيان الصهيوني في قلبها فلسطين، إضافة للتجزئة والتغريب وتدمير العقل المسلم والهوية الإسلامية.

⁵³ - ندوة (المنتدى الحضاري) بدمشق؛ عنوانها: فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر، 5-3-2000م

3- البُعد الواقعي

ويشمل ما تمثله إسرائيل من خطر يومي ومباشر على الشعب الفلسطيني، وبالتهديد للعرب والمسلمين بل وكل المستضعفين في العالم، عبر علاقتها بالنظام الدولي والأخطبوط الرأسمالي الكوني الذي يتحكم في العالم بقيادة رأس الإمبريالية أمريكيا.

ضمن هذا المنظور الثلاثي الأبعاد -العقائدي والتاريخي والواقعي- ترى الحركة الإسلامية أنَّ صراع الأمة مع التحالف الغربي الصهيوني على فلسطين ليس صراعاً على الأرض أو الثروات أو الموقع الاستراتيجي فحسب، بل هو صراع حضاري شامل يمس كينونة الأمة ووجودها وهويتها ومستقبلها.

ثانياً: فلسطين قضية الأمة المركزية.. كيف؟

يومن رمضان شلح برؤية فتحي الشقاقي الخاصة بمركزية القضية الفلسطينية، وقد أجاب على سؤال (لماذا) في السطور السابقة، ويترتب على ذلك أهمية الإجابة على سؤال (كيف)، والذي يتلخص برؤية الشقاقي التي يؤمن بها شلح بأنَّ مهمة تحرير فلسطين هي مهمة كل الأمة الإسلامية أو القوى الحية فيها، وأنَّ مشروع تحرير فلسطين مرتبط عضوياً بمشروع نهضة الأمة، فكل من التحرير والنهضة، تحرير فلسطين ونهضة الأمة بتخليصها من التبعية والتخلف والتفريق... متكاملان وأحدهما يؤدي إلى الآخر، وغياب أحدهما يؤدي إلى غياب الآخر، ويبقى دور المجاهدين في فلسطين هو مُشاغلة الاحتلال وإبقاء جذوة الجهاد مشتعلة ونار المقاومة موقدة، ويؤكد شلح على ذلك بقوله:

"الصراع مع إسرائيل صراع وجود وليس صراع حدود، المشروع الصهيوني استعمار استيطاني إحلالي، استعمار غازي لأمة وشعب، وعنوان المقاومة فيه هو الأمة والشعب... الحل في المقاومة الشعبية، أن يبرز دور الشعب والقوى الشعبية في المقاومة دون أن نطلق اسم الحرب عليها كما هو في (حرب التحرير الشعبية)، وبالمقاومة الشعبية نستطيع أن نسحب العدو إلى المربع الذي نريده إلى نقطة ضعفه ونسلبه في حرب فدائية القدرة على استخدام سلاحه المتطور والنووي، ويبقى دور الجيوش النظامية في إسناد المقاومة"⁵⁴.

⁵⁴ - محاضرة بعنوان (مستقبل فلسطين بين نهج المقاومة ونهج المساومة)، 22-11-1998م

المبحث الثاني: القدس مركز الصراع الكوني

أولاً: القدس مركز الصراع الكوني.. شهادة القرآن والتاريخ

في مقابلة مع صحيفة (العربي) التي تصدر في (الناصرة) بفلسطين المحتلة عام النكبة الأولى يوضح رمضان شلح مركزية (القدس) في الصراع بين مشروع الحق والباطل في الكون فيقول: ⁵⁵

1- شهادة القرآن:

"القدس في وجداننا العربي الإسلامي آية من القرآن الكريم، مَنْ فرط فيها فرط في القرآن، إنَّ موقع القدس كأولى القبلتين وثالث الحرمين، والربط بين المسجد الأقصى والمسجد الحرام في حادثة الإسراء والمعراج هذا استكمال للدائرة الإيمانية الإسلامية، فالقدس محطة عروج النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى السماء في الرحلة التي فُرضت فيها الصلاة، فهي إذن اللحظة الجغرافية الرمزية لعنوان الصلة بالله، كما جسدت إمامة النبي وصلاته بالأنبياء في المسجد الأقصى ليلة الإسراء إمامة وقيادة الأمة الإسلامية العالمية للأمم المقدسة لنهج الحق في مواجهة الباطل، ولذلك كان فتح القدس على أيدي المسلمين بقيادة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وتحريرها من الاستعمار الروماني يشبه تماماً تحرير مكة من المشركين الوثنيين".

2- شهادة التاريخ:

"والقدس بموقعها الجغرافي الحساس لعبت دوراً أساسياً في تاريخ الصراع بين المسلمين والغزاة في كافة الموجات الاستعمارية القديمة والحديثة، فالذي يحتل القدس يشرخ العالم الإسلامي ويضع يده على سُرّة الجغرافيا الإسلامية، لذلك فإنَّ الاحتلال الصهيوني للقدس وفلسطين هو احتلال لقلب العالم الإسلامي وضربة قاصمة للأمة كلها... القدس مركز الصراع الكوني اليوم بين قوى الحق والإيمان والإسلام من جهة وبين قوى الشر والباطل والوثنية المعاصرة من جهة أخرى... وهذا انعكس في الانحياز الصليبي الغربي لاسيما الأمريكي الأعمى للاستعمار الصهيوني لفلسطين كلها وليس للقدس فقط.. فلسطين كلها أرض مقدسة ومباركة كما وصفها القرآن الكريم".

ثانياً: القدس مركز الصراع الكوني .. خطر السقوط وضرورة التحرير

1- خطر سقوط القدس وتهويدها:

أ- خطر سقوط القدس:

"ما من يوم تطلع عليه الشمس التي مات تمثالها في (رودس)، التي شطرت هدنتها القدس عام 1948م إلا وتتأكد صحة كلمات توفيق الطيب عن سقوط القدس في حزيران عام 1967م،

⁵⁵ - مقابلة مع صحيفة (العربي) الناصرية، 6-7-1996م

لقد اعتبره أخطر من سقوط (القدس) على يد الصليبيين في المشرق، وأخطر من سقوط (قُربطبة) على أيديهم في المغرب، وأخطر من سقوط (بغداد) على يد التتار.. خطاب رابين لا يزيّف الوعي الإنساني للتاريخ فقط، بل يفترسه ويقول للعالم كله: الآن يدخل التاريخ كله بيت الطاعة اليهودي.. خطاب رابين هو صك تأليه الإسرائيلي وتفوّقه على العالم كله، تفوّق اليهودي على الجنس البشري في العقيدة اليهودية" ⁵⁶.

ب- خطر تهويد القدس:

"إذا قُدّر لإسرائيل أن تُحقّق أهدافها بابتلاع وتهويد القدس فستفتح طريقها وتفرض هيمنتها على كل عواصم الأمة، على اسطنبول وأنقرة والقاهرة ودمشق وعمان والرياض وكل العواصم، بل إنّ طريقها ستُفتح إلى مكة والمدينة، ولن يمر وقت طويل حتى يُطالب اليهود بضم خيبر وبني النضير وغيرها من المستوطنات القديمة في أرض الحرمين إلى إقامة التراث اليهودي، كما فعلوا بالمسجد الإبراهيمي في الخليل ومسجد بلال في بيت لحم، وكما ستفعل في المسجد الأقصى إنّ بقينا على هذا الحال" ⁵⁷.

2- ضرورة تحرير القدس:

أكد رمضان شلّح على ضرورة وأهمية تحرير القدس وفلسطين مُتخذاً من مناسبة (يوم القدس العالمي) فرصة لذلك، ومما جاء في كلمته بهذه المناسبة في دمشق: ⁵⁸

أ- يوم القدس هو مناسبة عالمية عنوانها القدس، لما تُمثله القدس في موازين الصراع بين الحق والباطل، وبين الظلم والعدل، فإنّ يوم القدس هو يوم لكل أنصار الحق والعدل من أحرار العالم، فهو يوم عالمي من أجل القدس وفلسطين.. وهو يوم من أجل أن تبقى القدس حية متوّجة لا تُقتل ولا تُنسى في ذاكرة المسلمين والعرب.

ب- إنّنا نُحيي يوم القدس من أجل أن تبقى القدس حية في القلب وفي الضمائر، وفي العقل والوعي والوجدان، أمّا على الأرض فبكل أسف وأسى لم يبق هناك قدس نحتفل بها، لقد ابتلعها الكيان الصهيوني بمخططات التهويد والاستيطان، وبمصادرة الأراضي وهدم البيوت وتهجير أهلها وجلب المستوطنين داخلها.

ج- إنّ طريق تحرير القدس وفلسطين معروف وجربته الأمة على مدار تاريخها في مواجهة كل الغزاة والطامعين فيها وفي أرضها.. وهو طريق الجهاد في سبيل الله، ومقاومة الغزاة والغاصبين المحتلين.. وليس طريق المفاوضات الذي جربناه، وثبت فشله، وطريق التحرير هو طريق الوحدة.. الوحدة الوطنية والعربية والإسلامية.

⁵⁶ - مقال في صحيفة (الاستقلال) زاوية (مرايا) 8-9-1995م

⁵⁷ - كلمة في مهرجان التضامن مع القدس، اسطنبول 4-4-2010م

⁵⁸ - كلمة في يوم القدس العالمي، دمشق، 25-3-2008م

مصادر الفصل الأول

- 1- ندوة (المنتدى الحضاري) بدمشق؛ عنوانها: فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر، 5-3-2000م
- 2- محاضرة بعنوان (مستقبل فلسطين بين نهج المقاومة ونهج المساومة)، 22-11-1998م
- 3- مقابلة مع صحيفة (العربي) الناصرية، 7-6-1996م
- 4- مقال في صحيفة (الاستقلال) زاوية (مرايا) 8-9-1995م
- 5- كلمة في مهرجان التضامن مع القدس، اسطنبول 4-4-2010م
- 6- كلمة في يوم القدس العالمي، دمشق، 25-3-2008م



الفصل الثاني: فلسطين في المشروع النقيض (إسرائيل)

المبحث الأول: إسرائيل ظاهرة يهودية واستعمارية وأمريكية

أولاً: إسرائيل ظاهرة يهودية:

"إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عِنْدَمَا تَحْدُثُ عَنِ الْيَهُودِ قَالَ إِنَّهُمْ مَوْجُودُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَنْقَرِضُوا، "وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"، "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ"، وهم اليهود الموجودون في فلسطين والعالم الذين يدعمون إسرائيل "وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا"، وهم الذين سيعودون إلى فلسطين "اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا"، هذه الآية تتحدث عن مجيئهم لإقامة إسرائيل في هذا العصر، فعليه فإن إسرائيل هي ظاهرة يهودية، بل هي التعبير الصارخ والأقوى في التاريخ عن هذه الظاهرة"⁵⁹.

ثانياً: إسرائيل ظاهرة استعمارية:

"وإسرائيل ظاهرة استعمارية كذلك.. والقصة لم تبدأ بوعد بلفور، نابليون الذي كان غزوه لمصر عام 1798م بداية الهجمة الغربية الصليبية الحديثة ضد أمتنا وعد اليهود بوطن لهم في فلسطين... كما أن التحالف الذي أنشأ (المسيحية الصهيونية) التي تدعو إلى عودة اليهود إلى فلسطين كبداية لعودة المسيح المُخلص والألفية المسيحية السعيدة، المسيحية الصهيونية التي بادرت بالدعوة للمشروع الصهيوني وما زالت تدعم الكيان الصهيوني بالمال والسلاح والسياسة، وبناءً على كون إسرائيل ظاهرة يهودية واستعمارية فهي كيان وظيفي يقوم بتحقيق أهداف سياسية واستراتيجية في الصراع الحضاري الغربي ضد أمتنا، أهمها:

- 1- التخلص من اليهود وحل المشكلة اليهودية في أوروبا
- 2- السيطرة على الموقع الاستراتيجي لفلسطين بين القارات
- 3- خلق حاجز جغرافي بشري بين مصر وشمال أفريقيا من جهة وعمقها العربي في آسيا
- 4- تكريس التجزئة والانقسام والحيلولة دون تحقيق وحدة الأمة
- 5- تحقيق وحماية المصالح الغربية في المنطقة⁶⁰

ثالثاً: إسرائيل ظاهرة أمريكية:

"إسرائيل جزء لا يتجزأ من التراث الثقافي البروتستانتية الأمريكي، وهي قوة غربية حضارياً، ومصلحة أمنية استراتيجية أمريكية في قلب الوطن الإسلامي، يجب أن لا يغيب عن أذهاننا لحظة أن أمريكا ترى في إسرائيل طفولتها، حيث أنها قامت بنفس الطريقة وبمصدر إلهام واحد هو النص التوراتي، فالبروتستانتية

⁵⁹ - مقابلة مع مركز (باحث)، 8-5-2008م

⁶⁰ - المرجع السابق

الأمريكية بررت للمستوطنين البيض الأنجلوساكسون في العالم الجديد (أمريكا) باعتبارهم شعب الله المختار باستعارة توراتية إبادة (الهنود الحمر) السكان الأصليين وإقامة المستوطنة القارة على أنقاضهم، بعد نجاح التجربة هناك تم قيام دولة (إسرائيل) على أنقاض شعب حاولوا تعميم تجربة الهنود الحمر عليه، أصبح العقل الأمريكي يتعامل مع هذه التجربة باعتبارها امتداد لتجربته، وعليه فإن أي تشكيك في شرعية وجود إسرائيل أو المساس بها هو تشكيك ومساس بوجود أمريكا نفسها" ⁶¹.

رابعاً: موقع (إسرائيل) في المشروع الغربي الاستعماري

حدد رمضان شلح موقع إسرائيل في المشروع الغربي الاستعماري من خلال قراءة التفاعل بين الأبعاد الثلاثة للظاهرة الإسرائيلية - اليهودية والاستعمارية والأمريكية - في محاضرة له بعنوان (الإسلام والأمة الإسلامية في القرن القادم) يمكن اختصارها بما يلي:

- 1- إنَّ اغتصاب فلسطين كان الصيغة الغربية الجديدة لحل المسألة اليهودية بعد فشل (الحل النازي) بإبادة اليهود... واستخدمت الحركة الصهيونية أسلوب طرد وتهجير سكان فلسطين الأصليين بدل الإبادة.
- 2- لقد عكس خروج اليهود من أوروبا لاحتلال فلسطين دوراً بارزاً للمسيحية الغربية بشقيها الكاثوليكي والبروتستانت في إقامة الدولة اليهودية، فالكاثوليكية على قاعدة الكراهية، والبروتستانتية على قاعدة اعتبارهم أداة لخلاص العالم الذي لن يتحقق إلا بعودة اليهود إلى (أرض الميعاد).
- 3- استخدمت الصهيونية الدين كأهم عنصر للتعبئة الصهيونية، فخلعت القداسة على المشروع الصهيوني أرضاً (أرض الميعاد)، وشعباً (شعب الله المختار)، فكانت الدولة اليهودية وطناً منحه الرب لليهود العالم.
- 4- أراد الغرب أن يحصل على صك غفران من الحركة الصهيونية بشأن مأساة اليهود والمذابح التي تعرضوا لها في أوروبا، لقد اشترى الضمير الغربي صك غفرانه بصك غفران منحه مقدماً للمشروع الصهيوني عن كل الجرائم التي سترتكب بحق الشعب الفلسطيني.
- 5- لقد انتقل مركز الثقل الغربي في دعم الكيان الصهيوني منذ نشأته إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م، فأصبحت هي التي توفر الحماية المباشرة لإسرائيل.
- 6- رأى الغرب في الكيان الصهيوني بتكوينه العقائدي والفلسفي امتداداً للغرب ورأس حربة له في قلب العالم الإسلامي على كل المستويات: الدينية والحضارية والاستعمارية والاقتصادية.
- 7- كان زرع الكيان الصهيوني في فلسطين أحد ثلاث حلقات مركزية استكمل بها الغرب هجمته على الوطن الإسلامي، والحلقة الثانية هي في اتفاقية (سايكس بيكو) لضرب وحدة الأمة التاريخية. والحلقة الثالثة هي تدمير هوية الأمة وشخصيتها الحضارية من خلال الغزو الثقافي الغربي لعقول أبناء الأمة.

⁶¹ - مقابلة مع جريدة (الاستقلال)، غزة، 3-2-1995م

⁶² - محاضرة بعنوان (الإسلام والأمة الإسلامية في القرن القادم) أقيمت في المؤتمر الدولي الثاني عشر للوحدة الإسلامية)، 1999م

خامساً: وظيفة (إسرائيل) في المشروع الغربي الاستعماري

قراءة رمضان شلح لطبيعة إسرائيل كظاهرة يهودية واستعمارية وأمريكية وقراءته لرؤية فتحي الشقاقي حول علاقة إسرائيل بالغرب جعلته يُحدد وظيفة إسرائيل في المشروع الغربي الاستعماري كما يلي: ⁶³

" إنَّ بريطانيا صاحبة وعد بلفور والانتداب تتحمل الوزر الأكبر في جريمة قيام الدولة اليهودية على أنقاض فلسطين، وإنَّ أمريكا هي المسئولة عن دعم الدولة اليهودية وبناء قوتها الاستراتيجية وتحويلها إلى قوة عظمى إقليمية في المنطقة. إنَّ الدعم الغربي للمشروع الصهيوني لم يكن فقط نابعاً من رغبة الغرب (المسيحي) في التخلص من المسألة اليهودية أو التكفير عن ذنوبه في اضطهاد اليهود، بل عن حاجة الغرب لإسرائيل كرأس حربة وأداة عدوان لضمان مصالح الغرب الاستراتيجية، وإحكام السيطرة عليها دون عائق، إنَّ إسرائيل بالنسبة لأمريكا هي العصا الغليظة في وجه العرب والمسلمين، وأداة الإخضاع والسيطرة والهيمنة الأمريكية على المنطقة. من هنا فإننا نقول إنَّ نجاح المشروع الصهيوني كان ثمرة خطة استراتيجية واضحة قامت على التحالف الاستراتيجي والشراكة المصيرية بين اليهود والاستعمار الغربي، الذي كانت الحركة الصهيونية أحد أهم أشكاله وأجنحته في العالم".

⁶³ - مقابلة مع صحيفة (الاتحاد)، 12-4-2002م

المبحث الثاني: طبيعة ومستقبل الصراع بين المشروعين

أولاً: طبيعة الصراع بين المشروعين : الإسلامي والغربي

1- ابعاد الصراع:

انتقد رمضان شلح قراءة الاتجاه العلماني العربي بألوانه المختلفة للصراع باعتباره ضد الإمبريالية الرأسمالية الغربية، ورأى فيه طمساً لمركزية فلسطين في الصراع التاريخي بين الأمة والغرب، واستبعاداً للآبعاد الدينية والحضارية والتاريخية للصراع، ويرى ضرورة استحضار القرآن الكريم كمرجعية في قراءة حركة بني إسرائيل والظاهرة الإسرائيلية في كل مراحل نموها. ويرى " إنَّ الصراع مع دولة بني إسرائيل في فلسطين هو من صميم الفلسفة التأسيسية للمشروع الحضاري الإسلامي، يجب أن تكون فلسطين هي مركز الصراع الكوني ونقطة صدام الأمة الإسلامية التاريخي ضد حضارة نهج الشرك التي تستهدف التوحيد في صراع مفتوح إلى يوم القيامة... فالصراع على فلسطين في المنظور الإسلامي ليس صراعاً على الأرض أو الثروات أو الموقع الاستراتيجي فحسب، بل هو صراع حضاري شامل له جوانبه وأبعاده العقيدية والثقافية والاستراتيجية والعسكرية والسياسية والاقتصادية، هذه الأبعاد هي منشأ فكرة مركزية فلسطين في الصراع الاستراتيجي والإقليمي والدولي والحضاري الراهن" .

2- أطراف الصراع:

يرى شلح أن القراءة الخاطئة لطبيعة الصراع بين الغرب والأمة الإسلامية بدد عقوداً من التضحيات والتكاليف حتى افصحت الاستراتيجية الغربية بقيادة أمريكا عن نفسها بعد انتهاء الحرب الباردة، وعلنت الإسلام عدواً للغرب، وأنه الخطر الذي يتهدد المصالح الغربية في المنطقة وعلى رأسها إسرائيل.. كما استبعدت تلك القراءة مئات ملايين المسلمين من غير العرب من الصراع باعتباره صراعاً عربياً -إسرائيلياً، ثم فلسطينياً - إسرائيلياً .. كما أخطأت تلك القراءة في تحديد معسكر الأعداء... فلا بد من العودة إلى تحديد القضية الفلسطينية كقضية إسلامية أولاً، وعربية ثانياً، وفلسطينية أخيراً، حيث الأمة كلها في مواجهة التحدي الغربي ورأس حربته الكيان الصهيوني" .

3- طبيعة الصراع:

"الحركة الإسلامية لا تخوض حرباً ديناً ضد اليهود، وإسرائيل هي التي قامت على النزعة الدينية والأساطير التوراتية، مشروعا هو مشروع مقاومة وتحرر من الاستعمار الأجنبي تحت راية الإسلام... والصراع بيننا وبين إسرائيل هو صراع حضاري شامل ...

⁶⁴ - محاضرة بعنوان (الإسلام والأمة الإسلامية في القرن القادم) أُلقيت في المؤتمر الدولي الثاني عشر للوحدة الإسلامية)،

1999م

⁶⁵ -

إسرائيل هي رأس حربة للمشروع الاستعماري الغربي في الشرق العربي والإسلامي، وهي قاعدة المصالح الغربية، وهذا كان على حساب الشعب الفلسطيني بالدرجة الأولى... البُعد الوطني حاضر في القضية الفلسطينية جنباً إلى جنب مع البُعد الديني، ولكن المعركة بشمولها معركة حضارية، الإسلام له دور ريادي لها كدين يقدم المحفزات الروحية وكتلة بشرية حضارية لها وزنها وثقلها في الميزان الدولي، وتشمل المسلم وغير المسلم في الأمة، والمسيحيون في بلادنا هم جزء من الكتلة الإسلامية في المواجهة الحضارية، هم مسلمون حضارة وثقافة، مسيحيون عقيدة" 66.

4- إدارة الصراع:

"تم التعامل مع المشروع الصهيوني من خلال نهجين رئيسيين هما: نهج الرفض والمقاومة للكيان الصهيوني من خلال الحروب العربية ضده، وكانت ذروته في مؤتمر الخرطوم عام 1967م والمشهور بلاءاته الثلاث (لا اعتراف.. لا مفاوضات.. لا صلح) مع إسرائيل، وما زال هذا النهج مجسداً في حركات المقاومة العربية. ونهج التسوية السلمية الذي بدأت إرهاباته بعد هزيمة عام 1967م وقبول العرب بقرارات الأمم المتحدة المُعترفة بشرعية إسرائيل، وقبول مصر بمشروع (روجرز) عام 1989م، وصولاً إلى توقيع السادات لاتفاقيات كامب ديفيد لاتفاقيات أوصلو ووادي عربة وغيرها" 67.

ثانياً : مستقبل الصراع بين المشروعين : الإسلامي والغربي

1- مستقبل الصراع هو مستقبل فلسطين:

"إنَّ مستقبل الصراع على فلسطين هو مستقبل الصراع على الإسلام في المنطقة والعالم. فإسرائيل هي رأس الحربة الأمريكية في هذا الصراع ... ومستقبل الصراع يتحدد بمحددات موضوعية مختلفة يتوقف عليها مستقبل الصراع وفلسطين، ومنها:

- أ- الإمكانيات الأيديولوجية والعقدية التي تملكها الأمة خاصة روح الجهاد التي لا تسقط حتى لو سقطت الآن.
- ب- العامل التقني والقوة، وهي لصالح إسرائيل، فلا بد من بناء القوة الإسلامية لمواجهة التحدي الإسرائيلي.
- ج- العامل الديموغرافي، وهو لصالح العرب والمسلمين والفلسطينيين وفي اللحظة التي تستطيع الأمة تحييد القنبلة النووية الإسرائيلية، فإنَّ ذلك سيُساهم في حسم الصراع لصالحها.
- د- العامل الدولي أحادي القطب، وميزان القوى الذي أفرزته ليست مسألة ثابتة في التاريخ، فهو قابل للتغيير وسيتغير، ففلسطين لن تكون أندلس ثانية، بل إنَّ إسرائيل المملكة الصليبية الجديدة هي التي ستمحى من الوجود طال الزمان أم قصر" 68.

66- مقابلة مع جريدة (المستقلة)، 13-5-1996م

67- محاضرة بعنوان (الإسلام والأمة الإسلامية في القرن القادم) أُلقيت في المؤتمر الدولي الثاني عشر للوحدة

الإسلامية)، 1999م

68- المرجع السابق

2- (إسرائيل) تواجه الخطر الوجودي:

"إسرائيل اليوم (2008) ليست هي إسرائيل الفتية التي بلغت قوتها في الحرب والتوسع الذروة عام 1967م... إسرائيل اليوم هي إسرائيل العجوز التي تعاني من عقدة الصمود الفلسطينية والوجود الفلسطيني الذي يشعرها بأزمة وجودها... إسرائيل التي تعيش على الدعم الخارجي وموازين القوى الخارجية أكثر من قوتها الذاتية... إنَّ إسرائيل في عقل سكانها ومؤيديها دخلت مرحلة الخطر الوجودي، وتُعاني من مأزق تاريخي عميق لأنها غير قادرة على دفع ثمن السلم والاندماج في المنطقة، ولم تعد قادرة على تحمل ثمن الحرب بعد حرب تموز عام 2006، التي أصبحت مختلفة عن حربها السابقة... وأمام هذا المأزق الوجودي أصبح السؤال الكبير المطروح في إسرائيل ولدى حلفائها في العالم اليوم: ما هو مصير إسرائيل؟، إنَّ إجابتنا الواثقة على هذا السؤال أنها ستواجه ذات المصير الذي واجهته الدول والكيانات الغربية التي زرعتها حروب الفرنجة أو الحروب الصليبية في بلادنا أي أنها ستزول كما زال أولئك الغرباء"⁶⁹.

3- حتمية زوال (إسرائيل):

"بكل المعطيات القرآنية والتاريخية والموضوعية والواقعية تؤكد وأجزم بأنَّ إسرائيل لا مستقبل لها في هذه المنطقة، وأنَّ مصيرها إلى الزوال المحتوم، وهذه ليست مجرد أمنيات، بل هذه قراءتنا للواقع والتاريخ والقرآن... فكل المعطيات تؤكد أنَّ إسرائيل إلى زوال، بل أجزم أنه في الخمسين عاماً القادمة (1998م) لن يكون هناك شيء على خريطة المنطقة اسمه (إسرائيل)، وهذه حقيقة لا نُخطئ بها مطلقاً، إسرائيل عاشت منذ وجودها على هذه الأرض كجسم غريب ترفضه المنطقة وتلفظه، عاشت بعقلية القلعة المتمرسية خلف خزان من السلاح النووي، لأنها تعرف أنَّ الجسم المحيط الكبير لا يقبلها، وهي حاولت أن تخرج تحت ستار ما يُسمى بالتسوية والسلام من أسوار القلعة تنتشر في جسم المنطقة... ولكن طبيعة المشروع الصهيوني والعقيدة الصهيونية عادت بالكيان الصهيوني إلى أسوار القلعة.

إسرائيل سوف تواجه مصير كل الكيانات الغربية التي توجد في محيط مغاير لها ولا تتجانس ولا تطابق معه، الممالك الصليبية بقيت في هذه المنطقة (200) عام ثم رحلت وتفككت، وهذا ينطبق على إسرائيل عندما يضغط المحيط البشري الإسلامي والعربي على هذه القلعة، وعندما تستطيع الأمة أن تحقق نوعاً من التوازن في القوة المادية وبالذات عندما يسقط السلاح النووي الذي يُعتبر صمام أمان إسرائيل"⁷⁰.

⁶⁹ - مقابلة مع مركز (باحث)، 8-5-2008م

⁷⁰ - المرجع السابق

مصادر الفصل الثاني

- 1- مقابلة مع مركز (باحث)، 8-5-2008م
- 2- مقابلة مع مركز (باحث)، 8-5-2008م
- 3- مقابلة مع جريدة (الاستقلال)، غزة، 3-2-1995م
- 4- محاضرة بعنوان (الإسلام والأمة الإسلامية في القرن القادم) أُلقيت في المؤتمر الدولي الثاني عشر للوحدة الإسلامية، 1999م
- 5- مقابلة مع صحيفة (الاتحاد)، 12-4-2002م
- 6- محاضرة بعنوان (الإسلام والأمة الإسلامية في القرن القادم) أُلقيت في المؤتمر الدولي الثاني عشر للوحدة الإسلامية، 1999م
- 7- محاضرة بعنوان (الإسلام والأمة الإسلامية في القرن القادم) أُلقيت في المؤتمر الدولي الثاني عشر للوحدة الإسلامية، 1999م
- 8- مقابلة مع جريدة (المستقلة)، 13-5-1996م
- 9- محاضرة بعنوان (الإسلام والأمة الإسلامية في القرن القادم) أُلقيت في المؤتمر الدولي الثاني عشر للوحدة الإسلامية، 1999م
- 10- محاضرة بعنوان (الإسلام والأمة الإسلامية في القرن القادم) أُلقيت في المؤتمر الدولي الثاني عشر للوحدة الإسلامية، 1999م
- 11- مقابلة مع مركز (باحث)، 8-5-2008م
- 12- مقابلة مع مركز (باحث)، 8-5-2008م

الفصل الثالث: حسم الصراع بين المشروعين بالجهاد والمقاومة

المبحث الأول: الجهاد والمقاومة .. قضايا أساسية

أولاً: دليل عمل الحركة الإسلامية للنهوض بواجب الجهاد والمقاومة

وضع رمضان شلح في دراسة بعنوان (الحركة الإسلامية والجهاد في فلسطين) دليل عمل للحركة الإسلامية للنهوض بواجب الجهاد والمقاومة يُمكن تلخيص أهم بنوده بالآتي:⁷¹

1- إن هدف تحرير فلسطين كأرض مُغتصبة وتخليصها من براثن الاحتلال هو فريضة إسلامية وحكم شرعي يندرج تحت (فرض العين)، كما هو حكم الصلاة والصيام وبقية فروض الإيمان في الشريعة الإسلامية.

2- إن طبيعة العدوان والاحتلال الصهيوني في فلسطيني تؤكد أن وسيلة التحرير وتصفية الاحتلال في فلسطين هي القتال، وحكمه في حالة احتلال العدو لأرض المسلمين كما هو واقع في فلسطين (فرض عين)، قال تعالى: "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ"، "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ".

3- تعيين وسيلة (القتال) كحكم شرعي وفرض عين يعني أنه لا يجوز للحركة الإسلامية الهروب للمعنى الواسع والمطاط للجهاد الذي يستند إلى المعنى اللغوي لكلمة (جهاد) وتطرح بدائل مدنية للقتال تحت مُسميات مختلفة، والتمسك بمفهوم (الجهاد) الشرعي وهو (القتال).

4- في ظل غياب الحاكم المسلم أو الإمام الذي يعلن (النفي العام) لخوض حرب التحرير، فإن فريضة (القتال) لا تسقط عن المسلم بوجود الإمام أو غيابه، بعد أن تُعين عليهم بوقوع العدوان على أرض المسلمين، وطالما أن الحركة الإسلامية تطرح نفسها كممثل للشرعية الإسلامية في غياب السلطة السياسية الإسلامية، فتقع عليها مسئولية النهوض بواجب القتال واستنفار وتعبئة جماهير الشعب والأمة لأداء هذه الفريضة (القتال).

5- إذا كان القتال والنهوض بواجبه هو فرض عين على المسلمين، فإن توفير الآلية والأداة التي تُمكن من القتال هو واجب شرعي وفريضة إسلامية أيضاً عملاً بالقاعدة الشرعية (مالاً يتم الواجب إلا به فهو واجب)... فإن واجب الحركة الإسلامية بناء (التنظيم المقاتل) الذي يستوعب طاقات وقدرات الشعب، وينظم فيه المجاهدون لأداء فريضة الجهاد.

6- إن التزام الحركة الإسلامية فريضة (التحرير) و(القتال) و(بناء التنظيم المقاتل)، ليست مسألة اختيارية... بل هي من باب التكليف الشرعي الذي يؤثم تاركة فرداً كان أو جماعة... ويصنفوا مع المُخلفين عن الجهاد "فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ".

⁷¹ - دراسة (الحركة الإسلامية والجهاد في فلسطين) مجلة (المجاهد)، 30-9-2003م

ثانياً : الجهاد والمقاومة - خيار استراتيجي ببدأ عقائدي ومشروع تحرير :

1- الجهاد والمقاومة.. خيار استراتيجي:

"إنَّ الجهاد المسلح بالنسبة لنا هو خيار استراتيجي غير مرتبط بالظروف المرحلية والعقبات والتحديات التي فرضتها أوصلو، ولقد قامت استراتيجية حركة الجهاد الإسلامي في الكفاح المسلح على مبدأ (توازن الإيرادات) بإدامة الاشتباك مع العدو واستنزافه، ولقد استطاعت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين خلق نوع من (توازن الرعب) يُعوض اختلال موازين القوى، ويجعل من الاستشهاد قوة ردع تستند إلى القدرة على ضرب استراتيجية العدو بنقل المعركة إلى قلب العدو عبر الضربات الاستشهادية النوعية والمدوية التي استهدفت شكل أساسي أهداف عسكرية صهيونية كان ذروتها في عملية (بيت ليد) الشهيرة التي قُتل فيها أثنان وعشرون جندياً صهيونياً وأصيب أكثر من سبعين آخرين" 72 .

2- الجهاد والمقاومة .. مبدأ عقائدي:

أ- "إنَّ أدبيات الثورة الفلسطينية المعاصرة وخاصة في انطلاقها الأولى أكدت على (الكفاح المسلح) بأنه الطريقة أو الأسلوب الوحيد الذي يُمكن أن يُحرر الأرض ويستعيد الحقوق، ووصل الكفاح المسلح إلى حد (المقدس الوطني) ... ولكنه تآكل من الأسلوب الوحيد إلى الأسلوب الرئيسي ... وصولاً إلى الممنوع، فانتقل من المقدس الوطني إلى المحرّم الوطني.

ب- لا بد أن يدخل (الكفاح المسلح) في إطار (المقدس الديني)، وهو في الدين الإسلامي الركن السادس من أركان الإسلام (الجهاد) وذروة سنامه. وعندما يُطرح الكفاح كجزء من الدين اسمه (الجهاد) يصعب على الناس التفريط فيه لأنهم يَأْتُمُونَ، بخلاف المقدس الوطني الذي يخضع للمصلحة الوطنية المتغيرة حسب المصلحة السياسية التي يُحددها أولو الأمر بدون ضوابط شرعية.

ت- عندما نستحضر مفهوم (الجهاد)، وننادي بإسلامية المعركة فنحن نستحضر الإسلام كعقيدة بما يملك من مخزون روحي هائل وطاقة إيجابية جبارة، تُعين الإنسان ليس على الصمود والممانعة فقط، بل تدفعه إلى الانفجار في وجه الانهيار، وهذا ما فعله الاستشهاديون في فلسطين" 73 .

3- الجهاد والمقاومة .. مشروع التحرير:

أ- قامت (منظمة التحرير الفلسطينية) كإطار وطني يحمل (المشروع الوطني الفلسطيني)، مُعبّراً عنه بالميثاق القومي ثم الميثاق الوطني، الذي رغم اغفاله للبعد الإسلامي للقضية وتحوّله من الإطار القومي إلى الإطار الوطني الضيق، لكننا نؤيد ما جاء فيه من هدف تحرير كل فلسطين بواسطة الكفاح المسلح، ورفض المنظمة لكل مشاريع التسوية التي تُفرط بأرض فلسطين أو جزء منها.

72 - محاضرة (فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر)، 5-6-2000م

73 - محاضرة (مستقبل فلسطين بين نهج المقاومة ونهج التسوية)، 22-11-1998م

ب- بعد خروج المنظمة من عمان عام 1970م، وطرحها للبرنامج المرحلي (النقاط العشر) عام 1974م وذهاب ياسر عرفات إلى الأمم المتحدة ... بدأ مسلسل التنازلات للمنظمة الذي اتضح بعد الخروج من بيروت عام 1982م، وأوصل المنظمة إلى التوقيع على اتفاقية أوسلو عام 1993م، فأصبحت المنظمة تختلف جذرياً عن المنظمة الأولى، وأصبحت إطار فارغ فاقد الشرعية الثورية التي اكتسبتها سابقاً.

ت- المنظمة دور كفاحي، وعندما ينتهي هذا الدور ينتهي الإطار أو يصبح مجرد ديكور فارغ، ولذلك لا قداسة للإطار بعيداً عن المضمون، فالمهم هو (مشروع التحرير) وليس (منظمة التحرير)، والمهم هو هدف التحرير وليس مسمى التحرير⁷⁴.

⁷⁴ - المرجع السابق

المبحث الثاني: الجهاد والمقاومة .. قضايا إشكالية

أولاً: إشكالية حرب التحرير الشعبية:

- 1- الصراع مع إسرائيل صراع وجود وليس صراع حدود، المشروع الصهيوني استعمار استيطاني إحلالي، استعمار غازي لأمة وشعب، وعنوان المقاومة فيه هو الأمة والشعب، وهذا العنوان تراجع في فلسطين دور الأمة والشعب لصالح الأنظمة والحكومات التي هُزمت ووصلت إلى المصالحة مع الكيان الصهيوني بمنطق عدم القدرة على هزيمته رغم القدرة العربية الهائلة.
- 2- الحل في (المقاومة الشعبية)، أن يبرز دور الشعب والقوى الشعبية في المقاومة دون أن نطلق اسم (الحرب) عليها كما هو في (حرب التحرير الشعبية)، وبالمقاومة الشعبية نستطيع أنسحب العدو إلى المربع الذي نريده إلى نقطة ضعفه، ونسلبه في حرب فدائية القدرة على استخدام سلاحه المتطور والنووي، ويبقى دور الجيوش النظامية في إسناد المقاومة"⁷⁵.

ثانياً: إشكالية علاقة السياسي بالعسكري:

"العلاقة بين السياسي والعسكري في تجربة الكفاح المسلح الفلسطيني لم تكن علاقة متوازية منذ البداية، في المرحلة الأولى كان التركيز على الجانب العسكري إلى حد أن السياسة كما قيل ترسمها فوهات البنادق. ومع التراجع في فكرة الكفاح المسلح ... كان العمل السياسي يعني الانخراط في لعبة السياسة الدولية، فتم وضع ما بقي من الكفاح المسلح لخدمة أهداف سياسية تكتيكية، ولم يعد الكفاح المسلح مرتبطاً بالأهداف الاستراتيجية كالتحرير والعودة، فوظف العمل العسكري في خدمة المساومة السياسية"⁷⁶.

ثالثاً: إشكالية الهدف بين التحرير والدولة:

"الكفاح المسلح الفلسطيني جعل الهدف المباشر هو (تحرير الأرض)، وهذا بحد ذاته صحيح ولا يتناقض مع شمولية المعركة الحضارية مع المشروع الصهيوني... ولكن لم يعد هدف تحرير الأرض هو الهدف، بل أصبح الهدف هو (الدولة)، هذه الفقاعة وهذا السراب والوهم الكبير هو الهدف، الدولة التي تتعايش مع المستوطنات وليست إسرائيل فقط، والدولة الكيان المسخ غير مُحدد المعالم.. والحل في العودة إلى هدف الكفاح المسلح وهو تحرير الأرض الفلسطينية من البحر إلى النهر كأساس ومحور لمشروع النهضة الإسلامية الشاملة"⁷⁷.

⁷⁵ - محاضرة (مستقبل فلسطين بين نهج المقاومة ونهج التسوية)، 22-11-1998م

⁷⁶ - المرجع السابق

⁷⁷ - محاضرة (مستقبل فلسطين بين نهج المقاومة ونهج التسوية)، 22-11-1998م

رابعاً: إشكالية قتل المدنيين في (إسرائيل):

- 1- إن مجرد وجود الإسرائيليين أو الصهيوني على أرض فلسطين المُغتصبة (إسرائيل) هو استمرار للعدوان ومشاركة فيه.
- 2- الكيان الإسرائيلي ليس فيه مدني وعسكري، فهو ثكنة عسكرية والرجال والنساء بغالبيتهم في يخدمون في الجيش الإسرائيلي المحتل لفلسطين.
- 3- رغم ذلك نحن لا نستهدف (المدنيين) في كل الظروف، نحن نرد على قتلهم للمدنيين من شعبنا على قاعدة المعاملة بالمثل.
- 4- نحن لا نستهدف الأطفال لأنهم غير مُكَلَّفِينَ وغير كاملي الأهلية، وإذا وقعت إصابات بينهم فتكون غير مقصودة⁷⁸.

خامساً: إشكالية العلاقة بين (المقاومة) و(السياسة):

"نحن حركة مجاهدة تأخذ بالمفهوم الشمولي للجهاد، نعم القتال هو لب وذروة العمل الجهادي، ولكن هناك أبعاداً أخرى للعمل الجهادي، منها: الثقافي والاجتماعي والسياسي وغيره، كوننا نهتم بها ونمارسها في حدود إمكانياتنا، فنحن حركة جهادية تُمارس السياسة أيضاً، ولكن السياسة التي نطرحها هي غير السياسة التي تنتجها الدوائر الغربية وأطراف لعبة التسوية في المنطقة... وتمسكنا بالثوابت وما كان عليه اجماع الأمة بشأن فلسطين منذ بداية الصراع لا يروق للآخرين. باختصار... نحن حركة مقاومة تُمارس السياسة، ولسنا حركة سياسية تُمارس المقاومة، لأنَّ هذا التوصيف الأخير يجعل من المقاومة ورقة تكتيكية، الهدف منها هو تحسين شروط اللعبة السياسية المُصممة في مراكز القرار المُعادية"⁷⁹.

⁷⁸ - مقابلة مع صحيفة (الحياة) اللندنية، 9-1-2003م

⁷⁹ - مقابلة مع صحيفة (الشروق) الجزائرية، 30-8-2010م

المبحث الثالث: (الانتفاضة).. بعيون رمضان شلح

ذكر رمضان شلح عن (الانتفاضة) كمفهوم وحدث في عشرات المناسبات، فكتب وخطب وتحدث عنها ابتداءً من انتفاضة الحجارة (1987م)، ثم انتفاضة الأقصى (2000م)، وصولاً إلى انتفاضة القدس (2015م)، وفي السطور التالية سنُسجّل بعض العناوين المهمة مما ذكره

أولاً: الانتفاضة.. فلسطينياً

1- الانتفاضة ذروة النضال الفلسطيني الجماهيري:

" الانتفاضة كحدث (انتفاضة الحجارة 1987م) كانت هيا ذروة النضال الفلسطيني الجماهيري، والعدو الإسرائيلي سمّاها (الحرب السادسة)، ورابين كان يتمنى أن يستيقظ فيجد قطاع غزة غرق في البحر بسبب الانتفاضة... ما الذي حدث نتيجة الانتفاضة؟ أن إسرائيل لم تكن تقبل وتُسَلِّم بنتيجة الانتفاضة، أو أن تقطف الانتفاضة ثمرة الانتصار، لذلك سارعوا بالالتفاف عليها من خلال عملية التسوية، ثم اتفاقية أوسلو، فالسلطة الفلسطينية" ⁸⁰.

2- الانتفاضة إرادة شعب وأمة:

" إنَّ الانتفاضة المباركة (انتفاضة الأقصى 2000م) والمقاومة الباسلة التي تشعلونها اليوم بدمائكم وأرواحكم وسواعدكم وبنادقكم ليست ورقة في سوق المساومات أو المفاوضات، إنها تعبير عن إرادة شعب وإرادة أمة، إنها خيار الشعب الذي يبذل فيها المُهْج والأرواح، إنها الخيار الحتمي والواجب الإلهي بعد أن سقط وهم التسوية الكاذب" ⁸¹.

3- الانتفاضة.. رسالة جيل الشباب:

"رسالة الانتفاضة (انتفاضة القدس 2015م) للعالم كله تقول: أنا فلسطين؛ أنا القدس، غير قابلة للنسيان أو التجاهل... إنَّ جيل الانتفاضة من الشباب والشابات معاً هو جيل أسامة بن زيد الذي يُعيد إلى الأذهان صلة الرسول -صلى الله عليه وسلم ⁸² -بفلسطين قبلتنا الأولى ومسرى ومعراج نبينا إلى السماء... إلى كل القوى والفصائل علينا أن نترفع جميعاً عن أي مصالح حزبية ضيقة، وأن نضع مصلحة قضيتنا وشعبنا نصب أعيننا ونعمل جاهدين مخلصين على إنهاء الانقسام... الانتفاضة مستمرة بعون الله عز وجل ثم بفعل وإرادة جيل الشباب".

⁸⁰ - محاضرة (القضية الفلسطينية وانتصار المقاومة في لبنان)، 6-6-2000م

⁸¹ - كلمة رثاء الشهيدان إياد حردان ومحمد عبد العال، 7-4-2001م

⁸² - كلمة (المؤتمر الدعوي لملتقى دعاة فلسطين بغزة)، 14-12-2015م

4- الانتفاضة .. الهدف والوسيلة:

أ- هدف انتفاضة الأقصى (2000م): " الانتفاضة بالنسبة لنا كقوى وطنية وإسلامية تهدف إلى دحر الاحتلال من الضفة والقطاع كحد أدنى بلا قيد أو شرط .. إننا نطالب بتحرير كامل فلسطين، هذا وطننا وحقتنا، نحن أصحاب الأرض، وهؤلاء اليهود غزاة ولا علاقة لهم بهذه الأرض إلا الخرافات والأساطير، ونحن مشروعنا قائم على إنهاء وجودهم من هذه الأرض نهائياً، وإن لم يحدث هذا اليوم، فإنه سيحدث في المستقبل ... ولكن لدينا الاستعداد لأن نتوافق مع جميع القوى على برنامج الانتفاضة بهدف دحر الاحتلال من الضفة والقطاع بدون شروط تكبلنا لاستمرار مشروع تحرير كامل أرض فلسطين"⁸³ .

ب- الانتفاضة كوسيلة تحرير: "إذا اتفقنا على الهدف... فيجب أن يكون هناك إجماع على الوسيلة... فهي الانتفاضة التي يمارسها الشعب كله شيوخاً وأطفالاً ورجالاً ونساءً من جهة، والمقاومة المسلحة من جهة أخرى، لذلك نحن لا نقبل بالتحذيرات أو التباكي الذي يصدر عن البعض أحياناً والخوف من عسكرة الانتفاضة، فنحن لا نواجه أفواجاً من السياح، نحن نواجه جيشاً مدججاً بأعتى آلة حربية في المنطقة وربما في العالم، وهذا لا يمكن أن يواجه إلا بالسلاح، فلا بد من إيقاع خسائر بالعدو حتى يصرخ.. هذا الكيان لا يستطيع تحمل الخسائر"⁸⁴ .

ثانياً: الانتفاضة .. إسرائيلياً:

1- الانتفاضة فضحت أكذوبة القوة الصهيونية:

" الانتفاضة الباسلة فضحت أكذوبة جبروت القوة الصهيونية، واثبتت للمفتونين بإسرائيل، والمضبوعين منها في المنطقة كم هو هش وضعيف هذا الكيان، إنها تُعيد سيرة الانتفاضة الأولى التي سمّاها العدو الحرب السادسة، واعترف أنها الحرب الوحيدة التي لم ينتصر فيها، لم تستطع القنبلة النووية الصهيونية يومها هزيمة الحجر الفلسطيني والطفل الفلسطيني في الانتفاضة، لكنهم ضربوا المنطقة كلها بـ (قنبلة التسوية). التي كاد مفعولها على الذاكرة والهوية والانتماء والأرض والتاريخ والحقوق لا يقل خطورة عن مفعول السلاح النووي"⁸⁵ .

2- الانتفاضة عمقت المأزق التاريخي للكيان الصهيوني:

" إنَّ الانتفاضة العظيمة تُعَرِّي هذا الكيان البشع، وتكشف عمق المأزق التاريخي الذي يُعاني منه، لقد نجحت الحركة الصهيونية في إقامة الدولة اليهودية على أرض فلسطين، لكنها لم تنجح في ضمان استمرار وبقاء هذه الدولة... لم يعد الصهاينة قادرين على الادعاء بأنَّ هذه الدولة تُشكِّل ملجأً وملاذئاً آمناً لليهود العالم..

⁸³ - مقابلة مع قناة (أبوظبي) الفضائية، 13-4-2001م

⁸⁴ - المرجع السابق

⁸⁵ - كلمة (المؤتمر الدولي لدعم الانتفاضة)، طهران، 24-25 نيسان 2001م

إنَّ الانتفاضة والمقاومة اليوم تقول ليهود العالم الذين جليتهم الحركة الصهيونية إلى فلسطين، إنَّ أي مكان آخر في العالم هو أكثر أماناً لكم من فلسطين، بل إنَّ فلسطين اليوم هي المكان الوحيد الذي يُقتل فيه اليهود جرّاء ما جنّوه على أنفسهم واقترفت أيديهم من سفك دماء الشعب الفلسطيني واغتصاب لأرضه وحقوقه، ونتيجة لوجودهم في المكان الخطأ... إنَّ الأزمات والشروخ التي تُحدثها الانتفاضة والمقاومة في جسم الكيان اليوم تطرح على العقل الصهيوني مُجدداً الأسئلة المصيرية التي تتعلّق بجدوى المشروع الصهيوني من الأساس وجدوى الاستمرار في العيش في هذه الدولة على حد السيف في انتظار الصعود الجماعي إلى (متسادا) جديدة نحو الانتحار الشامل"⁸⁶.

3- الانتفاضة .. المأزق الإسرائيلي وخطة الهروب:

"إنَّ انتفاضة الأقصى ليست هي الصفحة الأخيرة في صراعنا مع المشروع الصهيوني، لكنها كانت وما زالت صفحة دامية ومؤلمة للعدو الصهيوني ... لقد وضعت في مأزق أمني وعسكري وسياسي واقتصادي وتاريخي وأخلاقي غير مسبوق، لذلك قرر الالتفاف على هذه الانتفاضة بعد أن عجز عن هزيمتها عسكرياً وأمنياً، وذلك بالإعلان عن نيته الهروب من غزة تحت عنوان ما يُسمى بخطة شارون، إنَّ شارون يُريد، أن يهرب من قطاع غزة تحت ضربات المقاومة ليقعنا نحن في فخ الفتنة الداخلية بعد أن يُحررنا من أمضى سلاح في أيدينا، وهو برنامج المقاومة ووحدة شعبنا وقواه المقاومة والمجاهدة"⁸⁷.

⁸⁶ - المرجع السابق

⁸⁷ - كلمة (رثاء شهداء الزيتون)، 6-8-2004م

مصادر الفصل الثالث

- 1- دراسة (الحركة الإسلامية والجهاد في فلسطين) مجلة (المجاهد)، 30-9-2003م
- 2- محاضرة (فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر)، 5-6-2000م
- 3- محاضرة (مستقبل فلسطين بين نهج المقاومة ونهج التسوية)، 22-11-1998م
- 4- محاضرة (مستقبل فلسطين بين نهج المقاومة ونهج التسوية)، 22-11-1998م
- 5- محاضرة (مستقبل فلسطين بين نهج المقاومة ونهج التسوية)، 22-11-1998م
- 6- محاضرة (مستقبل فلسطين بين نهج المقاومة ونهج التسوية)، 22-11-1998م
- 7- محاضرة (مستقبل فلسطين بين نهج المقاومة ونهج التسوية)، 22-11-1998م
- 8- مقابلة مع صحيفة (الحياة) اللندنية، 9-1-2003م
- 9- مقابلة مع صحيفة (الشروق) الجزائرية، 30-8-2010م
- 10- محاضرة (القضية الفلسطينية وانتصار المقاومة في لبنان)، 6-6-2000م
- 11- كلمة رثاء الشهيدان اياد حردان ومحمد عبد العال، 7-4-2001م
- 12- كلمة (المؤتمر الدعوي لملتقى دعاة فلسطين بغزة)، 14-12-2015م
- 13- مقابلة مع قناة (أبوظبي) الفضائية، 13-4-2001م
- 14- مقابلة مع قناة (أبوظبي) الفضائية، 13-4-2001م
- 15- كلمة (المؤتمر الدولي لدعم الانتفاضة)، طهران، 24-25 نيسان 2001م
- 16- كلمة (المؤتمر الدولي لدعم الانتفاضة)، طهران، 24-25 نيسان 2001م
- 17- كلمة (رثاء شهداء الزيتون)، 6-8-2004م

حركات وثورات بعيون رمضان شلح



الباب
الثالث

الفصل الأول: رؤية رمضان شلح للحركة الإسلامية الفلسطينية

المبحث الأول: الحركة الإسلامية الفلسطينية .. مراجعة ونقد

أولاً: نقد حركة (الإخوان المسلمين)

1- كان فتحي الشقاقي عضواً في حركة (الإخوان المسلمين)، التي كانت تُعاني آنذاك من أزمة حقيقية انعكست بشكل أساسي في إهمال المسألة الوطنية وطرح أولويات بديلة، وكذلك الهروب من الهموم الحقيقية والتحديات الجوهرية التي تواجهها الأمة، إلى القضايا الهامشية والشكلية والجزئية، وكان الشقاقي يُركز على مسألة غياب المنهج في تناول وفهم الإسلام والواقع والعالم، الأمر الذي أحدث خللاً في سُلّم أولويات الحركة الإسلامية، وأوقعها في مأزق التعارض الوهمي بين العروبة والإسلام، أو بين الوطنية والإسلام، فبدت الحركة الإسلامية وكأنها لا تملك إجابة للمسألة الفلسطينية، التي بقيت تتراوح بين الإسلاميين وبين الإهمال والتأجيل⁸⁸.

2- على الرغم من دور جماعة الإخوان المسلمين في التربية والوعي الإسلامي بفلسطين لكن الجماعة أجلت الجهاد في فلسطين بحجة الإعداد الفكري والتربوي والمعنوي للأجيال المسلمة في فلسطين، وكان رأي حركة الجهاد أن فقه الانتظار وروحية التأجيل لا يمكن أن تُنتج حالة جهادية تمهد لتحرير فلسطين، وأن خير طريقة للإعداد هي التربية من خلال المواجهة وممارسة الجهاد فعلاً على الأرض⁸⁹.

3- الحركة الإسلامية الفلسطينية طيلة عقد كامل (67-77) لم يكن برنامج المقاومة مطروحاً على جدول أعمالها، وكانت مشغولة بالدعوة والتربية... وخلال العقد التالي (77-87) شهدت مخاضاً كبيراً وعصفاً فكرياً أدى إلى خروج الشقاقي من الإخوان المسلمين وتشكيل (الجهاد الإسلامي)... لم يكن عز الدين القسام حاضراً في أدبيات الحركة الإسلامية الفلسطينية... الشقاقي استحضر تجربة القسام واستلهمها واستفاد منها في بناء حركة الجهاد⁹⁰.

ثانياً: نقد (حزب التحرير الإسلامي)

"على الرغم من إدراك الحزب لعمق قضية فلسطين في أبعادها العقيدية والحضارية وخطورة المشروع الاستعماري الصهيوني، وأن فلسطين لا تُحرر إلا بالجهاد، ولكن الحزب عملياً لم يتبن خيار الجهاد والمقاومة انتظاراً لإقامة (الخلافة الإسلامية)، التي سيتكفل جيشها بمهمة تحرير فلسطين، وهذا ناتج عن فهم خاطئ لطبيعة العدوان الذي تتعرض له الأمة في فلسطين، ولطبيعة الجهاد المطلوب لتحرير فلسطين كجهاد دفع وليس جهاد طلب"⁹¹.

⁸⁸ - مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م.

⁸⁹ - مقابلة مع موقع (الإسلام اليوم)، السعودي، 21-10-2007م.

⁹⁰ - مجلة (ياران) الإيرانية - بدون تاريخ

⁹¹ - مقابلة مع موقع (الإسلام اليوم) السعودي، 21-10-2007م.

ثالثاً: رؤية ومشكلة (التطرف الإسلامي)

" المشكلة لا يمكن اختزالها في عناوين مثل داعش والقاعدة... هناك خلل كبير في كل شيء أدى إلى هذا الانفجار، وكأن كل شيء كان مُركباً على غش وخداع... إنهم يقولون إنَّ ما يفعلونه هو ما كان يفعله النبي محمد... لقد كان وقع هذا الكلام على شخصياً لا يقل عن وقع القنابل والصواريخ التي كانت إسرائيل تُلقِيها على رؤوس أهلنا وشعبنا في غزة... لمواجهة هذا الطوفان نحن بحاجة إلى عملية إصلاح شاملة تبدأ بنظرة الحكومات والدول والنخب إلى الإسلام ودوره في الحياة... وتغيير نظرتهم إلى الإنسان... وانتهاء الاستبداد وبسط الحريات، وتحقيق العدالة... وتصحيح العلاقة بين مكونات الأمة كافة ومختلف الديانات والمذاهب والأعراق، واعتماد المواطنة كقاعدة للبناء الاجتماعي" ⁹².

رابعاً: نقد الحركة الإسلامية في موقفها من القومية والوطنية

1- " لقد حفلت أدبيات الحركة الإسلامية المعاصرة... بالكثير من المواقف التي نظرت إلى القومية العربية باعتبارها رجساً من عمل الشيطان... هذا الموقف المُعادي للقومية العربية ينطلق من ردة الفعل على المحتوى العلماني للمشروع القومي العربي... فامتد موقفها ليشمل العروبة والعرب، مع إغفال أنَّ العرب هم مادة الإسلام وبذرتة، وأنَّ اللسان العربي كان الوعاء الحامل للرسالة... هناك فرق بين القومية والعروبة".

2- كانت الحركة الإسلامية في فلسطين تقول إنَّ الصراع صراع عقائدي ولا علاقة له بالأرض فهي تُراب لا قيمة له، وأنَّ جنسية المسلم عقيدته، وأنَّ الوطنية دعوة جاهلية... ولا فرق بين فلسطين أو أي أرمن أخرى من بلاد المسلمين... وهذا خلط في المفاهيم بين الوطنية والعروبة والإسلام، وتجاهل لواجب تحرير الأرض الإسلامية... وخصوصية أرض فلسطين في الإسلام، ومركزية القضية الفلسطينية الذي بدأه الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي" ⁹³.

⁹² - مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (100)، خريف 2014م.

⁹³ - دراسة بعنوان (حول سؤال الانتماء والهوية)، بدون تاريخ.

المبحث الثاني: الحركة الإسلامية الفلسطينية.. إضافة وإنجاز

أولاً: الحضور الوطني للحركة الإسلامية والمراجعة المطلوبة

تحت عنوان (الحركة الإسلامية والجهاد في فلسطين) كتب رمضان شلح دراسة⁹⁴ مضمونها باختصار ما يلي:

- 1- رغم الدور المبكر للزعامات الإسلامية في النضال الوطني الفلسطيني.. لكن الحركة الإسلامية المعاصرة في فلسطين لم تكن تُدرج ضمن فصائل الثورة الفلسطينية لعدم ممارستها الكفاح المسلح.
- 2- دخول حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين لمجال الكفاح المسلح نقطة تحوّل في تاريخ النضال الوطني الفلسطيني والحركة الإسلامية في فلسطين.
- 3- بعد دخول حركة المقاومة الإسلامية (حماس) لمجال الكفاح المسلح سجلت الحركة الإسلامية حضوراً نوعياً ومميزاً في ساحة الكفاح المسلح، وأحدثت توازناً غير مسبوق في ميزان الرعب في الصراع مع العدو الصهيوني.
- 4- محنة سلطة أوسلو.. ثم عودة خيار المقاومة من بوابة انتفاضة الأقصى.. ومعها عودة الحركة الإسلامية الفلسطينية للعمل الجهادي ... مُتغيرات مهمة فرضت مراجعات ضرورية.
- 5- الحركة الإسلامية الفلسطينية بحاجة إلى مراجعة منطلقاتها وآفاقها وأهدافها ووسائلها وأدواتها.
- 6- الحركة الإسلامية عانت من غياب التأسيس الإسلامي والمنهجي للبرامج والمواقف والخطط التي تطرحها.
- 7- الحركة الإسلامية عانت من عدم وضوح الأهداف والخلط بين الغاية العليا للحركة وبين أهدافها الاستراتيجية والمرحلية في فلسطين .. وضوح الهدف يؤدي إلى وضوح الوسيلة.

ثانياً: دور الحركة الإسلامية الفلسطينية في المشروع الوطني

- 1- في مطلع القرن العشرين اتسمت الحركة الوطنية الفلسطينية بسمتين: أنها نشأت على قاعدة التصدي للمشروع الصهيوني ومقاومته، وأنها نشأت في الحضر العربي الإسلامي، ولم يقع أبي انفصام بين الوطنية والعلوية والإسلام.
- 2- بعد النكبة 1948م كانت حركة التحرر الوطني الفلسطيني جزءاً من حركة التحرر العربي حيث حدث انفصام بين العروبة والإسلام عبّر عنه في الصدام بين التيار القومي والتيار الإسلامي، وانسحب ذلك على فلسطين، فتوارى الإسلام عن الأنظار.

⁹⁴ - دراسة بعنوان (الحركة الإسلامية والجهاد في فلسطين) ملاحظات أولية، مجلة المجاهد، 30-9-2003م.

- 3- بعد هزيمة 1967م وسيطرة حركة فتح على المنظمة التي اتجهت نحو (فلسطين القضية) وغيّرت الميثاق من (الميثاق القومي) إلى (الميثاق الوطني)، ورفت شعار (القرار الوطني المستقل).
- 4- بعد حرب لبنان 1982م وخروج المنظمة من بيروت، ظهر التيار الإسلامي كجزء من الحركة الوطنية الفلسطينية على يد (حركة الجهاد الإسلامي)، ثم (حركة المقاومة الإسلامية)، وكانت - الجهاد وحماس- إضافة نوعية إلى مسيرة النضال الوطني على طريق استعادة الانسجام بين الوطنية والعروبة والإسلام في الحركة الوطنية الفلسطينية، وتعزيز الكفاح المسلح ونهج المقاومة ضد الكيان الصهيوني⁹⁵.

ثالثاً: حركة حماس أهم إنجاز لحركة (الإخوان المسلمين)

"حركة حماس أهم إنجاز لحركة الإخوان المسلمين بعد ظهور الحركة على يد مؤسسها الشهيد حسن البنا عام 1928م، لكن التحدي الذي يواجه حركة حماس اليوم والحركة الإسلامية بمجملها هو الحافطة على هذا الإنجاز الذي لم يتحقق إلا بالجهاد والاستشهاد... علاقتنا بحركة حماس جيدة وفجوة الخلافات التي كانت بينا وبين الإخوان ضاقت إلى حد كبير... فبرغم سلبات العلاقة في الماضي نحن ندرك معاً أنّ خلافاتنا اليوم مهما كان حجمها لا تتناسب وحجم التحديات والمخاطر التي تتعرض لها أمتنا وقضيتنا المركزية فلسطين، التي تستوجب الوحدة... وإذا تعذر تحقيق وحدة الاطار، فنحن حريصون على تحقيق وحدة العمل الإسلامي والنضالي"⁹⁶.

⁹⁵ - مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (100)، خريف 2024م.

⁹⁶ - مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م.

المبحث الثالث: الحركة الإسلامية.. أسئلة الهوية والانتماء

أولاً سؤال الهوية والانتماء.. (من نحن؟)

كتب رمضان شلح دراسة⁹⁷ بعنوان (حول سؤال الهوية والانتماء) جاء في مقدمتها أن مشكلة الهوية والانتماء للأمة العربية تطرح سؤال (من نحن؟)، وللإجابة على هذا السؤال كانت هذه الدراسة التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- 1- إننا أمة واحدة " إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ"، وهي الجماعة البشرية الحاملة لرسالة الإسلام، مهما اختلفت شعوبها وقبائلها وأجناسها وأعرافها.
- 2- إن الرابطة التي تجمع هذه الأمة هي الدين على قاعدة العبودية لله "وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ"، وأساس التقوى "وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ"... فرابطة الدين والعقيدة هي التي تجمع بين أفراد وجماعات وشعوب... الأمة.
- 3- إن هذه الأمة التي صنعها الإسلام هي أمة مُخرجة من قبل الله للناس " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ"، فرسالة الأمة (الإسلام) للناس كافة، وهذا يعكس عالمية الإسلام وخيرية الأمة مرتبطة بتمسكها برسالتها.
- 4- إن العداوة الأشد ضد الأمة المُخرجة للناس هي من اليهود لاعتقادهم أنها تسلبهم دور القيادة والريادة البشرية "تَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا". هذا التحدي الذي يُشكله اليهود للأمة يؤكد مركزية الصراع مع اليهود والمشروع الصهيوني اليوم... لذلك فإن أي مشروع نهضوي للأمة لا يجعل من فلسطين ومواجهة التحدي الصهيوني اليهودي قضية مركزية لا يمكن أن يُكتب له النجاح.

ثانياً: محاولات الحركة الإسلامية للحفاظ على الهوية الإسلامية.. تركيا مثلاً

كتب رمضان شلح دراسة⁹⁸ بعنوان (مدخل إلى فهم الحركة الإسلامية في تركيا) في محاولة للإجابة على سؤال الهوية يمكن اختصارها في النقاط التالية:

- 1- أزمة الهوية في تركيا بين الهويتين الغربية والإسلامية أو الحضارتين الغربية والإسلامية.
- 2- حاول السلطان عبد الحميد التمسك بفكرة (الجامعة الإسلامية) وهوية الدولة الإسلامية للحفاظ على سلطته ودولته.
- 3- التيار المتغرب بزعامة جمعية (الاتحاد والترقي) تستولي على الحكم عام 1923م، وتُلغي الخلافة عام 1924م، وتحسم الصراع بقيادة مصطفى كمال أتاتورك (الثورة الكمالية) وتتجه تركيا نحو الهوية الغربية العلمانية.

⁹⁷ - دراسة بعنوان (حول سؤال الانتماء والهوية)، بدون تاريخ.

⁹⁸ - دراسة بعنوان (مدخل إلى فهم الحركة الإسلامية في تركيا)، مجلة الأمة، العدد (5)، أيار 1992م.

- 4- محاولات الحفاظ على الهوية الإسلامية لتركيا ورموزها: الشيخ محمد أسعد الأربيلي، والشيخ سعيد فهمي، والشيخ سعيد النورسي (بديع الزمان).
- 5- ظهرت في سبعينات القرن العشرين أحزاب نجم الدين أربكان (حزب النظام الوطني؛ حزب الانقاذ الوطني (...).
- 6- ظهر تأثير الثورة الإسلامية في إيران بعد عام 1979م في تشجيع الاتجاه الإسلامي في تركيا، فظهر (حزب الرفاه) بزعامة فتح الله غولان في الثمانينات.
- 7- ظل الصراع بين التيارين: الغربي والإسلامي على أشده في تركيا، وأبرز عناصره هي هوية تركيا بين الغرب والإسلام.

ثالثاً: الهوية الإسلامية.. حضارة أمة وثقافة سلام

- 1- الهوية الإسلامية.. هوية وحضارة أمة
"التيار الإسلامي.. تيار أصيل وما عداه فهم للطارئ المحتاج إلى توطيّن مَضْنٍ ولن يفلح، كما أنّ الغرب وامتداداته المؤسساتية والفكرية يُحاول حصر التيار الإسلامي أو الصحوّة الإسلامية في تنظيم إسلامي أو حالة أو جماعة إسلامية بعينها، ومن ثم يقوم بحمل الحركة الإسلامية في ضوء أداء هذه الجماعة أو تلك مُتغافلاً عن أنّ التيار الإسلامي بدأ منذ البعثة بجمهور الأمة كلها، فالإسلام هو الهوية والانتماء الحضاري لنا جميعاً"⁹⁹.
- 2- الهوية الإسلامية.. هوية وثقافة سلام
"الإسلام لا يرفع سلاحاً إلا رداً على عدوان، ولا يُقاتل إلاّ دفاعاً عن حق مغتصب، وهذا هو الفهم السائد لدى عموم الحركات الإسلامية، وما لجوء بعضها إلى العنف إلاّ رداً على عنف الدولة وإرهابها، فالدولة في بلادنا تملك كل أدوات القمع، وهي دولة متغولة... عنف الدولة لن يولد إلاّ العنف الذي تدفع الأمة ثمنه من دم أبنائها ومواردها وطاقاتها المهدورة"¹⁰⁰.

⁹⁹ - ندوة (المنتدى الحضاري) بدمشق؛ عنوانها: فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر، 5-3-2000م

¹⁰⁰ - المرجع السابق

مصادر الفصل الأول

- 1- مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م.
- 2- مقابلة مع موقع (الإسلام اليوم)، السعودي، 21-10-2007م.
- 3- مجلة (ياران) الإيرانية - بدون تاريخ
- 4- مقابلة مع موقع (الإسلام اليوم) السعودي، 21-10-2007م.
- 5- مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (100)، خريف 2014م.
- 6- دراسة بعنوان (حول سؤال الانتماء والهوية)، بدون تاريخ.
- 7- دراسة بعنوان (الحركة الإسلامية والجهاد في فلسطين) ملاحظات أولية، مجلة المجاهد، 30-9-2003م.
- 8- مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (100)، خريف 2014م.
- 9- مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م.
- 10- دراسة بعنوان (حول سؤال الانتماء والهوية)، بدون تاريخ.
- 11- دراسة بعنوان (مدخل إلى فهم الحركة الإسلامية في تركيا)، مجلة الأمة، العدد (5)، أيار 1992م.
- 12- جريدة (الحياة)، 27-11-1995م.
- 13- جريدة (الحياة)، 27-11-1995م

الفصل الثاني : رؤية رمضان شلح للحركة الوطنية الفلسطينية

المبحث الأول: "نشأة الحركة الوطنية الفلسطينية.. رواية رمضان شلح

أولاً: مراحل نشأة الحركة الوطنية الفلسطينية برواية شلح

1- الحركة الوطنية الفلسطينية قبل النكبة (1948م)

"لقد تشكلت الحركة الوطنية الفلسطينية الراهنة في طورها الأول مع مطلع القرن العشرين وما حمل من أحداث، مثل سايكس بيكو 1916م، ووعد بلفور 1917م، وهزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، والاحتلال البريطاني لفلسطين، والغزو الصهيوني لها، وما صاحب ذلك من قيام حركات مقاومة لهذا الغزو، ونشوء أحزاب سياسية، وظهور رموز وقيادات وطنية في عشرينات القرن الماضي وثلاثيناته، ففي تلك المرحلة ظهرت حركة الشيخ عز الدين القسام، وكان أزهرياً مُعمماً، لكن قيادة الحركة الوطنية انعقدت للحاج أمين الحسيني... الملاحظ أنَّ الحركة الوطنية في تلك المرحلة اتسمت بسمتين مهمتين، الأولى أنها نشأت على قاعدة التصدي للمشروع الصهيوني ومقاومته، والثانية أنها لم تتسلخ من حضنها العربي والإسلامي، لم تُبرر مشكلة الهوية، ولم يقع أي انفصام بين الوطنية والعروبة والإسلام، كانت شخصيه الحاج أمين الحسيني أبرز تعبير عن انصهار الأبعاد الثلاثة في وطنية فلسطينية تتسع للجميع" ¹⁰¹.

2- الحركة الوطنية الفلسطينية بعد النكبة (1948م)

"بعد النكبة عام 1948م، وبالذات في الخمسينات والستينات دخلت الوطنية الفلسطينية طورها الثاني بانضواء الوطني الفلسطيني في إطار القومي العربي في رحلة المد اليساري والقومي وبروز التيارات العلمانية في العالم العربي، فكانت حركة التحرر الوطني الفلسطيني جزءاً من حركة التحرر العربي في تلك المرحلة، حيث انفصام في علاقة العروبة والإسلام عبر عن نفسه في الصدام بين التيار القومي والتيار الإسلامي، وانسحب هذا على فلسطين، فتواري الإسلامي عند الأنظار... واحتفظت الحركة الوطنية بسمة الصدام مع المشروع الصهيوني ومقاومته" ¹⁰².

3- الحركة الوطنية الفلسطينية بعد النكبة الثانية (1967م)

"بعد هزيمة 1967م، وسيطرة فتح على منظمة التحرير، التي نشأت كتعبير عن الكيانية الفلسطينية، بدأ النفس الوطني يأخذ شكل (فلسطنة القضية)، وظهور شعار (القرار الوطني المستقل)، حتى البُعد القومي خرج من المشهد فتم تغيير (الميثاق القومي) إلى (الميثاق الوطني)، كان هذا الطور الثالث لـ (الوطنية الفلسطينية) التي ظلت محتفظة بسمة الصراع مع المشروع الصهيوني ومقاومته، وهو طور سيشهد في نهايته بروز التيار الإسلامي ممثلاً في (الجهاد الإسلامي) أولاً، والتي كان لها السبق في عودة الإسلامي إلى ساحة النضال، ثم (حركة حماس) مع اندلاع الانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة) عام 1978م" ¹⁰³.

¹⁰¹ - مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (100)، 2014م.

¹⁰² - المرجع السابق

¹⁰³ - مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (100)، 2014م.

ثانياً: الثورة الفلسطينية المسلحة .. السياق التاريخي وتجديد الدماء

في مقابلة صحفية¹⁰⁴ شرح رمضان شلح السياق التاريخي للثورة الفلسطينية المسلحة وصولاً إلى تجديد دماء الثورة بنشأة حركتي الجهاد وحماس كجزء من تلك الثورة، ويمكن الخروج من مقابلته بالنقاط التالية:

1- انطلاقاً الثورة الفلسطينية المسلحة عام 1965م جاء ضمن سياق تاريخي طويل من نضال وجهاد شعبنا ضد الغزو الاستعماري الصهيوني لأرض فلسطين... وإيداناً بميلاد مرحلة جديدة في صراع شعبنا مع العدو الصهيوني.

2- تحولت قضية فلسطين من قضية لاجئين إلى قضية شعب تائر ومقاتل له امتداده وعمقه العربي والإسلامي، بل وأصبحت حركة المقاومة الفلسطينية جزءاً من حركة التحرر في العالم، وغدا كفاح شعبنا ونضاله مثلاً لكل المكافحين من أجل الحرية والاستقلال.

3- محطة 1982-1983م وخروج المقاتلين من بيروت كان المنعطف الأكبر الذي ألقى بالثورة إلى متاهات السياسة ومسلسل التنازلات .. وكان البرنامج السياسي المرحلي الذي تبنته منظمة التحرير الفلسطينية عام 1974م وقد فتح الباب لنهج التسوية.

4- جاءت الانتفاضة الأولى عام 1987م لتكون صرخة الشعب في وجه النهج الاستسلامي، ولتمثل نهج نضالي استراتيجي ومشروع مواجهة شاملة استطاعت اختراق الحصار الدولي والعربي الرسمي، وأن تعيد للقضية حيويتها، وللشعب قدرته على صنع المعجزة.

5- أصحاب النهج الاستسلامي رأوا في الانتفاضة مشروعاً للاستثمار لا طريقاً للانتصار، فبيعت الانتفاضة، وبيع دم الشهداء وعذابات الشعب وتضحيات الأمة في أوصلو واتفاقاتها المذلة... والثورة لم تهزم عسكرياً بل هُزمت سياسياً على يد فريق التسوية.

6- لقد جددت الثورة دماءها عسكرياً بالدور البطولي الذي جسده العمليات الاستشهادية التي نفذتها حركتا الجهاد وحماس ... وبعثت الأمل في النفوس بأن شعبنا وأمتنا الأقدر على امتلاك زمام المبادرة في المعركة المصيرية مع العدو.

¹⁰⁴ - مقابلة مع مجلة (فلسطين الثورة)، 14-12-1995م.

المبحث الثاني: نقد الحركة الوطنية الفلسطينية

أولاً: غياب الإسلام كأيديولوجية ثورية

"على الصعيد الوطني كان الإسلام مغيباً، وكان هناك استشهاد بأيديولوجيات وتجارب ومناهج نضالية من العالم إلا التجربة الإسلامية التاريخية التي كان رصيدها هذه الأمة ومبعث وجودها وهويتها في مواجهة كل الغزاة، الإسلام كان مُهمشاً ولم يكن له في فكر وممارسة المشروع الوطني أي دور، هنا طرحت حركة الجهاد الإسلام وفلسطين، وكان رأس الحربة لهذين الركنتين -الإسلام وفلسطين- في مشروعها هو الجهاد، والجهاد المسلح، فالحركة توليفة من الإسلام وفلسطين والجهاد"¹⁰⁵.

ثانياً: فشل المشروع الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية

"المشروع الوطني الفلسطيني بعد النكبة الأولى (1948م) كان تحرير فلسطين المحتلة عام 1948م وعودة اللاجئين إليها، والمشروع الوطني بعد النكبة الثانية (1967م) تأكل تدريجياً وتبلور في البرنامج المرحلي الذي اعتمد عام 1974م كبرنامج سياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية. وبرغم موقفنا الرفض لهذا البرنامج الذي أسس بشكل واضح للانهييار الكامل للمشروع الوطني الفلسطيني اليوم، إلا أن النقطة الثالثة في برنامج النقاط العشر نصت على أن "تناضل منظمة التحرير ضد أي مشروع كيان فلسطيني ثمنه الاعتراف والصلح والحدود الآمنة لإسرائيل". انتهى البرنامج المرحلي إلى مشروع أو سلو وسلطة الحكم الذاتي التي عُرضت على الفلسطينيين طوال الوقت منذ اتفاقية كامب ديفيد مع مصر.. المطلوب من السلطة الفلسطينية تصفية وضرب المشروع الوطني الفلسطيني فيما الاحتلال والاستيطان لازال موجوداً ويتمدد"¹⁰⁶.

ثالثاً: المشروع الوطني استبدل الهدف من التحرير إلى الدولة

"أي مشروع وطني في أي بلد حر ومستقل في العالم يكون من أولوياته الحفاظ على وحدة البلد أرضاً وشعباً وحماية سيادته واستقلاله وهويته، أما إذا كان البلد أو جزءاً من أرضه مُحْتللاً أو مغتصباً من عدو خارجي، فإن المشروع الوطني لأهل هذا البلد لابد أن يكون تحرير الأرض ودحر العدوان ... في حالة فلسطين فالهدف لا بد فعلاً أن يكون تحرير فلسطين وليس إقامة الدولة المستقلة هكذا كان المشروع الوطني الفلسطيني منذ بداية الغزو الصهيوني، وهذا هو الهدف الذي قامت من أجله منظمة التحرير الفلسطينية ومنه استمدت اسمها ... لكن منذ البرنامج المرحلي عام 1974م حدث خلل كبير تأسس عليه لاحقاً استبدال هدف (تحرير الأرض) بهدف (إقامة الدولة)، وتم اعتماد المفاوضات كوسيلة للوصول إلى الدولة فماذا كانت النتيجة؟ البرنامج المرحلي .. تحوّل إلى برنامج دائم أنتج سلطة مُتعايشة مع الاحتلال، سلطة ترفع عن العدو عبء الاحتلال"¹⁰⁷.

¹⁰⁵ - مقابلة مع قناة أبو ظبي الفضائية، برنامج بدون مقدمات، 13-4-2001م.

¹⁰⁶ - مقابلة مع مجلة الدراسات الفلسطينية، (العدد 33)، 1999م.

¹⁰⁷ - كلمة أمام (المؤتمر القومي العربي) الخرطوم، أبريل 2009م.

المبحث الثالث: فكرة (الجماعة الوطنية) عند رمضان شلح

طرح رمضان شلح فكرة (الجماعة الوطنية) في أكثر من موضع ومناسبة، كما طرحها مفكرون إسلاميون آخرون، وقد وضحاها في مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)¹⁰⁸ نقّبتس منها ما يلي:

"هذه الفكرة (الجماعة الوطنية) طرحتها الحركة (الجهاد الإسلامي) في مرحلة مبكرة، وكانت الحركة الإسلامية بجميع تياراتها متأثرة بفكرة (الأُمّية الإسلامية) وأفكار أبو الأعلى المودودي، وموقفه السيء جداً من القومية، وسيد قطب وفكرة (جنسية المسلم عقيدته)، كانت الفكرة بسيطة وهي إنني مسلم واعتز بانتمائي للإسلام، ولكن الانتماء إلى الدين أو الرابطة الدينية لا يلغي الروابط الأخرى، سواء القومية أو الوطنية أو الإنسانية، والرسول - صلى الله عليه وسلم- وضع دستوراً في المدينة وهو المُسمى (الصحيفة)، وأسس وفقه مجتمعاً متعدد الأديان والأنساب والأعراق، حيث الافتراق في الدين لم يمنع بناء كيان سياسي أساسه (المواطنة) لأهله حقوق وواجبات نص عليها الدستور، والمعروف أنّ دستور أو وثيقة المدينة (الصحيفة) عرّف المسلمون بأنهم: "أمة من دون الناس"، وهذه (أمة العقيدة) التي تحدث عنها سيد قطب، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يعرف بها المجتمع العربي جماعة على أساس الإيمان دون النظر إلى أصولهم القبلية أو أنسابهم.

ولكن في فقرة أخرى تحدثت الوثيقة عن اليهود بأنهم .. "أمة مع المؤمنين" أي المسلمين، وهذه (أمة المواطنة السياسية)، وبشكل أوضح نصّت الوثيقة على أنّ "لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم"، لم تكن هذه التجربة النبوية مجرد حدث صغير في تاريخ الإسلام، ولكن التيارات الإسلامية لم تتوقف عندها كثيراً إلا في السنوات الأخيرة".

¹⁰⁸ - مقابلة مع مجلة الدراسات الفلسطينية، (العدد 100)، 2024م.

مصادر الفصل الثاني

- 1- مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (100)، 2014م.
- 2- مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (100)، 2014م.
- 3- مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (100)، 2014م.
- 4- مقابلة مع مجلة (فلسطين الثورة)، 14-12-1995م.
- 5- مقابلة مع قناة أبو ظبي الفضائية، برنامج بدون مقدمات، 13-4-2001م.
- 6- مقابلة مع مجلة الدراسات الفلسطينية، (العدد 33)، 1999م.
- 7- كلمة أمام (المؤتمر القومي العربي) الخرطوم، أبريل 2009م.
- 8- مقابلة مع مجلة الدراسات الفلسطينية، (العدد 100)، 2024م.



الفصل الثالث: رؤية رمضان شلّح لإيران الثورة وحزب الله المقاوم

المبحث الأول: مرتكزات الموقف من إيران والحزب والشيعة

في مقابلة مع موقع (الإسلام اليوم) ¹⁰⁹ حدد رمضان شلّح مرتكزات الموقف من إيران والحزب والشيعة نستمد منه النقاط التالية.

1- حركة الجهاد هي حركة مقاومة إسلامية سنية، عقيدتها عقيدة أهل السنة والجماعة، التي هي في الخريطة العقيدة والمذهبية للأمة عقيدة المسلمين في فلسطين التي تخلو من أي مذاهب إسلامية أخرى.

2- إنّ حركة الجهاد... لو كان لديها أي ميل أو اعتناق لأي مبدأ أو فكر أو انتماء غير انتمائها لعقيدة أهل السنة والجماعة، وقبل ذلك انتمائها للإسلام العظيم فإنها... تملك من الشجاعة والثقة بالنفس ما يجعلها أن تفصح بها دون تردد.

3- نحن في حركة الجهاد لا نكفر أحداً من أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وسلاح التكفير برأينا هو أخطر سلاح يفتك بالأمة من داخلها اليوم، وعقيدتنا منذ نشأة الحركة هي عقيدة أهل السنة والجماعة التي تحتاط وتحترز فيه أشد الاحتياط والتحرز.

4- بالنسبة للشيعة فموقفنا منهم هو موقف جمهور الأمة الذي يعتبرهم مسلمين من أهل القبلة، بيننا وبينهم خلاف، لكنه لا يخرج من الملة، وقد أكدت كل كتب ومصادر أهل السنة في الفرق الإسلامية على أن الشيعة -عدا الغلاة- من فرق المسلمين.

5- نحن في حركة الجهاد حركة مقاومة واجبها الأول والمباشر هو قتال العدو الصهيوني في فلسطين، لذا فنحن نلتقي مع كل من يُقاتل إسرائيل أو يُعاديها، سواء كان من السنة أو الشيعة، أو حتى كان من غير العرب والمسلمين، وإنّ أي إقحام لقضايا السجال المذهبي أو العقائدي .. إنما يهدف إلى إحداث الفتنة التي ينفخ فيها الأعداء بهدف تفكيك الأمة وتفجيرها من داخلها.. وصرف أنظارنا عن عدونا الحقيقي، وحرف بوصلة جهادنا عن وجهتها الصحيحة.

6- نحن أيدنا الثورة الإسلامية الإيرانية ... ولم يكن تأييدنا للثورة على خلفية مذهبية، كان درس الثورة بالنسبة لنا هو درس نهوض الشعوب لتغيير المنكر واسترداد حقوقها المضیعة بأيديها.. وهذا ينطبق على علاقتنا بحزب الله الذي نرى في انتصاره على الكيان الصهيوني عام 2000م وعام 2006م، انتصاراً للعرب والمسلمين ... واثبت أنه لا يوجد عدو لا يقهر إذا وجد الجهاد ووجدت الإرادة والإيمان والتضحية.

¹⁰⁹ - مقابلة مع موقع (الإسلام اليوم)، 21-10-2007م.

المبحث الثاني: عوامل الانتصار من وحي ثورة إيران ومقاومة الحزب

أولاً: عوامل الانتصار من وحي ثورة إيران

1- مما لا شك فيه أنّ انتصار الثورة الإسلامية في إيران كان أهم حدث في تاريخ الإسلام والمسلمين في الثلث الأخير من القرن العشرين، وهناك عوامل كثيرة أسهمت في انتصار الثورة، ولكن بنظرنا هناك ثلاثة عوامل أساسية صنعت الانتصار، هي:

أ- إسلامية الثورة: حيث الإسلام هو المفجر لطاقات الأمة والمُحرّك لها.

ب- القيادة الإسلامية الثورية: التي تمثلت في الإمام الخميني -رضي الله عنه - والعلماء حوله.

ج- الجماهيرية: حيث انخرط في الثورة الشعب بأكمله.

وتمكن أن نُجمل هذا بقولنا إنّ تلاحم الشعب الإيراني المسلم والتفافه حول قيادته الإسلامية الثورية تحت راية الإسلام هو الذي صنع الثورة الإسلامية¹¹⁰.

2- ويستنتج رمضان شلّح من كتاب فتحي الشقاقي (الخميني.. الحل الإسلامي والبديل) أهم عاملين لانتصار الثورة، وهما:

أ- الحل الإسلامي: الثورة نهوض من أجل الإسلام وباسم الإسلام، وهو مصدر قوة الأمة ومنبع شخصيتها وكيانها الذي هو الإسلام وقدرتها على توظيف طاقته في مشروع نهوضها وفي خضم بحثها عن موقع لها على المسرح الدولي، فمرجعية الإمام والثورة هي القرآن والسنة والتراث الصالح.

ب- البديل: رفض التغريب داخل المحتوى الفكري للإمام ونهضته، وضد التحديث على النمط الغربي، والتصدي للتبعية للغرب في كل المجالات، فنهضة الأمة يجب أن تقوم على أرضية فكرية تنبثق من الإسلام وليس قادمة من الغرب¹¹¹.

ثانياً: عوامل الانتصار من وحي مقاومة الحزب

في محاضرة في ذكرى رحيل الإمام الخميني وانتصار المقاومة في لبنان بدمشق¹¹² استنتج رمضان شلّح ثلاثة عوامل لانتصار المقاومة في لبنان، هي:

أ- عامل الإنسان: إنّ المقاومة انتصرت بفضل إنسان المقاومة، الذي واجه الدبابة والطائرة والصاروخ والسلاح الإسرائيلي المتمور... الإنسان المقدم إلى الموت بفرح باحثاً عن الشهادة.

¹¹⁰ - مقابلة مع جريدة (الفجر) الإيرانية، 6-2-1997م.

¹¹¹ - كلمة في الذكرى (33) لانتصار الثورة الإسلامية في إيران، 2003م.

¹¹² - محاضرة في ذكرى رحيل الإمام الخميني وانتصار المقاومة في لبنان، دمشق، 4-6-2000م.

- ب- عامل الوحدة: إنّ الشعب اللبناني بكامل قواه وبكامل طوائفه والسلطة والمقاومة في تكامل وظيفي مبدع، استطاعوا أن يحققوا نوعاً من الانسجام الداخلي المنقطع النظير.
- ج- عامل القوة: استطاعت المقاومة أن تطور إمكانياتها العسكرية والتقنية، واستطاعت كحالة مقاومة شعبية أن تفرض نوعية السلاح وتوقيت المعركة وموقعها وإمكانها، فأبطلت مفعول القوة العسكرية الإسرائيلية. وفي موضع آخر¹¹³ تحدث عن أسباب انتصار حزب الله بالنقاط التالية:
- 1- العامل البشري (إنسان المقاومة): التفوق النوعي في إرادة القتال والروح المعنوية...
 - 2- العقيدة الصلبة: زرعت روح التضحية والفداء والانضباط والإيمان بالله والقضية...
 - 3- نظام التعبئة: الجمع بين التنظيم الحديدي المغلق، والتيار الجماهيري المفتوح....
 - 4- القيادة الموحدة للمقاومة: التي رأس حربتها حزب الله وقدرتها على إدارة المعركة العسكرية والسياسية بكفاءة.

¹¹³ - محاضرة بعنوان (القضية الفلسطينية وانتصار المقاومة في لبنان)، دمشق، 6-6-2000م

المبحث الثالث: الثورة الإسلامية في إيران.. مفارقات وإضاءات

أولاً: الثورة الإسلامية في إيران .. مفارقات:

1- خروج مصر.. ودخول إيران:

"انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام 1979م بقيادة الإمام الخمينية - رضي الله عنه- تزامن مع خروج مصر من المعركة مع إسرائيل بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد، وخروج مصر من المعركة ألقى بعبء الصمود والمواجهة كاملاً على سوريا، ومن رحمة الله بالأمة الإسلامية وبسوريا والعرب جميعاً كان انتصار الثورة الإسلامية وسقوط نظام الشاه الحليف الاستراتيجي لإسرائيل في المنطقة، ولنا أن نتخيل كيف يمكن أن يكون شكل المنطقة لو تزامن كامب ديفيد مع بقاء نظام الشاه مغروساً في قلب الأمة وقاعدة استراتيجية للمشروع الغربي الصهيوني في المنطقة¹¹⁴.

2- حرب انتهت .. وحرب بدأت:

"عندما واجهت الثورة تحدي الحرب المفروضة، التي جاءت ضمن سياق المؤامرة الأجنبية على الثورة ومحاوله اجهاضها منذ اليوم الأول، الثورة رفعت شعار (حرباً حتى النصر... زحفاً حتى القدس). وعندما صدر قرار وقف الحرب وقال الإمام الخميني عبارته الشهيرة "إن تجرع السم أهون علي من وقف الحرب"، والمفارقة هنا أن الله قد أبدله حرباً خيراً من تلك الحرب، حرباً هي أقرب في الزحف نحو القدس، وأنها على تخوم الكيان الصهيوني الغاصب للقدس، حرباً خاضها أبناء وتلاميذ الإمام الخميني من جنود حزب الله والمقاومة الإسلامية ضد خبير الجديدة¹¹⁵.

3- سقوط القدس.. وانتصار الثورة:

ينطلق الدكتور رمضان شلح من كتاب الدكتور فتحي الشقاقي (الخميني - الحل الإسلامي والبديل)، ليتحدث عن الإمام النموذج والمشروع الإسلامي النهضوي الحضاري، ويبدأ من قوله: "على المستوى المشرق الإسلامي إذا كان سقوط الدولة العثمانية عام 1924م، وقيام الكيان الصهيوني عام 1948م أهم حدث في النصف الأول من القرن العشرين، فإن انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام 1979م كان الحدث الأبرز بعد سقوط القدس عام 1967م في النصف الثاني من القرن العشرين ... الكيان الصهيوني والجمهورية الإسلامية نقيضان وقلعتان، أحدهما لمطلق الشر والآخر لمطلق الخير المحكومين بالصراع في الحياة"¹¹⁶.

¹¹⁴ - محاضرة في ذكرى رحيل الإمام الخميني وانتصار المقاومة في لبنان، دمشق، 4-6-2000م.

¹¹⁵ - المرجع السابق

¹¹⁶ - كلمة في الذكرى (33) لانتصار الثورة الإسلامية الإيرانية، دمشق، 2002م.

ثانياً: الثورة الإسلامية في إيران. إضاءات :

1- إمكانية النهوض من جديد

"بعد نقطة الصفر وفي نفس العام الذي تصل فيه نقطة السالب بالاعتراف بشرعية إسرائيل والتوقيع على كامب ديفيد ، كانت الأمة على موعدٍ مع نقطة مُضيئة من الله، على قدر جاء الامام الخميني - رضوان الله عليه - وفجر الثورة الإسلامية في مثل هذا الوقت قبل (23) عاماً ليقول للغرب، صحيح أنَّ الأمة تضعف وأنَّ الأمة تهمد، لكنها لا تموت، وإذا بالمشروع الإسلامي الذي فجّره الإمام يُمثل بارقة أمل وشمعة مضيئة وسط هذا الظلام الدامس والهيمنة الغربية الكاسحة والهيمنة على العالم، وإذا بالإمام يقرع ويهز أبواب العالم ويقول: إنَّ للإسلام دوراً، وإنَّ للمسلمين قدرة، وإنَّ إمكانية النهوض من جديد ليبدأ الإسلام دورة حضارية جديدة وهجوماً إسلامياً مُضاداً، هذه الفرصة لا زالت قائمة، وشرارة الانطلاق كانت لحظة انتصار الإمام الخميني¹¹⁷ ...

2- الإسلام منطلق الثورة:

"الثورة الإسلامية كانت حدثاً فريداً ليس في تاريخ الإسلام والمنطقة فقط، بل والعالم كله، فقد مثلت الثورة الإسلامية نقطة فاصلة في تاريخ النهوض الإسلامي، البعض كان يعتقد أنَّ الإسلام شيء يتعلق بالماضي، الإمام الخميني - رحمه الله - جاء بالثورة لديك حصون هذا العالم ويوقظ النائمين ويقول لهم إنَّ الإسلام جاء من جديد لقيادة الحياة، هذا الحدث على هذا المستوى كان له دور كبير في إيقاظ ضمائر ومشاعر وعقول الفلسطينيين لبحثوا من جديد على موقعية الإسلام في حياتهم وعن قربهم وبعدهم من هذا الإسلام"¹¹⁸.

3- التغيير يبدأ من النفس:

"إنَّ الإمام الخميني - رحمه الله - والثورة الإسلامية أبرز قدرة الشعوب على التغيير، إذا عمَّ الظلم والطغيان، لا يمكن أن ننتظر أن يأتي الله - سبحانه وتعالى - بمعجزات وأن تكون من القاعدين منتظرين أن تهبط علينا منح من السماء لتغير أحوالنا، كلا " إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ "، الإمام الخميني أخذ زمام المبادرة وفجر الثورة الجماهيرية التي غيرت واقعها وأنهت الظلم والفساد"¹¹⁹.

¹¹⁷ - المرجع السابق.

¹¹⁸ - مقابلة مع وكالة (قدسنا) للأنباء، طهران، 12-2-2007م.

¹¹⁹ -

مصادر الفصل الثالث

- 1- مقابلة مع موقع (الإسلام اليوم)، 21-10-2007م.
- 2- مقابلة مع جريدة (الفجر) الإيرانية، 6-2-1997م.
- 3- كلمة في الذكرى (33) لانتصار الثورة الإسلامية في إيران، 2003م.
- 4- محاضرة في ذكرى رحيل الإمام الخميني وانتصار المقاومة في لبنان، دمشق، 4-6-2000م.
- 5- محاضرة بعنوان (القضية الفلسطينية وانتصار المقاومة في لبنان)، دمشق، 6-6-2000م.
- 6- محاضرة في ذكرى رحيل الإمام الخميني وانتصار المقاومة في لبنان، دمشق، 4-6-2000م.
- 7- محاضرة في ذكرى رحيل الإمام الخميني وانتصار المقاومة في لبنان، دمشق، 4-6-2000م.
- 8- كلمة في الذكرى (33) لانتصار الثورة الإسلامية الإيرانية، دمشق، 2002م.
- 9- كلمة في الذكرى (33) لانتصار الثورة الإسلامية الإيرانية، دمشق، 2002م.
- 10- مقابلة مع وكالة (قدسنا) للأنباء، طهران، 12-2-2007م.
- 11- مقابلة مع وكالة (قدسنا) للأنباء، طهران، 12-2-2007م.

قضايا ومفاهيم في فكر رمضان شلح



الباب
الرابع

الفصل الأول: الوحدة في فكر رمضان شلح

المبحث الأول: فلسطين قضية الأمة المركزية.. لماذا وكيف؟

أولاً: الأمة الإسلامية.. أمة واحدة يوحدتها الإسلام

1- أمة واحدة تجمعها رابطة الدين

أ- إننا أمة واحدة، "إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ"، الأمة هي الجماعة البشرية الحاملة لرسالة الإسلام، وتضم مختلف الشعوب الإسلامية مهما اختلفت قومياتها ولغاتها وألوانها.
ب- إنَّ الرابطة التي تجمع الأمة الإسلامية هي الدين على قاعدة العبودية لله "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا"، وحبل الله هو دين (الإسلام) "وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ"¹²⁰.

2- الدين الإسلامي والخطر الصهيوني.. قواسم مشتركة للوحدة

"نحن أمة لم تتوحد عبر تاريخها إلا بالإسلام، فالإسلام وحده هو الذي يستطيع توحيد المسلمين، هذه حقيقة بل مُسَلِّمة من مُسَلِّمات وجود أمتنا وتاريخها، ولكن إذا كان هذا غير ممكن في الظروف الراهنة لأسباب وتحديات كثيرة، فيجب أن نبحث عن القواسم المشتركة بين كافة قوى الأمة لتحقيق الحد الأدنى من التضامن العربي والإسلامي. إنَّ أول مستلزمات تكوين جبهة.. هو إدراك حجم الخطر الذي يهدد أمتنا من الوجود الصهيوني وإدراك عناصر القوة لدى الأمة"¹²¹.

ثانياً: الوحدة من خلال التعدد في الحركة الإسلامية:

أ- إن كان الإسلاميون يأخذون على الواقع العربي حالة التجزئة والتشرذم ويصفون كل نداءات الوحدة العربية والإسلامية بين الأقطار بعدم المصداقية والجدية، فماذا عن واقعهم وحالهم هم؟
ب- هل يمكن للحركة الإسلامية التي تعيش حالة التشرذم والانقسام.. أن تعد الأمة بوحدتها إذا مكن لها في أقطارها؟

ج- وحدة الحركة الإسلامية لا يعني أن تتحول الحركة في مجموعها إلى فصيل واحد بالضرورة، ولذلك قلنا في البداية (وحدة العمل الإسلامي)، وليس (وحدة الحركة الإسلامية).
د- هذا يعني أنه رغم التعدد والاختلاف في الرأي بين الفصائل المختلفة للحركة الإسلامية، فلا بد من وجود حد أدنى من اللقاء يسمح بصياغة رؤية مستقبلية للعمل الإسلامي¹²².

¹²⁰ - دراسة بعنوان (حول سؤال الانتماء والهوية)، بدون تاريخ.

¹²¹ - مقابلة مع جريدة (الفجر) الإيرانية، 6-2-1997م.

¹²² - دراسة بعنوان (الحركة الإسلامية ومهام المرحلة الراهنة)، مجلة (الأمة)، 1-9-1991م.

ثالثاً: الوحدة طريقة التحرير

في كلمة ألقاها رمضان شلح يوم القدس العالمي¹²³ أكد فيها على أنَّ وحدة الأمة الإسلامية ونهضتها هو الطريقة التحرير فلسطين، وحل إشكالية الجدل حول ثنائية الوحدة والتحرير، ومما جاء في كلمته: " إنَّ وحدة الأمة هي المفتاح لتعديل الخلل في ميزان القوة بيننا وبين عدونا، لذلك فإنَّ الطريق لتحرير القدس وفلسطين يبدأ باستنهاض الأمة لتحقيق وحدتها، إنَّ الجدل حول ثنائية الوحدة والتحرير أصبح محسوماً في عقولنا ووعينا، فلا بد من تحقيق الوحدة لبلوغ هدف التحرير، وإذا كانت الوحدة العضوية أو الكيانية السياسية صعبة أو مستحيلة اليوم ... فلنتفق على : وحدة هدف، ووحدة قضية، ووحدة مصالح، ووحدة أولويات صحيحة، ووحدة القاسم المشترك الذي يُمكن أن يجمع الأمة رغم اختلاف مشاربها. في يوم القدس نستطيع أن نقول أنَّ القدس هي القاسم المشترك الذي يُمكن أن يجمع الأمة، والقاسم المشترك الذي يُمكن أن يتجاوز واقع التجزئة والشرذمة، والقدس عنوان لوحدة الأمة، ويجب أن يُصبح هذا العنوان برنامجاً للعمل.

إنَّ تحقيق الوحدة في هذا البرنامج يُمكن أن يتم على مستويين:

المستوى الأول: تحقيق وحدة هذا الوطن

المستوى الثاني: تحقيق وحدة أهل القبلة

... وحدة (أهل الوطن)، ووحدة (أهل القبلة) هو الأساس الذي يُرشد المسيرة ويحقق التحام الأمة والتفافها حول الخيار الذي يُقربها إلى القدس وفلسطين ويضع أقدامنا على طريق النصر والتحرير... إنه خيار الجهاد والمقاومة.

¹²³ - كلمة في (يوم القدس العالمي)، 2008م.

المبحث الثاني: الوحدة الوطنية

أولاً: مرتكزات الوحدة الوطنية

يرى رمضان شلح أنَّ الوحدة الوطنية الفلسطينية في مرحلة الكفاح الوطني ليست ترفاً وليست خياراً، بل إنها واجب وضرورة مصيرية، وشرط وجود للكل الفلسطيني، ويستشهد على ذلك بشعارات الشعب في مرحلة الانقسام "الشعب يُريد إنهاء الانقسام .. الشعب يُريد إنهاء الاحتلال" فالتخلص من الانقسام والاحتلال هدفان مُتلازمان، لأنَّ الوحدة والحرية وجهان لعملة واحدة... ويخرج رمضان شلح من هذا الاستنتاج إلى تحديد أربعة مرتكزات للوحدة الوطنية هي ¹²⁴:

1- الهدف:

ليس هناك حركة تحرر وطني في التاريخ اعترفت بعدوها قبل تحقيق أهدافها... منظمة التحرير اعترفت بعدوها في مقابل اعترافه بها كمؤسسة... حتى لو اختار الشعب الفلسطيني المرحلية وتجزئة الأهداف كان ينبغي أن يُترك أمر الاعتراف والصلح للشعب الفلسطيني كله عندما يصبح له دولة ليقرر.. فهذا خطأ استراتيجي فادح في إدارة الصراع.

2- الوسيلة:

وسيلة الوصول إلى الهدف (التحرير) هل هي المفاوضات أم المقاومة؟، أظن أنَّ تجربة المفاوضات ومعاركة غزة تُجيبان على هذا السؤال، فالأولى وصلت إلى طريق مسدود وأثبتت عقم هذا الخيار، والثانية تفتح أفقاً جديداً للمقاومة، ويكفي التفاف الشعب حولها، واستعداده لتحمل تكلفتها العالية.

3- المؤسسات:

السلطة.. هي التي تحرف المسار الوطني من صراع مع الاحتلال إلى صراع فلسطيني -فلسطيني على السلطة والمنظمة... فتحوّلت إلى مشكلة.. وتجادب داخلي.. بدلاص من أن تكون الإطار الجامع للكل الفلسطيني ووعاء الشراكة في القرار... كي تُجسّد المنظمة من جديد الهدف الذي قامت من أجله (تحرير فلسطين).

4- التهديد:

التهديد الإسرائيلي... إنَّ شراسة العدوان الصهيوني الذي يستهدف الأرض والإنسان والمقدسات، أو التاريخ والجغرافيا، تفرض علينا أن نتجاوز الكثير من التناقضات الثانوية بيننا، وأنَّ يظل التناقض الرئيسي لنا جميعاً هو مع دولة الاحتلال. لا شك أنَّ التهديد الإسرائيلي عامل توحيد كبير، لكن هذا لن يحدث برأي شلح دون الوقوف بشجاعة وشفافية لإجراء مراجعة لكل العناوين السابقة، حتى يتم تصحيح المسيرة وتصويب المسار.. لتحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية في مرحلة الكفاح الوطني لتحرير فلسطين.

¹²⁴ - - مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (100)، خريف 2014م.

ثانياً: الوحدة من خلال التعدد بين حماس والجihad:

"رغم سلبيات العلاقة في الماضي بين حركتي حماس والجihad نحن ندرك معاً أنّ خلافاتنا اليوم مهما كان حجمها لا تتناسب مع حجم التحديات والمخاطر التي تتعرض لها أمتنا وقضيتنا المركزية فلسطين التي تستوجب الوحدة، فالوحدة بالنسبة لنا هي الهدف الأكبر، وإذا تعذر تحقيق وحدة الإطار، فنحن حريصون على وحدة العمل الإسلامي والنضالي ... ليس مطلوباً أن نكون نسخة كربونية تحمل رؤية موحدة لكل شيء، المهم أن نؤسس نوعاً من التعايش الأخوي والتنوع الإيجابي والتعاون في طلب الحق من أجل بلورة مواقف مشتركة إزاء القضايا المصرية للأمة، نحن نسعى جادين لتحقيق المُواخاة والتناصر في السراء والضراء بين الحركتين وصولاً إلى الوحدة الكاملة إن شاء الله" ¹²⁵.

ثالثاً: الوحدة من خلال التعايش بين برنامجي المقاومة والمساومة

"رؤيتنا قائمة على أنّ هناك برنامجين في الساحة الفلسطينية، برنامج المقاومة وبرنامج المفاوضات السياسية والتسوية، ولا يمكن الجمع بينهما، ولكن يمكن أن يتعايش أصحاب البرنامجين، بأن لا يلغي كل طرف الطرف الآخر... أي أننا نؤمن بالشراكة لكن ليس على قاعدة الخلط بين البرنامجين، بل على قاعدة التمايز وتوزيع الأدوار، إلى أن تتحسن موازين القوى المحلية والإقليمية والدولية، أمّا هذه المرحلة التي فيها ضعف للوضع العربي والإسلامي والانحياز المطلق لإسرائيل دولياً وأمريكياً ليست هي المرحلة التي يدخل فيها الشعب الفلسطيني في تدافع وتنازع داخلي على الخيارات والبرامج" ¹²⁶.

¹²⁵ - مقابلة مع مجلة (الدراسة الفلسطينية)، العدد (37)، شتاء 1999م.

¹²⁶ - مقابلة مع صحيفة (الشرق) القطرية، 23-3-2008م.

مصادر الفصل الأول

- 1- دراسة بعنوان (حول سؤال الانتماء والهوية)، بدون تاريخ.
- 2- مقابلة مع جريدة (الفجر) الإيرانية، 6-2-1997م.
- 3- دراسة بعنوان (الحركة الإسلامية ومهام المرحلة الراهنة)، مجلة (الأمة)، 1-9-1991م.
- 4- كلمة في (يوم القدس العالمي)، 2008م.
- 5- مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (100)، خريف 2014م.
- 6- مقابلة مع مجلة (الدراسة الفلسطينية)، العدد (37)، شتاء 1999م.
- 7- مقابلة مع صحيفة (الشرق) القطرية، 23-3-2008م.

الفصل الثاني: العروبة في فكر رمضان شلح

المبحث الأول: نقد المشروع القومي العربي

يرى الدكتور رمضان شلح أنَّ أفكار المشروع القومي العربي لإعادة بعث الأمة الواحدة لم تسلم من حالة التبعية للفكر الغربي، فطرحت وحدة الأمة على أساس عناصر، مثل: وحدة اللغة، ووحدة المصالح، ووحدة الإرادة، ووحدة الأرض والإقليم، ووحدة التاريخ والتراث المشترك ووحدة المصير المشترك ... دون إشارة صريحة إلى الدين كعامل توحيد مع حصره في التراث الروحي للأمة، واتهامه من بعض القوميين أنَّه عامل تفريق بسبب وجود المسيحيين العرب، وعامل تخلف ورجعية عند (التقدميين) ، هذا الطرح بنظر رمضان شلح يُثير بعض الملاحظات التي أجملها في دراسته (حول سؤال الانتماء والهوية) ¹²⁷ بالآتي:

- 1- يغفل دور الدين الإسلامي في أصل نشأة هذه الأمة، رغم وجود العرب قبل الإسلام كقبائل متناحرة يسودها البؤس في كل مناحي الحياة الدينية والسياسية والثقافية والاقتصادية.
- 2- يغفل طريقة التكوين التاريخي للأمة ودور الإسلام في إنشائها من جماعات وشعوب مختلفة جمعتها رابطة العقيدة التي لا تحدها جغرافيا ولا تلغيها مصلحة.
- 3- دعاة الحداثة من أصحاب المشروع القومي وقعوا في ذات التناقض الذي عانت منه الفلسفة الغربية في النظرة إلى العقل، فمن تأليه العقل كمرجعية مطلقة إلى عدم اعتبار العقل من محددات الانتماء.
- 4- تبني العلمانية كمحتوى ومضمون اجتماعي وثقافي للمشروع القومي بحجة أنَّ الدين يستبعد الآخر غير صحيح ... فقد عاش اليهود والنصارى أزهى عصورهم في ظل حضارة الإسلام تحت قاعدة (لا إكراه في الدين).
- 5- عندما وقف القوميون ضد فكرة (الرابطة الإسلامية)، وثاروا على الدولة العثمانية، فانتقلوا إلى التحالف مع بريطانيا عدوة العرب والمسلمين وحليفة المشروع الصهيوني.

¹²⁷ - دراسة بعنوان (حول سؤال الانتماء والهوية)، بدون تاريخ.

المبحث الثاني: العروبة والإسلام

أولاً: عروبة رسالة الإسلام

" يقول الله تعالى مخاطباً رسوله الكريم "إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ"، ولم يقل القرآن للنبي "لك ولأمتك"، بل قال "لك ولقومك"، الذين هم العرب ليؤكد أن الذكر (الإسلام) أرسل لهم ابتداءً، وعلى عاتقهم وقعت مسألة توصيله للناس كافة، "وسوف تُسألون"، وقد ذكر القرآن عروبة الرسالة إحدى عشرة مرة، تارة بوصفها "قرآناً عربياً"، وتارة "حكماً عربياً"، وأخرى "لسان عربي" ... الإسلام جعل من العروبة ظاهرة عالمية.. الرسالة عالمية لكن وعاء أو وسيلة نقلها (اللغة) عربية ... ولا يُعقل الفصل بين محتوى الرسالة ووعائها بجعل الأولى عالمياً والإبقاء على الثاني محلياً، إنَّ الدمج المُعجز بين المحتوى والوعاء واضح في قوله تعالى: " وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ"، فاللسان هنا هو القرآن أو الرسالة بمحتواها ولغتها وبالمضمون والخطاب".

ثانياً: العرب مادة الإسلام

"هناك معركة مؤسفة وطاحنة بين جناحي الأمة الأساسيين: العروبة والإسلام، والفصام النكد الذي وقع طيلة عقود مضت بين العروبة والإسلام لم يكن مطلقاً في صالح هذه المعركة التي تخوضها الأمة.. كم يُساوي العرب بدون الإسلام؟، العرب مسيحيون ومسلمون، لقد عاش المسيحيون واليهود في ظل الدولة الإسلامية آمنين.. العرب هم مادة الإسلام، القرآن هو لسان عربي ... لماذا يكون لنا مشكلة داخل البيت تحت عنوان عروبة وإسلام؟!، الإسلام الذي نستمد منه مفاهيم وقيم الاستشهاد والجهاد والمقاومة والكفاح وعدم إعطاء الدنية في ديننا، وعدم إعطاء الدنية في أرضنا وعرضنا... لا أحد له مشكلة مع هذا الإسلام؛ المشكلة مع الانحرافات والأخطاء التي تُرتكب باسم الإسلام، وهي ليست من الإسلام".

ثالثاً: القومية شيء والعروبة شيء آخر

" في الأساس النظري أنا أؤمن أن هناك فرقاً بين العروبة والقومية.. العروبة شيء والقومية شيء آخر.. العروبة مُلتصقة بالإسلام، بل هي الوعاء الذي نشأ فيه، واختيار العرب لحمل رسالة الإسلام من قبل الله عز وجل - لم يكن عرضياً- حمل العرب الرسالة وكانوا أهلاً لهذا الاصطفاء الرباني، ونظراً لعالمية الرسالة دخلت شعوب أخرى وأقوام أخرى الإسلام، وذابت وانصهرت فيه، بل إنَّ كثيرين تعرَّبوا بالإسلام، فعلاقة العروبة والإسلام أكثر من أن تقول عنها وجهين لعملة واحدة، بل هي عملة واحدة جوهرها دين الإسلام كنظام حياة ولسانها وابدجيتها العربية...

¹²⁸ - مقال بعنوان (ما جرى في الخرطوم ويجري في غزة)، جريدة (الاستقلال)، غزة، 2-4-1995م.

¹²⁹ - محاضرة بعنوان (الانتفاضة: طبيعة الصراع وإدارته وأدواته وأفقه)، دمشق، 11-6-2001م.

الاصطفاء الرباني للعرب لحمل الرسالة لم يكن على أساس تفوق عرقي على طريقة (شعب الله المختار)، وهذا الفهم لمسألة القومية هو الذي يُثير قوميات أخرى ويجعلها تبحث عن ذاتها وهويتها في إطار الكيانية الكبرى للأمة، الكيانية التي أنشأها الإسلام لتتسع كل الشعوب وكل الأجناس وكل الألوان على قاعدة (إنَّ أكرمكم عند الله اتقاكم).

عندما نطرح القومية على الطريقة الأوروبية في الأمة نجد أنفسنا أمام قومية تركية طورانية، وقومية كردية، وقومية فارسية، وقومية عربية، وغيره وهذا تقزيم للعروبة وهبوط بها عن المستوى والدور الذي أراده الله لها، بل هو فك ارتباط بينها وبين الإسلام، كما أنَّ القومية بذلك تتحوّل إلى أداة تفسيح وتفتيت للأمة لا طريق للوحدة، وهذا ما حدث عندما حاول البعض محاكاة أتاتورك واختار العلمانية كمحتوى أيديولوجي للمشروع القومي العربي" ¹³⁰.

¹³⁰ - مقابلة مع جريدة (الأهرام) المصرية، بدون تاريخ.

مصادر الفصل الثاني

- 1- دراسة بعنوان (حول سؤال الانتماء والهوية)، بدون تاريخ.
- 2- مقال بعنوان (ما جرى في الخرطوم ويجري في غزة)، جريدة (الاستقلال)، غزة، 2-4-1995م.
- 3- محاضرة بعنوان (الانتفاضة: طبيعة الصراع وإدارته وأدواته وأفقه)، دمشق، 11-6-2001م.
- 4- مقابلة مع جريدة (الأهرام) المصرية، بدون تاريخ.

الفصل الثالث: الشهادة في فكر رمضان شلح

المبحث الأول: ظاهرة الاستشهاديين والعمليات الاستشهادية

أولاً: العمليات الاستشهادية مشروعة دينياً

1- العمليات الاستشهادية برأينا قُربى دينية وضرورة سياسية وعسكرية تقتضيها طبيعة المواجهة مع العدو، وهي في فهمنا للإسلام من أشرف درجات الجهاد؛ كما يقول العلماء، فنزول المجاهد للقتال بقصد إيقاع إصابات أو إلحاق الضرر بالعدو أو بث الرعب في صفوفه، وذلك بدون أي تفكير للرجوع من المعركة حياً سواه بعض العلماء (الاستشهاد المبرر) وكتب التفسير والحديث والسيرة والفقه مليئة بآراء أئمة العلماء والمذاهب التي تصب جميعها في اتجاه الحكم بمشروعية العمليات الاستشهادية ضد اليهود الغاصبين لفلسطين، لقد أجاز العلماء أن ينزل نفر واحد من المسلمين لمقاتلة ألف من جنود العدو بما يعني الموت المحتوم إذا كان يبتغي وجه الله وقهر العدو.

2- في تفسير القرطبي للقرآن الكريم ورد ما معناه: " لا بأس أن يحمل واحد من المسلمين على ألف من المشركين، إذا كان فيه نفع للمسلمين، فتلفت نفسه لإعزاز دين الله، فهو المقام الشريف الذي وعد الله به المؤمنين في قوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ".

3- تاريخ المسلمين حافل بقصص البطولة والفداء التي نفذ فيها المسلمون عمليات استشهادية في حدود أدوات وإمكانات عصرهم، الصحابي الجليل البراء بن مالك حمله الصحابة وألقوه في الحديقة التي سُميت حديقة الدم يوم موقعة اليمامة ليفتح للمسلمين باب الحديقة الذي تترس خلفه الأعداء، والصحابة في البداية رفضوا الاستجابة لطلبه إشفاقاً عليه، لأنهم أدركوا أنه يطلب الموت المؤكد وربما لا يتمكن من تحقيق الهدف، لكنهم أمام إصراره واستعداده للموت فعلوا ذلك وألقوه وحيداً طعماً لسيوف العدو، وغيرها من الأمثلة مثل قصة الفيلة يوم موقعة الجسر حين ألقى المسلمون بأنفسهم بين أقدام الفيلة لقطع حبالها، فداست الفيلة قادة من أبطال المسلمين¹³¹.

ثانياً: العمليات الاستشهادية ليست انتحاراً

بالنسبة للأمل في النجاة فالقرآن وصف القتال في بعض الآيات بالموت " إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ"، على اعتبار أن خوض القتال يعني احتمال وقوع الموت بدرجة عالية جداً... والخروج للقتال يعني الخروج للموت، وثواب المجاهد يكون أعظم، ودرجته عند الله أعلى كلما زادت درجة تأكد الموت وقلت

¹³¹ - - مقابلة مع قناة (المستقلة)، 6-5-1996م.

احتمالات نجاته في العملية التي يقوم بها، والقصة المشهورة في موقعة بدر أن عوف بن عفراء سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده؟، فقال: " أن يراه غمس يده في القتال حاسراً"، أي قاتل بدون درع، فنزع عوف درعه و تقدم فقاتل حتى قُتل شهيداً... فأراد أن يضمن الشهادة حتى يُرضي ربه. عن قتل المسلم بسلاحه لا بسلاح عدوه، فهذه مسألة مُعتبرة في الفقه الإسلامي، فهناك ما يُعرف بقاعدة (التترس)، بمعنى إذا تترس العدو بأسرى المسلمين وصنع منهم جداراً بشرياً يحتمي خلفه من ضربات المسلمين، أجاز الفقهاء ضربهم بسلاح المسلمين إذا كان هناك ضرورة لقتال العدو، ولا يمكن الوصول إليه إلا بهذه الطريقة، وعليه فإذا كان الهدف من العملية التفجيرية هي ضرب العدو وليس التخلص من الحياة فهي عملية استشهادية وليس انتحاراً هدفه التخلص من الحياة بأساً وجزعاً" 132.

ثالثاً: ظاهرة الاستشهاديين تبتكر توازن الرعب

عندما نحتفل بذكرى الشهيد يحيى عياش وتلامذته الاستشهاديين، فإننا نحتفل بالاستشهاديين كظاهرة من ظواهر نضال شعبنا الفلسطيني وأمتنا... لقد قيل لنا يوم انطلقت عملية التسوية من مدريد، ماذا ستفعلون أنتم الآن على طرفي الخيار؟.. أنتم في مأزق إما الانتحار، وإما الإذعان، فماذا ستفعلون؟.. هنا كانت عظمة الشهداء، وهنا تقدم يحيى عياش وإخوانه الاستشهاديون ليضعوا ابتكار التوازن، ولينقلوا الرعب ولينقلوا المأزق إلى جبهة العدو، فيقع هو في مأزق، كان ابتكار التوازن الذي صنعه الاستشهاديون معجزة في تاريخنا.. الاستشهاديون الذين تقدموا بالاستشهاد في زمن الهزيمة، في زمن الاستسلام، في زمن أصبح الخنوع فيه هو الظاهرة التي يجري تعميمها.. هنا تحقق التوازن، توازن الرعب مع العدو، بأن نقلوا المعركة إلى قلبه وعقر داره .

¹³² - المرجع السابق

¹³³ - كلمة في الذكرى الثالثة لاستشهاد يحيى عياش، بدون تاريخ

المبحث الثاني: قيم ومعاني مستوحاة من الشهادة والشهداء

أولاً: الشهادة والشهداء .. حياة

1- الشهادة حياة للشهداء ولشعبهم

" نحن اخترنا الحياة في لونها الوردي وشكلها الوردي، نحن انتقينا حلاوة الانشطار والانتشار كالضوء كالغبار الحلو في الوطن، كي لا يرهق ميزانيات الجيوش والعروش الفاخرة ثمن الكفن، نحن قررنا بأن نحيا نيابة عن موتى وهبوا ظهورهم للأنظمة كما تهب الأوطان للشيطان... نحن انفجار الحق ضد من عقروا خيولهم، وحالوا دوننا ودون قدسنا سبية، يلتف حولها حول جيدها ثعبان.. سموه في الزمن المؤمرك الاستيطان، نحن الرد ونحن الوعد يا عرب الفضائح والمذائح .. يا من تقايضون الدين بالدولار.. يامن تغرزون حصون خبير، وتطاردون نيابة عنها أمير (ذو الفقار) ¹³⁴.

2- من لا يقوى على الشهادة لا يقوى على الحياة

" حين يمنعنا الغزاة حقنا في الحياة الحرة الكريمة فإنهم لا يستطيعون منعنا حقنا في الموت بشرف.. علينا أن لا ننتظر الموت أو الشهادة، بل نمشي إليها مبتسمين " ويا شعبنا العزيز.. من لا يقوى على الاستشهاد لا يقوى على الحياة" ¹³⁵.

3- الشهادة حياة تبرز مع الفجر

"أي فجر جهادي.. يبرز الآن حياة لهادي... بسمة الثلج.. كبسمة الصبح .. كزهرة اللوز.. كوردة الصبح تغفو على صدر حيفا.. حصاناً يطير على شكل رمح وطيف حمامة.. على شاطئ البحر.. على قمة الكرمل الليلي .. يطير قرآنها سرب العصافير فوق الغمامة.. لا شيء يمنعها الآن من فرحة الموت.. لا علم يكفي لفك رموز الشهادة" ¹³⁶.

4- الشهداء لا يموتون.. إنهم يعودون انفجاراً ولهيباً يحرق الأعداء

"خذوا دمننا لتبقى فلسطين.. خذوا أرواحنا لتحيي فلسطين .. خذوا كل شيء وكل شيء وابقوا لنا سلاحنا.. وأبقوا لنا بنادقنا.. بنادق الثوار الأحرار.. لترسم لنا خريطة فلسطين شلالاً من الدم الواصل بين رفح الشقافي وجنين القسام ... قم يا إباد.. قم لتمسح عن قلوبنا أوساخ الدنيا وهمومها وعذاباتها.. قم لتمحو بدمك أكاذيب السلام المفخخ .. قم وانبعث فينا من جديد لتسقي أحفاد القردة والخنازير بسيف السرايا كؤوس المنيا.. قم أيها القائد العملاق لتثبت للجميع أن الشهداء لا يموتون .. إنهم يعودون انفجاراً ولهيباً يحرق الأعداء" ¹³⁷.

¹³⁴ - مقال ب (جريدة الاستقلال)، مرايا محمد الفاتح، 27-1-1997م.

¹³⁵ - مقال ب (جريدة الاستقلال)، 9-9-1999م.

¹³⁶ - مقال ب (جريدة الاستقلال)، بدون تاريخ.

¹³⁷ - كلمة: رثاء الشهيد إباد حردان، جنين 6-4-2001م

5- الشهداء أكثر منا حياة

"أسعد لم يمت.. من قال أسعد مات فقد خالف كلام الله عز وجل الذي يقول لنا (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ)، أسعد أكثر منا حياة الآن، هو وإخوانه الشهداء ... هم جميعاً أكثر منا حياة الآن كما كانوا بالأمس أكثر منا شجاعة وأكثر منا نخوة وشهامة أكثر منا غيرة على الأرض والعرض والشرف والدين والمقدسات، هكذا هم الشهداء، وهكذا هم الاستشهاديون" 138.

6- الشهادة ميلاد جديد لآلاف المقاومين والمجاهدين

"لا تفرحوا كثيراً ولا تظنوا أن قتل لوي السعدي يعني نهاية المقاومة، إنه ميلاد جديد لآلاف المقاومين والمجاهدين الذين سينبتون من دمه ويسيروا على خطاه بإذن الله .. هكذا هو شعبنا، وهكذا هي أمتنا.. إنَّ قتل قائد لا يعني مقتل شعب أو نهاية قضية، بل هو ميلاد جديد للشعب وللقضية" 139.

7- الشهداء هم الأحياء

"نعم الشهداء هم الأحياء، أما الأموات فهم أصحاب الأحياء الفانية التي تتحرك على الأرض بلا أرواح، وبلا ضمائر مدفونة في الخطايا والآثام، خطايا التفريط بالقدس والجري من جديد وراء السراب والوهم". زها فو الخطايا والأقام خطايا التفريط بالقدس والجري من جديد وراء السراب والوهم 140.

ثانياً: دم الشهداء يروي شجرة المجاهدين والانتصار

1- الشهادة مفتاح الحل وطريق الخلاص

"أصوات الشهداء الذي يؤكد أن الجهاد والجهاد المسلح هو السلاح الوحيد لانتزاع حقوقنا وتحرير أمتنا وتثبيت وجودنا وفرض إرادتنا في معركة المصير، إنَّ الشهداء هم الذين يرسمون لنا بدمهم الطاهر معالم الطريق نحو الخلاص والحرية إنهم يقولون لنا إنَّ مفتاح الحل والخروج مما نحن فيه... استمرار الجهاد والمقاومة، وأن تكون مقاومتنا موحدة لا متناحرة" 141.

2- دم الشهداء يروي شجرة الجهاد والمقاومة

"يا أخي محمد نحن نعرف أنك لم تكن الأول في قافلة الشهداء، ولم تكون الأخير، لكن القافلة في غيابك ستمضي كما لو كنت على رأسها بروحك ودمك ترتوي شجرة الجهاد اليوم لتصبح أصلب عوداً... فتم قرير العين يا أمير المجاهدين، فإنَّ إخوانك وتلاميذك سيمسحون بالثأر لك الدمة من كل عين بكفك.. سيمسحون الحزن عند مآذن المسجد الأقصى" 142.

138 - كلمة: رثاء الشهيد إياد حردان، جنين 6-4-2001م.

139 - كلمة: رثاء شهداء طولكرم 15-9-2001م.

140 - كلمة: رثاء الشهيد لوي السعدي، جنين، 24-10-2005م.

141 - كلمة: رثاء الشهيد ماجد الحرازين، غزة، 19-12-2007م.

142 - كلمة: رثاء الشهيد أنور حمران، جنين، 24-3-2001م.

143 - كلمة: رثاء الشهيد محمد عبد العال، غزة، 2-4-2001م.

3- دم الشهداء ينبت جيلاً من المقاتلين والمجاهدين الأطهار
"إننا في عرس الدم والشهادة نقول: (لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَىٌ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلَوْكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ)،
لن يضرّوكم إلا أذى.. ولن يستأصلوا شجرة الجهاد والمقاومة بإذن الله.. إنَّ كل قطرة دم سالت من إيد
حردان ومحمد عبد العال وأنور حمران وإبراهيم بني عودة وحسين عبيات وكل شهداء شعبنا ستنتبت جيلاً
من المقاتلين والمجاهدين الأطهار" ¹⁴³.

4- دماء الشهداء ثمن الحرية
"ربما لا يدرك البعض أن قيمة ما حققناه في الانتفاضة هو أكثر مما فقدناه، وصحيح أننا قدمنا الشهداء
الأعزاء على قلوبنا، ولكن دماء الشهداء هي ثمن الحرية وثمر العتق للشعب والأمة من قبضة العدو
الصهيوني المجرم، إنَّ هؤلاء الشهداء هم عنواننا في العالم اليوم، هم رسالة شعبنا إلى الأمة كلها وإلى
العالم كله على مسمع التاريخ" ¹⁴⁴.

5- الشهداء يرتقون على طريق تحرير الأرض والإنسان
"إنكم تفتقون الآن في حضرة الله.. في حضرة الشهداء الذين يرتقون إلى الغلا، ليس من أجل تحرير الأرض
فقط، بل من أجل تحرير الإنسان أيضاً.. إنَّ الشهداء هم الذين يحرروننا من خوفنا و من ذنوبنا ومن مآسينا،
ومن أوهامنا وتصوراتنا الخادعة عن الحياة والموت، وعن العدو والصديق، وعن السلم والحرب.. وعن
كل شيء في الوجود.. كل شيء" ¹⁴⁵.

6- الشهداء يعبدون لنا طريق النصر
"إنَّ الشهداء أمثال مراد يعبدون لنا طريق النصر نحو فجر الحرية، نحو الخلاص والتحرير.. بالشهداء
سنواصل المسير، وبالشهداء سننتصر، وسيطلع فجر فلسطين من جديد وترتفع راية الوطن، راية الجهاد،
راية الإسلام، راية لا إله إلا الله خفاقة على قبة المسجد الأقصى بإذن الله" ¹⁴⁶.

7- دماء الشهداء مشاعل تُضيء الطريق إلى النصر
"إنَّ دماء الشهداء هي المشاعل التي ستضيئ لنا الطريق نحو النصر والظفر بإذن الله ولن يضيّعنا الله ولن
يخذلنا وسيوفنا وعده إن كنا أهلاً له بالإيمان، "وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ" ¹⁴⁷.

¹⁴³ - كلمة: رثاء الشهيد إيد حردان ومحمد عبد العال، 7-4-2001م.

¹⁴⁴ - كلمة: رثاء الشهيد إيد حردان ومحمد عبد العال، 7-4-2001م.

¹⁴⁵ - كلمة: رثاء شهداء جنين، 6-7-2001م.

¹⁴⁶ - كلمة: رثاء الشهيد مراد أبو عسل، 6-2-2002م.

¹⁴⁷ - كلمة: رثاء شهداء مذبحة عيسان، 9-3-2002م.

8- دم الشهيد يزرع الأرض أبطالاً وقادة ومقاتلين

"إننا ونحن نودع القائد العملاق إياد صوالحة لا نسدل الستار على نهاية بطل في تاريخ صراعنا و جهادنا لأنّ دمه اليوم يزرع الأرض بدايات جديدة، وينبت أبطالاً وقادة ومقاتلين واستشهاديين جدد يحملون الراية من بعده، ويثبتون للعالم كله أننا لن ننكسر ولن ننحني ولن نتراجع، وأننا من دم إياد صوالحة سنصل إلى فلسطين.. إلى النصر والتحرير.. قدم الشهداء خارطة الطريق إلى حيفا ويافا والقدس والخضيرة والعفولة، وكل بقعة من فلسطين الحبيبة" ¹⁴⁸.

9- الشهادة هي الانتصار

"إنّ الشهادة هي مبتغى هؤلاء المجاهدين الأبطال، بل هي أمنية كل مؤمن وكل مخلص وكل من سلك طريق الجهاد ابتغاء مرضاة الله، نعم نحن نريد أن نحقق الانتصار، نريد أن يكون الجهاد طريقاً للحياة لا بوابة للموت فقط.. لكننا في ظل اختلال موازين القوة وإصرار العدو على سحق خيار الجهاد والمقاومة، يصبح حمل الراية ومواصلة الجهاد بأي شكل وبأي قدر عملاً استشهادياً، وتصبح الشهادة هي الانتصار" ¹⁴⁹.

ثالثاً: الشهادة فوز وتكريم واختبار إلهي

1- فرحة الفوز بالشهادة وحزن الغياب

"لا فرحة تعدل اليوم فرحة شهدائنا بفوزهم بالشهادة سوى حزننا على غيابهم في هذا النهار الحزين، وهذه البلدة الحزينة، وهذا الوطن الحزين، وهذا المنفى الحزين، على فقدان الشهيد الإنسان الذي لا يخون ولا يخلف الوعد والعهد، عهد الجهاد والاستشهاد "مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا" ¹⁵⁰.

2- الشهادة اصطفاء وتكريم

"نحن لا نُعزّي ولا نُعزّي بالشهداء، بل نبارك لأنفسنا ولأهل الشهيد ولأسرته ولأبويه وإخوانه وأحبابه هذا الاصطفاء الرباني، وهذه النعمة الكبرى، نعمة الشهادة في سبيل الله وما يتبعها من نعمة الشفاعة لذوي الشهيد" ¹⁵¹.

3- الشهادة اختيار إلهي

"قد يتساءل البعض لماذا قتل الصهانية راند وجميل وسعيد في ظل ما يُسمّى بالتهدئة المزعومة؟! لقد قتلوهم لأنهم كانوا أهل للشهادة.. فالشهادة اصطفاء واختيار إلهي قبل أن تكون قراراً إرادياً بالقتال والمواجهة، وما أكثر من يخوضون المعارك ويواجهون الأخطار ولا يُقتلون.. لقد باع أبطالنا أرواحهم ودماءهم رخيصة في سبيل الله فاشترى الله منهم أنفسهم بالجنة، فإنا نعم الصفقة الراجعة بهذا الموت الجميل الذي هو الحياة بعينها" ¹⁵².

¹⁴⁸ - كلمة: رثاء الشهيد أياد صوالحة، 11-11-2002م.

¹⁴⁹ - كلمة: رثاء الشهيد محمد عبد الله (أبو مرشد)، غزة، 29-12-2007م.

¹⁵⁰ - كلمة: رثاء الشهيد محمداً عبد الله (أبو مرشد)، غزة، 29-12-2007م.

¹⁵¹ - نفس المرجع السابق.

¹⁵² - كلمة: رثاء شهداء سرايا القدس، طولكرم، 25-9-2005م.

رابعاً: دماء الشهداء معين لا ينضب من المعاني الجميلة

1- دماء الشهداء .. ثوب العز للأحياء

قسم برب الجرح والرمح

سيحيل ملح الشاطئ المغدور سكر

وتجيء يا محمود تطلع من بقايا الروح والأشلاء

تحمل لوعة الفقراء

تنسخ من دم الشهداء ثوب العز للأحياء

وتسيل يا محمود من دمع المخيم

وتطل يا محمود من دمنا المقاتل

من عطش السجن وجوعه، وتجيء يا محمود من زرد السلاسل

في ضحكة الأطفال.. في حزين الأرامل

ستجئ يا محمود

2- الشهداء روح الشعب وصرخة الثأر

" لا رثاء لمثل نضال ويوسف الأبطال فهم الأحياء ونمن الأموات، هم الذين استعادوا روح الشعب حين فدوه بأرواحهم، وهم الذين اختاروا أن يكونوا صرخة الثأر والفداء لبیت ربما الذبيحة وبيت لحم وبيت جالا".

3- عندما يختار الشهداء موتهم الجميل

" أخي حمزة إنني لا أرثيك هنا لأنك مت كما يظن البعض، بل إنني باسم اخوانك وشعبك وأمتك احتفل بك عريساً لأنك عرفت كيف تموت... و اخترت كيف تموت.. لقد اخترت القتال والوقوف في وجه ارتال الدبابات والجنود بصدرك العاري إلا من الإيمان وبضع رصاصات.. لقد قاومتهم وقاتلت حتى آخر رصاصة وآخر قنبلة وآخر رمق وآخر قطرة دم".

4- الشهداء صاروا أنشودة عز في دمنا

" أحمد ومحمد ما ماتوا فهم شهداء أحياء... لقد صاروا طائرين من طيور الجنة... يُحلقان فوق جبال الخليل، وعلى شواطئ يافا وحيفا وغزة.. صاروا أنشودة عز في دمنا.. صاروا تسبيحاً ودعاءً في صلاتنا.. صاروا خصباً وعطاءً في كرومنا وسنابلنا.. صاروا أملاً ملء جفوننا وقلوبنا وأرواحنا.. صاروا مثلاً للقداسة والطهارة يغسل الأمة كلها من أدران الهزيمة وعار الخنوع الخضوع".

5- دماء الشهداء تطهرنا من أدراننا

" أيها المجاهد البطل أخلج من نافورة دمك التي انفجرت لتغسلنا من أدران الدنيا وتطهرنا من شهواتنا وآثامنا".

¹⁵³ - مقال: ب (جريدة الاستقلال، مرايا محمد الفاتح، 1-7-1995م.

154 - كلمة: رثاء الشهيد نضال جبالي ويوسف سويطات، جنين، 30-10-2001م.

155 - كلمة: رثاء الشهيد حمزة أبو الرب، قباطة، 29-12-2002م.

156 - كلمة: رثاء الشهيد أحمد فقيه ومحمد شاهين، 2-1-2003م.

157 - كلمة: رثاء الشهيد منير أبو قوس، الأغوار، 24-9-2001م.

مصادر الفصل الثالث

- 1- مقابلة مع قناة (المستقلة)، 6-5-1996م
- 2- مقابلة مع قناة (المستقلة)، 6-5-1996م
- 3- كلمة في الذكرى الثالثة لاستشهاد يحيى عياش، بدون تاريخ.
- 4- مقال بـ (جريدة الاستقلال)، مرايا محمد الفاتح، 27-1-1997م.
- 5- مقال بـ (جريدة الاستقلال)، 9-9-1999م.
- 6- مقال بـ (جريدة الاستقلال) بدون تاريخ.
- 7- كلمة: رثاء الشهيد إياد حردان، جنين 6-4-2001م.
- 8- كلمة: رثاء شهداء طولكرم 15-9-2001م.
- 9- كلمة: رثاء الشهيد لؤي السعدي، جنين، 24-10-2005م.
- 10- كلمة: رثاء الشهيد ماجد الحرازين، غزة، 19-12-2007م.
- 11- كلمة: رثاء الشهيد أنور حمران، جنين، 24-3-2001م.
- 12- كلمة: رثاء الشهيد محمد عبد العال، غزة، 2-4-2001م.
- 13- كلمة: رثاء الشهيد إياد حردان ومحمد عبد العال، 7-4-2001م.
- 14- كلمة: رثاء الشهيد إياد حردان ومحمد عبد العال، 7-4-2001م.
- 15- كلمة: رثاء شهداء جنين، 6-7-2001م.
- 16- كلمة: رثاء الشهيد مراد أبو عسل، 6-2-2002م.
- 17- كلمة: رثاء شهداء مذبحة عيسان، 9-3-2002م.
- 18- كلمة: رثاء الشهيد أياد صوالحة، 11-11-2002م.
- 19- كلمة: رثاء الشهيد محمد عبد الله (أبو مرشد)، غزة، 29-12-2007م.
- 20- كلمة: رثاء الشهيد محمدة عبد الله (أبو مرشد)، غزة، 29-12-2007م.
- 21- نفس المرجع السابق.
- 22- كلمة: رثاء شهداء سرايا القدس، طولكرم، 25-9-2005م.
- 23- مقال: بـ (جريدة الاستقلال)، مرايا محمد الفاتح، 1-7-1995م.
- 24- كلمة: رثاء الشهيد نضال جبالي ويوسف سويطات، جنين، 30-10-2001م.
- 25- كلمة: رثاء الشهيد حمزة أبو الرب، قباطة، 29-12-2002م.
- 26- كلمة: رثاء الشهيد أحمد فقيه ومحمد شاهين، 2-1-2003م.
- 27- كلمة: رثاء الشهيد منير أبو قوس، الأغوار، 24-9-2001م.

ومضات فكرية في التاريخ
والاقتصاد والسياسة والدين
عند رمضان شلّح



الباب
الخامس

الفصل الأول: ومضات تاريخية

المبحث الأول: (بدر) كتاب مفتوح للأجيال .. تأملات قرآنية في ظلال المعركة

أولاً: استنباط الدروس من التاريخ.. بدر مثلاً

نشر الدكتور رمضان شلّح دراسته¹⁵⁸ (بدر.. كتاب مفتوح للأجيال.. تأملات قرآنية في ظلال المعركة) ليس لمجرد الدراسة العلمية أو المتعة العقلية أو استدعاء التاريخ.. كما يقول.. ولكن من أجل استخلاص الدروس والعبر من التاريخ، واستحضار الماضي لربطه بأحداث الحاضر والاستفادة منه في رسم المستقبل، واستنباط قوانين التقدم والتأخر، وسنن النصر والهزيمة.. وهذا ينسحب على دراسة (بدر)، ولذلك نجده في مقدمة الدراسة يكتب:

" كم نشعر بالضياح والتهيه، ونحن منذ أكثر من خمسين عاماً، ننشد عكا وحيفا ويافا، في رحال أبي جهل وأميه بن خلف، ولم نبحت عن أسماننا الضائعة ومدننا المخطوفة في نبي امتشق السيف وقاتل بضراوة من أجل أنبل قضية وأشرف مصير للإنسان، لم نكن ندرك أنّ إدارة ظهرنا للوحي أو خروجنا من بدر العقيدة والتاريخ يعني الخروج من ذاتنا ومن أرضنا، ومن ثم الدخول إلى الهزيمة والاستسلام.. ففي ضفاف بدر العقيدة والتاريخ، نقف خاشعين في شهر القرآن أمام هذا الكتاب المفتوح لكل الأجيال في كل زمان ومكان، نلتمس طريق الخلاص في زمن ارتماء قريش الجديدة في أحضان قيصر واستسلامها المروع ليهود خيبر.. علّنا نبصر النور الساطع من رقاب الخيل العائدة من بدر لنصعد على صهواتها إلى قمم النصر".

ثانياً: حضور الفعل الإلهي في المعارك ... بدر مثلاً

1- اللقاء الفريقين في قلب الصحراء

وجد الفريقان -المسلمون والكفار- نفسيهما وجها لوجه في قلب الصحراء، كيف تم ذلك ولماذا؟ إنها الإرادة الإلهية "ليقضی الله أمراً كان مفعولاً"، وما هذا الأمر الواقع لا محالة سوى القتال والمعركة التي ستمرغ أنف الباطل في التراب... ليهلك من هلك عن بينة يحيى من حيى عن بينة".

2- إنزال النعاس والمطر

من المنن التي من الله بها على عباده المؤسسين يوم بدر، إنه نزل عليهم النعاس والمطر، وذلك قبل نشوب المعركة والتحامهم بأعدائهم "إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ".

¹⁵⁸ - دراسة: (بدر).. كتاب مفتوح للأجيال.. تأملات قرآنية في ظلال المعركة، نشرة المجاهد، 17-11-2003م.

3- تقليل عدد الكفار في أعين المسلمين

لقد زاد عدد كفار قريش في المعركة عن الألف في حين لم يتجاوز عند المسلمين الثلاثمائة، لذا نرى العناية الإلهية تتكفل بتعديل هذا الميزان في أعين المسلمين، " إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ".

4- إنزال الملائكة

وهو ما أبرزه القرآن الكريم في أكثر من موضع ، منه قوله تعالى في سورة الأنفال: " إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتُنَبِّئُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ".. ما يهمنا هنا هو نتيجة المعركة التي حُسمت بالتدخل الإلهي والفعل الإلهي المباشر في تحقيق النصر.

ثالثاً: نتيجة استبعاد الدور الإلهي من المعركة

هذا يلفت نظرنا إلى حال الأمة في هذا العصر، حيث تصدت قطاعات وتيارات عديدة في الأمة لإدارة الصراع مع أعدائها على قاعدة استبعاد الدور الإلهي من المعركة. كم من الحروب والمعارك خاضها العرب والمسلمون دون أن يكون هناك حضور لله في برامجهم وعقولهم وقلوبهم؟!، يتحركون وكأن الله غير موجود وليس له دور فاعل في التاريخ... لقد كانت بدر هي المحطة الأولى للانتصار المدوي في تاريخ الإسلام، ذلك الانتصار الذي أسس لانطلاقة الإسلام الدافعة في الأرض... لقد كانت بدر المعركة الفاصلة (الفرقان) التي تُشكل ملابساتها في المقدمات والوقائع والنتائج دستوراً للنصر والهزيمة، وآية من آيات الله تنزل في كل زمانٍ ومكان.. ذلك هو القانون الإلهي الذي أرسته تجربة الخروج والقتال بقرار إلهي، ومن ثم النصر بمدد إلهي في بدر.. إنها سُنَّةُ اللَّهِ في الحياة وفي التاريخ "فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا".

120 - دراسة بعنوان (حول سؤال الانتماء والهوية)، بدون تاريخ.

المبحث الثاني: الإسلام والغرب.. جدل الصراع في التاريخ والواقع

كتب الدكتور رمضان شلّح دراسة¹⁵⁹ وألقاها محاضرة بعنوان: (الإسلام والغرب.. جدل الصراع في التاريخ والواقع)، بطريقة وصفية تحليلية مُميزاً بين مسارين لحركة الإسلام منذ نزول الوحي بالقرآن في غار حراء حتى التاريخ المعاصر، المسار الأول: هو الحراك الإسلامي الداخلي، والنمو والتطور الذي طرأ على الجماعة/ الأمة التي أنشأها الإسلام منذ العهد النبوي إلى عهد الخلفاء الراشدين وما تلاه من دول إسلامية مركزية... هذا المسار في نمو حركة الإسلام وتطوره ليس موضوع هذه المحاضرة. المسار الثاني الذي يتعلّق بحركة الإسلام ومسيرة صعوده وهبوطه في التاريخ في مواجهة القوى الخارجية.. هذا المسار هو موضوع الدراسة والمحاضرة الذي يُمكن تلخيصه بالنقاط التالية:

أولاً: الغرب .. منظومة كاملة

" الغرب هو منظومة كاملة وكتلة حضارية عملاقة فيها دول وحكومات وشعوب وجيوش ومنظمات ومؤسسات وبنوك وشركات وأسواق عالمية، وفوق هذا والأهم هناك الثقافة الغربية، ومنظومة القيم الغربية بكل مخزنها وإرثها الديني والتاريخي وإمكاناتها وأدواتها الحديثة والمعاصرة... الغرب اليوم رأس حربته والقوة العظمى فيه هي الولايات المتحدة الأمريكية، التي تسعى لفرض هيمنتها على العالم، وتحقيق مشروع - وليس حلم - الإمبراطورية الأمريكية العالمية... وهو جوهر (العولمة)، ويُمكن أن يتحقق بالأدوات الثقافية والاقتصادية.. الجديد هو العودة إلى مفهوم السيطرة الاستعمارية... والاستعمار المباشر".

ثانياً: الإسلام.. في الذاكرة الغربية

" الإسلام في الذاكرة الغربية والثقافة الغربية (المسيحية - اليهودية) كان دوماً في خانة العدو، لكنه الآن يُختار كعدو في سُلّم أولويات السياسة الأمريكية والغربية في إدارة شئون العالم... لم تكن حالة العداء هذه مجرد موجة إعلامية عابرة، بل كان هناك تأصيل فكري، وطُرحت نظريات تُبرر العداء والكراهية للإسلام... منها نظرية (نهاية التاريخ) لصاحبها (فوكو ياما)، ونظرية (صدام الحضارات) لصاحبها (صموئيل هنتجتون)... لا يقف الأمر اليوم في الغرب عند النظريات أو الدعاية الإعلامية... بظهور المحافظين الجدد من اليمين المسيحي (الإنجيليين) الذين يرون في قيام إسرائيل تحقيقاً لنبوءة الإنجيل، وأنهم سيحتفلون بأورشليم الجديدة التي ستنبعث بهزيمة الإسلام في معركة (هار مجدون) قبل ظهور (المسيح المنتظر) أو بعدها... وهذه عقيدة (المسيحية الصهيونية).

¹⁵⁹ - دراسة: (الإسلام والغرب.. جدل الصراع في التاريخ والواقع)، كتيب نشر بدون تاريخ.

ثالثاً: الحملة الفرنسية تفتتح الهجمة الغربية الحديثة

تستعرض الدراسة العديد من المحطات التاريخية الفاصلة في مسار الصراع مع الغرب مبتدئة بسقوط دول الطوائف في الأندلس، مروراً بالحروب الصليبية أو حروب الفرنجة على الشرق، والغزو المغولي وسقوط بغداد، وبروز دولة المماليك فالدولة العثمانية في عصور قوتها ثم ضعفها الذي بدأت فيه الهجمة الغربية الحديثة على الأمة، وتؤرخ الدراسة لبدائها بالحملة الفرنسية، وهذه فقرة مقتبسة توضح ذلك:

" كانت الحملة الفرنسية أول حملة تُرسلها أوروبا الناهضة إلى الشرق العربي الإسلامي في العصر الحديث، وقد حلم نابليون بوناپرت قائد الحملة الفرنسية عام 1798م على مصر والشام بجعل مصر وفلسطين قاعدة لإمبراطورية استعمارية تمتد شرقاً وغرباً، وأحضر معه جيشاً من العلماء والخبراء إلى جانب الجنود والضباط تعبيراً عن الوجه الفكري للحملة، صحيح أنَّ الحملة الفرنسية هُزمت عسكرياً ولكنها افتتحت الهجمة الغربية الحديثة على الشرق العربي والإسلامي... والخلاصة في هذه الحقبة أننا شهدنا تدهور وتفكك الدولة العثمانية كثمرة للهجوم الاستعماري الغربي الحديث، بل إنَّ هزيمة الدولة العثمانية ضمن دول المحور في الحرب العالمية الأولى، تبعها توقيع تركيا على معاهدة لوزان عام 1923م لإعلان استقلال تركيا وتوزيع إرث الإمبراطورية العثمانية".

رابعاً: نتائج توزيع إرث الإمبراطورية العثمانية

1- مقدمات ضياع فلسطين

- سقوط الخلافة العثمانية على يد مصطفى كمال أتاتورك في 3 مارس 1924م التي كانت تقف سداً منيعاً أمام مشروع إقامة الدولة اليهودية في فلسطين خاصة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني الذي رفض عرض هرتسل بسد ديون تركيا مقابل فلسطين لليهود.

- الاستعمار الثقافي والمعنوي الذي بدأ يخترق الجسد الإسلامي منذ الحملة الفرنسية، إنَّ النخب الليبرالية السياسية والثقافية العربية ومن أسموا أنفسهم رواد النهضة العربية هم المسؤولون بالدرجة الأولى عن ضياع فلسطين.

2- إسرائيل والتجزئة .. وجهان لعملة واحدة

- إقامة الدولة اليهودية أو الكيان الصهيوني (إسرائيل) على أرض فلسطين كرأس حرية للمشروع الاستعماري، وثمرة للهجمة الغربية الحديثة.

- تجزئة وتقسيم الشرق العربي والإسلامي، كما نصّت اتفاقية (سايكس بيكو)، وتأسيس ما سُمّي بدولة الاستقلال الحديثة على أنقاض الدولة العثمانية، وإذا كانت بعض الأدبيات القومية والإسلامية قد اعتبرت التجزئة وإسرائيل وجهان لعملة واحدة، فإنَّ ما لم ينتبه إليه كثيرون هو الحقبة الزمنية الواحدة التي جمعت الاثنين: التجزئة وإسرائيل.

خامساً: سقوط القدس.. منحى الانحدار الإسلامي والعربي يصل نقطة الصفر

- لم تكن إقامة دولة الكيان الصهيوني خاتمة الأحزان ونهاية الأدوار... في السابع من حزيران في تلك الحرب (1967م)، سقطت القدس ليصل منحى الانحدار الإسلامي والعربي إلى نقطة الصفر، ويبلغ المشروع الصهيوني رأس حربة الغرب إلى ذروته وقمة توسعه وقوته، إنها اللحظة الأكثر مأساوية في تاريخ الإسلام منذ تحرير بيت المقدس من الصليبيين، لحظة أخطر من سقوط غرناطة على يد الصليبيين، وسقوط بغداد على يد التتار، لأن تلك الضربات كما قال توفيق الطيب.. كانت في الأجحة، أما سقوط القدس فهي طعنة في القلب من الوطن الإسلامي.

- سبب الهزيمة كما رأى رمضان شلح هو: "لأنَّ المقابلة في ميدان الصراع التاريخي بين الأمة وأعدائها تمت هذه المرة بين مشروع صهيوني قام على أسس عقائدية توراتية، وهو نتاج الحضارة الغربية بمرجعيتها الفكرية (اليهودية والمسيحية)، ومشروع عربي يستعيد الليبرالية والاشتراكية من فئات الحضارة الغربية، أي أنه إفراز مشوّه للغرب وليس نقیضاً له، بل هو سلعة وصورته الممسوحة، وعدت بالتنمية والتقدم فلم تؤمن رغيف الخبز، ووعد بتحرير فلسطين، فأضاعت مُجدداً أكثر من ثلاثة أضعافها".

- يرى رمضان شلح أن معاهدة (كامب ديفيد) بين مصر وإسرائيل قد قطعت منحى الانحدار العربي والإسلامي عند نقطة الصفر ليصبح المنحى سالباً حتى وصل إلى اتفاقية (أوسلو) بين إسرائيل والمنظمة، ويرى في المعاهدتين خطورة أكثر من وعد بلفور الذي أعطى من لا يملك من لا يستحق، أما في أوسلو فقد أعطى من يملك من لا يستحق.

سادساً: فلسطين والقدس قاعدة لاستنهاض الأمة للجهاد والتحرير

يخرج رمضان شلح من دراسته التاريخية (الإسلام والغرب .. جدل الصراع في التاريخ والواقع)، "بخلاصة من هذا السياق التاريخي والصراع مع الغرب، لاسيما في الشرق الإسلامي، لابد أن يعود إلى ما أشرنا إليه سابقاً عن دحر الهجمة الصليبية وتحرير بيت المقدس مقارنة بالهجمة الحالية، قلنا إنَّ فلسطين والقدس يومها شكلت قاعدة لاستنهاض الأمة للجهاد والتحرير، الآن هذا لا يحدث وليس هناك مشروع نهضة عربي يجعل من فلسطين قاعدة ارتكاز". وبهذه الخلاصة يرى شلح ضرورة وجود مشروع عربي إسلامي يجعل من فلسطين قاعدة ارتكاز لمشروع نهضوي عربي إسلامي شامل.

مصادر الفصل الأول

- 1- دراسة: (بدر).. كتاب مفتوح للأجيال.. تأملات قرآنية في ظلال المعركة، نشرة المجاهد، 17-11-2003 م.
- 2- دراسة: (الإسلام والغرب.. جدل الصراع في التاريخ والواقع)، كتيب نشر بدون تاريخ.

الفصل الثاني: ومضات اقتصادية

المبحث الأول: قراءة في الاقتصاد السياسي لاتفاق غزة .. أريحا

رمضان شلّح يحمل شهادة الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة (دورهام) في بريطانيا عام 1990م، ولذلك فهو خبير في الاقتصاد، ولكن العمل الفكري والحركي لم يمنحه الفرصة للتفرّغ للبحث في مجال الاقتصاد، ولم أعرّث إلاّ على دراستين نشرهما في مطلع تسعينات القرن العشرين، الأولى عام 1992م بعنوان (قراءة في الاقتصاد السياسي لاتفاق غزة - أريحا .. تنمية اقتصادية أم بوليسية للحكم الذاتي) نُشرت في جريدة الحياة ، والثانية عام 1995م بعنوان (تحولات الاقتصاد العالمي.. توازنات الثروة والقوة) نُشرت في فصلية (قراءات سياسية) وكلا الدراستين كتبهما قبل توليه منصب الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.

أولاً: تزامن السياسة والاقتصاد في اتفاقية أوسلو

" إنَّ التّزامن الحاصل بين السياسة والاقتصاد في حركة قيادة منظمة التحرير الفلسطينية نحو تطبيق اتفاق غزة - أريحا يُثير في الأذهان السؤال التقليدي: هل السياسة في خدمة الاقتصاد أم الاقتصاد في خدمة السياسة؟، وهو سؤال لا تتطلب الإجابة عليه فلسطينياً جهداً أكثر من قراءة نص اتفاق غزة - أريحا وملاحقه، نُدرك أنَّ كليهما - السياسة والاقتصاد - في خدمة الأهداف والمصالح الإسرائيلية.. يجب التأكيد على أنَّ البعد السياسي يظل هو الأساس الذي ينبغي التعاطي به مع اتفاق غزة - أريحا، وفي ضوءه يجب أن تتم معالجة وتقييم كافة الجوانب الأخرى ذات الصلة، ولكن هذا لا يمنع من معالجة الجوانب الاقتصادية للاتفاق على أرضية الحقائق العلمية التي تمثل جوانب التحليل الرئيسية لفهم الواقع الراهن للاقتصاد الفلسطيني المُحتل، ومعرفة إمكانية تطويعه وتسخيره لتحقيق ما يعد به دعاة مشروع غزة - أريحا".

ثانياً: قراءة اقتصادية تحليلية لاتفاق غزة - أريحا

- 1- إنَّ تحقيق التنمية الاقتصادية لم يكن هو الدافع أو السبب الذي قاد إلى توقيع اتفاق غزة - أريحا.. والأزمة المالية للمنظمة كانت نتيجة لمشروع الحكم الذاتي وليس من أسبابه.
- 2- إنَّ الأولوية في مشروع الحكم الذاتي هي في الحفاظ على أمن إسرائيل، وهذا يتطلب بناء منظومة أمنية فلسطينية قادرة على تطبيق هذه الأولوية .. ولذلك فالمطلوب هو تنمية ولكنها تنمية بوليسية وليست اقتصادية.

¹⁶⁰ - دراسة بعنوان، (قراءة في الاقتصاد السياسي لاتفاق غزة - أريحا. تنمية اقتصادية أم بوليسية للحكم الذاتي)، جريدة (الحياة)، 27-11-1992م.

¹⁶¹ - دراسة بعنوان (تحولات الاقتصاد العالمي.. توازنات الثروة والقوة)، فصلية (قراءات سياسية) السنة (5)، العددان (2-3)، ربيع وصيف 2995م.

- 3- الأولوية للتنمية البوليسية لا يعني تجاهل التنمية الاقتصادية وتحسين الأوضاع المعيشية للناس، فهو هدف موجود ولكن من البوابة البوليسية، فالاقتصاد للتغطية على الدور الأمني للسلطة، ويلعب دور (الجزرة) مقابل (العصا) البوليسية.
- 4- تحوّل الفكر السياسي -الاقتصادي لقادة المنظمة من الدعوة إلى فك الارتباط بين الاقتصاديين - الفلسطينيين والإسرائيلي - قبل الاتفاق، إلى ضرورة الارتباط بين الاقتصاديين بعد الاتفاق والزعم أنّ الانفصال بين الاقتصاديين انتحار.
- 5- رغبة المنظمة في سلطة ما بالضفة والقطاع جعلها تتجاوز مبدأ (الأرض مقابل السلام) رغم ما يحمله من خطأ وضلال، إلى مبدأ جديد هو (الرخاء مقابل السلام)، وهو ذات الشعار الذي رفعه السادات لتسويق (كامب ديفيد) على الشعب المصري.
- 6- إنّ كلمة (التعاون) ومشتقاتها الواردة (29) مرة في نص إعلان المبادئ وملاحقه وكذلك كلمة (التنسيق) لا قيمة لها، طالما أنّ هناك طرفاً قوياً يستطيع إملاء شروطه والآخر ضعيف لم يكن لديه أية أوراق يُساوم بها.. لذلك فالتعاون سيكون لصالح إسرائيل.
- 7- إنّ النص على التعاون في الملحق الرابع من ملاحق الاتفاق المُسمى (بروتوكول التعاون الإسرائيلي - الفلسطيني في مجال برامج التنمية في المنطقة) يتناقض وبشكل مُريع مع الدعوة إلى استمرار المقاطعة الاقتصادية العربية لإسرائيل .. وهذا يفتح الباب للتطبيع واندماج إسرائيل في المنطقة.
- 8- إنّ انهيار الأسس والثوابت التي استمدت منها قيادة منظمة التحرير هويتها وشرعيتها السياسية بتوقيعها اتفاق غزة- أريحا، ودخولها رهينة في اختيار السلام المفروض أمريكياً وإسرائيلياً يعني أنّ هذه القيادة تُغادر المشروع الوطني الفلسطيني.
- 9- أطلقت المنظمة على خطتها الاقتصادية اسم (البرنامج الإنمائي الفلسطيني) كأحد متطلبات المرحلة السياسية الجديدة التي دخلت بها المنظمة، وهذا البرنامج يُعاني من التشوّهات والاختلالات الهيكلية أكثر من تلك التي يُعاني منها الاقتصاد الفلسطيني تحت الاحتلال.
- 10- ليس من المعقول طرح برنامج إنمائي يُشار فيه إلى بعض عناصر ومكونات نظام اقتصادي دون تحديد شكل وعناصر النظام السياسي الذي سيرتكز عليه النظام الاقتصادي.
- 11- المشكلة الأساسية في صياغة برنامج تنموي للاقتصاد الفلسطيني في ضوء اتفاق غزة- أريحا تكمن في المسموح به وغير المسموح به إسرائيلياً، طالما أنّ الاتفاق أعطى للإسرائيليين كشريك حق التقرير في كل القضايا الأساسية المتعلقة بالاقتصاد.

المبحث الثاني: تحولات الاقتصاد العالمي.. توازنات الثروة والقوة

أولاً: هدف الدراسة.. فهم حركة الاقتصاد والسياسة الدوليين

يشهد النظام الاقتصادي العالمي اليوم تحولات دراماتيكية سيكون لها كبير الأثر في تحديد الخريطة الجيو-سياسية والجيو-اقتصادية للنظام العالمي خلال العقدين القادمين، وفهم هذه التحولات لابد من معرفة بعض التطورات الاقتصادية والمالية في النظام الدولي، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وصولاً إلى أهم التغيرات الجارية اقتصادياً على الساحة الدولية.

ليس الهدف من هذه الدراسة تقديم دراسة تفصيلية تحيط بكل مكونات النظام الاقتصادي العالمي، بل إعطاء صورة بانورامية للمشهد الاقتصادي المالي العالمي والمؤسسات الدولية التي تتحكم بسياساتها في حركة الاقتصاد والسياسة الدوليين.

سنحاول الوقوف على التوجهات العامة التي تعكسها الأحداث والوقائع الاقتصادية بالاستناد إلى بعض الخلفيات التاريخية، وبالاعتماد على بعض المؤشرات والبيانات الإحصائية وما تعكسه من دلالات لفهم الأوضاع الاقتصادية الجارية اليوم في العالم.

وإذ تتداخل قضايا السياسة والاقتصاد الآن، على نحو غير مسبوق، ويتعذر فيه الفصل بينهما حيث قوة الدولة سياسياً أصبحت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقوتها الاقتصادية، فإن هذه الدراسة، ومن خلال الربط بين الأبعاد السياسية والاقتصادية، تسعى لفهم واقع ومُستجدات الاقتصاد العالمي من خلال العناوين الرئيسية التالية:

- 1- نظام (بريتون وودز) وإدارة الاقتصاد العالمي
- 2- صدارة الاقتصاد ومعارك الرأسمالية ضد الرأسمالية
- 3- التكتلات الاقتصادية وموازن القوة الجديدة
- 4- اتفاقية (الجات) وتحرير التجارة العالمية
- 5- علاقات الشمال والجنوب والنهب العالمي
- 6- أزمة الدولار ومستقبله كعملة دولية
- 7- الأزمة الاقتصادية العالمية وغياب المرجعية

ثانياً: خلاصة الدراسة.. الاقتصادات الكبيرة تلتهم الاقتصادات الصغيرة

مر الاقتصاد العالمي منذ الحرب العالمية الثانية بتطورات هامة أوصلته إلى التحولات والمستجدات الراهنة على كافة الأصعدة. لقد ساعد نظام (بريتون وودز) الذي أشرفت الولايات المتحدة على هندسته وتصميمه من أجل هيمنتها على الاقتصاد العالمي، لقد أسهمت المؤسسات الدولية وشبكة الشركات متعددة الجنسية التي كونتها أمريكا على تأسيس الهيمنة التي تم عبرها ترويج اقتصاد السوق الحر ومحاولة فرضه على العالم.

قادت الولايات المتحدة عملية تدويل أو (عولمة) الاقتصاد الدولي التي تركزت في مجال تحرير حركة رؤوس الأموال... صاحبها تقييد في حركة التجارة العالمية، ومع ظهور اضطرابات وأزمات عدة انهار نظام (بريتون وودز) عام 1971م، وانهار معه نظام أسعار الصرف الثابتة الذي أرساه وحل مكانه نظام أسعار الصرف العائمة. تلى ذلك بروز أزمات اختلال موازين المدفوعات مع تقلبات حادة في أسعار صرف العملات وأسعار الفائدة العالمية، وكذلك تفاقمت أزمة الديون العالمية للبلدان النامية، وصاحب ذلك ارتفاع السيولة الدولية. واشتداد المضاربات مع زيادة هائلة في التدفقات الدولية لرؤوس الأموال، بشكل شبه منفصل عن حركة الغارة الدولية، مما أوجد ظاهرة نشاط أسواق المال المصاحبة لموجات الركود التي تعصف بالاقتصاديات الصناعية. توالى الأحداث التي كان أهمها انهيار المنظومة الاشتراكية بقيادة الاتحاد السوفيتي السابق، وانتهاء الحرب الباردة، وبروز الولايات المتحدة كقوة وحيدة مهيمنة على العالم، وتصدر عامل الاقتصاد في موازين القوة ليدفع باتجاه صراع الرأسماليات. يؤذن مشروع الوحدة النقدية والسياسية الأوروبية المقترحة، والصعود الاقتصادي والإنمائي لدول جنوب شرق آسيا بنهاية الهيمنة الأمريكية ونظام القطب الواحد، وبروز قوى وتكتلات جديدة ترشح لنشوء نظام الاقطاب المتعددة في القرن الحادي والعشرين.

واستعداداً لذلك، وفي محاولة منها لاستعادة هيمنتها وقوتها الاقتصادية المتدهورة، سرّعت الولايات المتحدة من وتيرة (العولمة) في الاقتصاد الدولي، الأمر الذي دفع باتجاه التكتلات الإقليمية. التي حاولت الولايات المتحدة أيضاً اختراقها وجعلها أمريكية التمركز وضمن الساق نفسه، جعلت الولايات المتحدة لحرية التجارة ولفتح الأسواق الأجنبية أمام الضائع الأمريكية، والأولوية القصوى في سياستها الخارجية. ومن هنا جاء اتفاق (الجات) في دورة الأورغواي متمشياً مع المصالح الأمريكية بالدرجة الأولى. كما أنّ تشكيل منظمة التجارة العالمية خلفاً لاتفاقية (الجات) لا يعني نهاية المنافسة والنزاعات التجارية الدولية المحتملة.

لقد مثّل كل من صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، أداة الدول الصناعية في ترويض الدول النامية وتكييفها مع التدويل أو العولمة التي تستهدف الحفاظ على اندماجها في السوق الرأسمالية العالمية، وفق النمط التاريخي للتبعية التي حكمت علاقات الشمال بالجنوب، ترى الدول الغربية في نمو الدول النامية، لاسيما حديثة التصنيع منها خطراً على الاقتصاديات الصناعية التي تقاوم تقسيم العمل الجديد.

وكشف توالي أزمات الاقتصاد العالمي، مثل أزمة الدولار، وأزمة اقتصاد المكسيك، وهشاشة النظام العالمي، فالانتعاش الذي شهدته الاقتصادات الغربية لاسيما الولايات المتحدة التي استعادت موقعها كرقم واحد في الاقتصاد العالمي لا يبشّر بتعافٍ حقيقي، حيث تُعاني هذه الاقتصادات من اختلالات هيكلية وأزمات مُزمنة، كما عجز الانتعاش الأخير عن حل مشكلة البطالة لاسيما في أوروبا. ويبقى غياب مرجعية دولية غير مُنحازة تعكس موازين القوة الحقيقية في الاقتصاد العالمي هو التحدي الأهم الذي سيواجه إدارة الاقتصاد العالمي في العقد القادِمين. وفي المحصلة أصبح التكتل سمة أساسية للاقتصاد العالمي، حيث الاقتصادات الكبيرة ستلتهم أو تسحق الاقتصادات الصغيرة الأنانية أو العاجزة أو المُحاصرة.

في غضون ذلك يُشكّل غياب العرب والمسلمين بما يملكون من ثروات هائلة عن خريطة التكتلات الاقتصادية والتجارية العالمية، وفشلهم في تحقيق أي نوع من القوة السياسية أو الاقتصادية المُعتبرة الفاجعة الأهم، التي ستتضاعف بنشوء السوق الشرق أوسطية لو قُدّر لها ذلك والتي ستكون محورها وخازنها إسرائيل.

مصادر الفصل الثاني

- 1- دراسة بعنوان (قراءة في الاقتصاد السياسي لاتفاق غزة - أريحا.. تنمية اقتصاديه أم بوليسية للحكم الذاتي)، جريدة (الحياة)، 27-11-1992م.
- 2- دراسة بعنوان (تحولات الاقتصاد العالمي.. توازنات الثروة والقوة)، فصلية (قراءات سياسية) السنة (5)، العددان (2-3)، ربيع وصيف 2995م.

الفصل الثالث: ومضات دينية وسياسية عند رمضان شلح

المبحث الأول: ومضات دينية تنويرية عند رمضان شلح

أولاً: الوحي والتراث.. التمييز بين الإلهي والبشري

" الوحي (القرآن الكريم والسنة الصحيحة) ليس تراثاً تاريخياً نأخذ منه ما نريد ونرفض ما نريد، أو نجعله محكوماً للواقع باختلاف الزمان والمكان، الوحي غير التراث، فالتراث إنجاز بشري خالص وعلى أحسن الأحوال يُعبر عن تفاعل النص المقدس أو الوحي مع الواقع عبر قراءة الواقع في ضوء النص وليس العكس ... إن التراث بما يُمثله من منجزات فكرية ومادية، بما هو أفكار واجتهادات وطرائق وصنائع إنما هو مرتبط بالشروط الزمانية والمكانية، ويعكس اختلاف آراء واجتهادات البشر في الإجابة على أسئلة عصرهم باختلاف حاجاتهم وبيئاتهم ومشكلاتهم ... أي أن التراث كنتاج للعقل والجهد البشري يمكن أن يتغير فيه الرأي والاجتهاد والإنجاز باختلاف الزمان والمكان كما فعل علماء الأمة العظام في تجربتهم التاريخية واجتهاداتهم التي لم تمنع من الانفتاح على إبداعات البشر في مختلف الحضارات مع مراعاة شروط الاستخلاف التي يحددها الوحي" ¹⁶².

ثانياً: السلفية.. المشكلة في السلفية التكفيرية

" نحن لا مشكلة لدينا مع السلفية، إذا كانت السلفية تعني التمسك بنهج السلف الصالح فنحن سلفيون، ولكن المشكلة في السلفية التكفيرية، أو بعض الجماعات التي تريد نقل معركة الأمة داخلها، ما حدث في العراق نموذج سيئ، وفلسطين لا تحتل تكراره لنقل المعركة من مقاومة العدو إلى المواجهة الداخلية، هذا ليس في مصلحة أحد، ولا نقبل ولا نسمح به نحن وكل قوى شعبنا... حركة الجهاد عانت في علاقتها مع التيار السلفي وغيره في أوساط أهل السنة من شبهة العلاقة على الجمهورية الإسلامية في إيران وحزب الله في لبنان، وقد عانت حركة الجهاد الكثير جرّاء هذا الأمر، و تعرّضت ومازالت تتعرّض لحرب شعواء في هذا المجال" ¹⁶³.

ثالثاً: العلمانية والإسلام.. سؤال المرجعية

" إن التشكيك في مرجعية الإسلام ومحاولة إقصائه عن الحياة تزامن مع الهجوم الاستعماري على الأمة، وهنا نسجل أن فكرة العلمانية في بلادنا هي فكرة وافدة جاءت إلى المنطقة مع الموجة الاستعمارية الحديثة... لقد تم استحضار النموذج الغربي في العلاقة بين الدين والسياسة، وإحداث انفصام يضرب كل الثواب والحقائق التي ترسخت في الضمير والعقل العربي والإسلامي طيلة قرون من تاريخ الأمة...

¹⁶² - كلمة في الذكرى العاشرة لرحيل الإمام الخميني، دمشق، 9-6-1999م.

¹⁶³ - مقابلة مع صحيفة (الحياة)، 25-3-2010م.

وبرزت الجوانب الفلسفية في التنظير لعلمانية شرسة أيديولوجياً، جعلت إقصاء الإسلام عن الحياة وهدم مرجعيته الفكرية والسياسية هدفاً مركزياً، وفعلًا جرى الترويج لعلمانية إلحادية لا تؤمن بالغيب، ولم يدخر أصحاب هذه العلمانية وسعاً في الحرب على الإسلام بوصفه الديني والغبيبي والرجعي المسؤول عن تكتل العرب... ما حدث في العقود الماضية هو عملية فصل قسرية بين الأمة والمنهج. لقد تم حرمان الأمة من المنهج الصالح الذي يُحدد للأمة أهدافها وغاياتها في الحياة، ومنه استمدت وجودها وكيانها المادي والمعنوي" ¹⁶⁴.

رابعاً: المرأة في الإسلام .. سؤال المكانة والدور

"... نعم الإسلام يقر بوجود فارق معين في الأدوار بين الرجل والمرأة، كما يقول البابا- ولكن ليس على مستوى الصلة بالله أو التكليف بعبادته أو الكرامة في كنفه، والخطاب القرآني يقرن عادة بين المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، وغيرها من الصفات الإيجابية بطريقة تؤكد كيانية المرأة واستقلالية شخصيتها وتحملها المسؤولية على قدم المساواة مع الرجل، وتاريخياً لم يكن الإسلام حجر عثرة في طريق المرأة للقيام بدورها الريادي في كافة مناحي الحياة السياسية والحرية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية وغيرها. لم يعترف الإسلام بالذكورة والأنوثة كما هو الحال عند البابا كعائق يحول دون الوصول إلى الله، أو يمنع من التحصيل المعرفي الديني، أو القيام بدور المرجعية الدينية، فالرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام يقول: "خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء"، في إشارة إلى السيدة عائشة - رضي الله عنها - والتاريخ الإسلامي مليء بالنماذج النسائية الفذة التي نبغت في علوم القرآن والتفسير والفقه والأدب، وإلى جوار الرجال كان هناك المحدثات والفقيهات والواعظات قبل اختراع (الفقه البدوي). كما يقول الشيخ الغزالي، بل إنه في مجال الحديث المصدر الثاني للشرعية، لم تكف المرأة برواية الحديث، بل أجازته للأخريين، أي أنها كانت مصدراً للشرعية الدينية" ¹⁶⁵.

¹⁶⁴ - مقابلة مع مجلة (النور)، 12-2-2002م.

¹⁶⁵ - مقال في جريدة (الاستقلال)، غزة، 14-7-1995م

المبحث الثاني: ومضات سياسية وطنية عند رمضان شلح

أولاً: منظمة التحرير الفلسطينية.. مظلة المشروع الوطني الفلسطيني

"الحل الجذري لتحقيق وحدة وطنية حقيقية والذي يتطلب منا الحوار هو منظمة التحرير الفلسطينية.. لا أحد في قوى المقاومة يريد أن يشق أو يلغي منظمة التحرير، لكن لا أحد يقبل أن تبقى منظمة التحرير مخطوفة ومسرورة في ثلاثة الموتى، متى شاءوا أن يستخدمونها لتسويق نهج التفريط، ومتى شعروا أن المقاومة تريد أن يجمع صفوفها في تكوين جبهة تتكلم باسم المقاومة فاعوا علينا كالدبابير وقالوا ومنظمة التحرير، لا أحد يريد أن تلغى منظمة التحرير، ونحن نقول لكم منظمة التحرير هي مظلة المشروع الوطني الفلسطيني وعنوان لحركة التحرير، نحن نريد إعادة بناء منظمة التحرير حسب ما نص عليه اتفاق القاهرة لتستوعب كل القوى بما فيها حماس والجهاد، وليس لدينا وهم آخر" ¹⁶⁶.

ثانياً: المصالحة الفلسطينية.. المشكلة غياب البرنامج الوطني

1- الانقسام الفلسطيني.. من المسؤول فتح أم حماس؟

"قبل دخول حماس الانتخابات والمشاركة في الحكومة، كان الاصطفاف السياسي واضحاً، حيث وجود مشروعين، هما: مشروع المقاومة (الجهاد وحماس)، ومشروع التسوية (فتح وحلفائها في المنظمة)، ولكن بعد مشاركة حماس في السلطة حدث نوع من خلط الأوراق بين المشروعين -المقاومة والتسوية- وعندما بدأت الصدامات بين حركة حماس وفتح... وذهبت حماس اتجاه خطوة الحسم العسكري في غزة أحدثت خلطاً جديداً للأوراق... وزادت الأمور تعقيداً... نحن أعلننا منذ بداية الأحداث أن الطرفين - فتح وحماس - يتحملان المسؤولية عما حدث.. " ¹⁶⁷.

2- غياب المصالحة الفلسطينية.. أين المشكلة الأساسية؟

".. لا أظن أن الانقسام في الساحة الفلسطينية بين حركتي فتح وحماس على الرغم من كل المساوئ على الشعب والقضية هو المشكلة المركزية، أو المشكلة الأخطر في الساحة الفلسطينية، المشكلة الأساسية غياب البرنامج الذي يتضمن منطلقات ورؤيا وأهداف وأدوات ووسائل يتوافق عليها المجموع الفلسطيني ولو بالحد الأدنى، غياب هذا البرنامج هو الذي يفتح المجال للانقسام... لا بد من إعادة ترتيب الأولويات على الساحة الفلسطينية، ولا بد من إعادة صياغة مشروع وطني فلسطيني، ولو بالحد الأدنى من القواسم المشتركة بين الجميع، عندها يمكن أن ننطلق لمصالحة حقيقية" ¹⁶⁸.

¹⁶⁶ - كلمة في مهرجان (الانتصار)، بدمشق، 6-2-2009م.

¹⁶⁷ - مقابلة مع موقع (الإسلام اليوم) السعودي، 21-10-2007م.

¹⁶⁸ - مقابلة مع صحيفة (الدستور)، الأردنية 23-11-2009م.

ثالثاً: فلسطينيو (48).. أهم دُخر استراتيجي للقضية

1" أما أهلنا في مناطقه (48) فعلى الرغم من معاناتهم وصراهم المريع مع العنصرية الصهيونية البغيضة، فإنَّ بقاءهم على أرض فلسطين هو أهم دُخر استراتيجي للقضية، إنَّهم الشاهد الحي الذي ينسف كل الادعاءات والأساطير المؤسسة للكيان الصهيوني، وهم العين التي تواجه المخرز، وتنسف مخطط (يهودية الدولة)، ولذا فإنَّهم يتعرضون اليوم لنوع من التطهير العرقي الصامت في أماكن وجودهم كافة، وخصوصاً في حيفا وعكا واللد والنقب، من هدم بيوت ومصادرة أراضي وتهجير داخلي وأشكال المضايقات كلها، وقد رأينا هبة أهلنا في (48) وتضامنهم مع غزة أثناء العدوان، الأمر الذي يؤكد أن الشعب الفلسطيني - رغم فقدان المجتمع الموحد على بقعة أرض واحدة - استطاع أن يحافظ على الإطار العام للوحدة الوطنية، وأنه إذا مزقته الجغرافيا، فهو جروحه وانتنامه وإرادته التي لا تنكسر، وفي كل أماكن وجوده، وعلى اختلاف توجهاته شعب واحد وقضية واحدة" 169.

رابعاً: الأسرى.. قضية إجماع وطني

في كلمة للدكتور رمضان شلح 170 في يوم الأسير الفلسطيني اعتبر أن قضية الأسرى هي قضية إجماع وطني وحدد النقاط الآتية:

- 1- قضية الأسرى جزء لا يتجزأ من قضية فلسطين، أنتم في الأسر لأنَّ فلسطين مأسورة، والقدس مأسورة، وأنتم والله فلذة كبذ فلسطين، ومُهجة القدس، فالذي سلبكم حريتكم هو من سلبنا وطننا فلسطين.
- 2- أنتم في الأسر لأنَّ الأمة كلها في الأسر أيضاً، حكماً ومحكومين، فالذي سلبكم حريتكم هو من سلب الأمة إرادتها، ولأنكم والشهداء كنتم الاستثناء الأبرز الذي انتصر في معركة سلب الإرادة فلقد دفعتم حريتكم ثمناً لهذا الانتصار.
- 3- إنَّ حريتكم هي حرية الوطن، تحريركم هو من تحرير الأرض والمقدسات... حريتكم هي حرية شعبكم من هذا السجن الكبير، وحريتكم هي حرية الأمة من الأسر وخروجها من السجن الأمريكي الصهيوني الذي يمتد بطول وعرض الوطن العربي والإسلامي.
- 4- أقول لكم وكلّي ثقة بالله ووعي بالتاريخ ومعرفة بالحاضر وأمل في المستقبل بأنكم والله أطول عُمرًا من هذا الكيان، وأنكم سترون شمس فلسطين، وستسمون عبير الحرية بإذن الله، سيخر السجن ويفر السجان، بل ينهار هذا الكيان ويزول من الوجود، وهذه ليست مجرد أمني، بل وعد الله القائل "وَلَيَتَّبِعُوا مَا عُلِّوا تَتَّبِعُوا".

169 - مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (100)، خريف 2014م.

170 - كلمة في يوم الأسير الفلسطيني، 17-4-2010م.

خامساً: ملامح المشروع الوطني الفلسطيني المنشود

حدد الدكتور رمضان شلّح ملامح المشروع الوطني الفلسطيني المنشود في كلمة له بذكرى معركة 2012 يمكن إجمالها بالنقاط التالية¹⁷¹:

- 1- إنَّ فلسطين كلها وطن الشعب الفلسطيني، والفلسطينيون أينما وجدوا شعب واحد وقضيتهم واحدة.
- 2- لا يحق لأي فئة أو جهة من الشعب أن تفرض حلاً يتضمن تنازلاً عن أي حق من حقوق الشعب الفلسطيني في وطنه.
- 3- التأكيد على وحدة الصف ولا ينبغي لأي اختلافات بين الفلسطينيين مهما كانت طبيعتها أن تطفئ على صراعهم مع الكيان الصهيوني.
- 4- إعادة بناء الكيان الوطني الفلسطيني والكيان المعنوي في ظل غياب الدولة الوطنية بعيداً عن قيود التسوية (منظمة التحرير الفلسطينية بعد التحرر من قيود أوسلو وتعود حركة تحرر وطني).
- 5- اعتماد حق وخيار المقاومة كبرنامج لقوى الشعب الفلسطيني كافة.
- 6- إعادة الاعتبار إلى البعد العربي الإسلامي للقضية، أي أن تحتضن الأمة قضيتها من جديد.

سادساً: ملامح المشروع الإسلامي المعاصر المنشود

حدد الدكتور رمضان شلّح ملامح المشروع الإسلامي المعاصر المنشود في دراسته (فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر)¹⁷²، يُمكن إجماله بالنقاط التالية:

- 1- تحرير الأرض من الاستعمار والاحتلال الأجنبي لتحقيق الاستقلال.
- 2- تحرير الإنسان من الاستبداد بهدف تحقيق الحرية والشورى والمشاركة الشعبية.
- 3- هدف التقدم والتنمية في مواجهة التخلف الذي تُعاني منه الأمة.
- 4- مطلب العدالة الاجتماعية في توزيع الثروات وضمن عيش كريم للناس.
- 5- مطلب الهوية العربية الإسلامية في مواجهة التغريب والاستلاب الثقافي.

سابعاً: مفهوم (النصر).. استمرار المقاومة حتى التحرير

- 1- بعد حرب 2008 - 2009م وجه رمضان شلّح كلمة للشعب الفلسطيني¹⁷³ مُحدداً مفهوم النصر الفلسطيني للمقاومة بانتصار الإرادة الوطنية على القوة الطاغية الإسرائيلية، ومما جاء في كلمته: "... حق لنا وحري بنا أن نحتفل وأن نحتفي بانتصار إرادتك على جبروت القوة الصهيونية... نعم لقد انتصرت إرادة أهل غزة، وانتصرت المقاومة، وانتصر الجرح الفلسطيني الذي ما زال ينزف... لقد انتصرنا في منعنا لعدونا من تحقيق أهدافه، لقد انتصرت إرادة الشعب... إرادة الحياة.. إرادة الحرية.. وأما انتصارنا الكبير والنهائي فهو تحرير كامل أرضنا فلسطين، وفي عودتنا إلى فلسطين، كل فلسطين مُحررة بإذن الله".

¹⁷¹ - كلمة في الذكرى السنوية الأولى لمعركة (2012)، 18-11-2013م.

¹⁷² - دراسة (فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر)، 5-6-2000م.

¹⁷³ - كلمة في مهرجان (الانتصار)، دمشق، 2-6-2009م.

2- بعد حرب 2014م وجه كلمة¹⁷⁴ للشعب حدد فيها مفهوماً آخر للنصر هو منع العدو من تحقيق أهدافه، ومما جاء في كلمته:

"... وانتصرت غزة، لأنَّ العدو لم يُحقق شيئاً من أهدافه في هذه الحرب، سوا تدمير الصواريخ، أو تحقيق الأمن، أو نزع سلاح المقاومة، أو تصفية قياداتها، وفشل على المستوى الاستخباري والأمني والعسكري والسياسي والاستراتيجي والأخلاقي، وكل ما أحدثه هو إحداث أكبر قدر من الدمار وقتل النساء والأطفال... لقد صنعت غزة ميزاناً جديداً للرعب والردع مع الكيان الصهيوني".

3- بعد حرب 2014م، أيضاً في مقابلة مع قناة (الجزيرة) الفضائية¹⁷⁵ تحدث عن (توازن الرعب) كنوع من الانتصار في الصراع مع العدو، فقال:

"توازن الإرادات يعني أنني أستطيع أن أصنع من لا شيء كل شيء، المقاومة التي نطرحها ونقدمها نموذجاً اليوم هي المقاومة التي تهزم العدو وتحقق معه نوعاً من (توازن الرعب)، مثلاً العمل الاستشهادي في فلسطين بعد إنهاء الانتفاضة، الإرادة الفلسطينية المقاتلة، الإرادة العربية والإسلامية، إرادة الجهاد والاستشهاد... إرادة الكفاح".

¹⁷⁴ - كلمة في (المؤتمر الدولي لعلماء الإسلام دعماً للمقاومة الفلسطينية)، طهران، 11-9-2014م.

¹⁷⁵ - مقابلة مع قناة (الجزيرة) الفضائية، بدون تاريخ.

مصادر الفصل الثالث

- 1- كلمة في الذكرى العاشرة لرحيل الإمام الخميني، دمشق، 9-6-1999م.
- 2- مقابلة مع صحيفة (الحياة)، 25-3-2010م.
- 3- مقابلة مع مجلة (النور)، 12-2-2002م.
- 4- مقال في جريدة (الاستقلال)، غزة، 14-7-1995م.
- 5- كلمة في مهرجان (الانتصار)، بدمشق، 6-2-2009م.
- 6- مقابلة مع موقع (الإسلام اليوم) السعودي، 21-10-2007م.
- 7- مقابلة مع صحيفة (الدستور)، الأردنية 23-11-2009م.
- 8- مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (100)، خريف 2014م.
- 9- كلمة في يوم الأسير الفلسطيني، 17-4-2010م.
- 10- كلمة في الذكرى السنوية الأولى لمعركة (2012)، 18-11-2013م.
- 11- دراسة (فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر)، 5-6-2000م.
- 12- كلمة في مهرجان (الانتصار)، دمشق، 2-6-2009م.
- 13- كلمة في (المؤتمر الدولي لعلماء الإسلام دعماً للمقاومة الفلسطينية)، طهران، 11-9-2014م.
- 14- مقابلة مع قناة (الجزيرة) الفضائية، بدون تاريخ.

محمد الفتاح



الباب
السادس

الفصل الأول: محمد الفاتح.. قبل الأمانة العامة

كتب الدكتور رمضان شلح مقالات وخواطر في جريدة الاستقلال الفلسطينية الصادرة بغزة في زاوية (مرايا) باسم (محمد الفاتح) بين عامي 1994م- 2002م في مرحلة سياسية حساسة من تاريخ القضية الفلسطينية شهدت نهاية الانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة)، وبداية الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى)، وبينهما عقد اتفاق أوسلو ونشأة السلطة الفلسطينية، وعمليات المقاومة العسكرية والاستشهادية في كافة أنحاء فلسطين المحتلة، وقد قسّم هذا الباب إلى فصلين، الأول كتابات رمضان شلح (محمد الفاتح) قبل توليه منصب الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، والثاني بعد توليه المنصب... وقد سجّلت هذه الكتابات بناءً على التسلسل الزمني بغض النظر عن المضمون، وقد اختيرت المقطوعات بالنص أو المضمون بناءً على تقدير مُعد الكتاب وفق معيار تغطيتها لعنوان المقال أو الخاطرة في زاوية مرايا، وبما يخدم الهدف من الكتاب بتقديم مختصر عن فكر وأدب الراحل الكبير الدكتور رمضان شلح.

المبحث الأول: مرايا عام 1994م

1- ما نتوقع من الاستقلال

بمناسبة إصدار العدد الأول من الاستقلال

لا تطمح هذه الصحيفة إلى ما يفوق إمكانياتها، فهي ببساطة تريد أن تكون الذاكرة ضد النسيان الزاحف إلى عقولنا، ويكاد يوصلنا إلى غيبوبة اختيارية لم تُسبق في التاريخ.. ببساطة نأمل من الاستقلال أن تُمثّل مشروع النجاة من الإبادة لشعبنا وقضيتنا، وأن تطرح الرأي والأفكار القادرة على صياغة الرأي وإنجاز دورة الأمة في تحرير واستقلال فلسطين¹⁷⁶.

2- القدس .. الملك .. الرئيس

بمناسبة: صراع الأردن والسلطة على السيادة الدينية على المسجد الأقصى

أقدس من القدس هو التحرير الكامل، التي يمكن أن ترجع القدس طاهرة مُطهرة إلّا في سياقها، لأنّ استرجاع جزء منها والتفريط بالجزء الآخر ليس من القداسة في شيء، كما إنّ أيّ مشروع يُطرح نتيجة ضعف الأمة وعدم قدرتها على إنجاز مشروع التحرير واسترداد كامل الحقوق، لن يقنع أو يرغم الدولة اليهودية بالتنازل عن أطماعها في القدس كما بقية فلسطين¹⁷⁷.

¹⁷⁶ - جريدة الاستقلال، العدد (1)، 21-10-1994م.

¹⁷⁷ - جريدة الاستقلال، العدد (2)، 28-10-1994م.

3- اغتيال هاني عابد

بمناسبة اغتيال هاني عابد

من لم يمت بالسيف مات مفخخاً، تَوَحَّدت الأسباب والموت مختلف، أخي هاني: هذه هي حكمة الموت الفلسطيني في الزمن المُفخخ والمطرز بالندى والنار... هذه هي حكمة الموت الفلسطيني في زمن النكوص... فقد تموت على قمة المجد كالأنبياء، وقد تموت على مزبلة كاللصوص... أخي هاني: كم موجه هذا الرحيل، لكها سُنَّة الله، أن لا نعرف خارطة للأرض سوى شلالات دم الشهداء، فهي زادنا وزوادنا في الطريق الطويل أيها القتلة، هاتوا ما عندكم فليس هذا هو نهاية الحقد، سيرصدنا شجر الغرقد إلى ساعة الرعد... 178

4- القرار الأمريكي والبوسنة... لماذا؟

بمناسبة صدور قرار أمريكي يوقف حظر إرسال السلاح إلى البوسنة وكرواتيا
أشاد الدكتور رمضان شَلَح بتمسك مُسلمي البوسنة بحقوقهم وهويتهم واستعدادهم للتضحية دفاعاً عن وجودهم في أرضهم ووطنهم وحفاظاً على كياناتهم الديني والوطني وسط أوروبا. 179

5- مُضر وربيعه في غزة

بمناسبة أحداث يوم الجمعة الأسود في محيط جامع فلسطين بغزة بتاريخ 18-11-1994م ما حدث في غزة جد خطير، لكن الأخطر منه أن يكون ذلك مجرد (بروفة) لما هو آت وما هو أعظم، ويبدو أنَّ شعبنا المنقوع في الدم منذ ما يزيد على ثلاثة أرباع القرن مكتوب عليه أن يُجرب كل أنواع الحروب، فبعد محاولة البعض دفن المأسوف على شبابها (حرب التحرير الشعبية) في مقبرة (غزة - أريحا)، بدأت عملية تمرير مسلسل موديلات الحروب بسرعة فائقة حتى تصل إلى بيت القصيد الحرب الأهلية.... 180

6- إدوارد سعيد والجرح الذي لا تُضمده الأكاذيب

بمناسبة موقف إدوارد سعيد الناقد لسلطة الحكم الذاتي في صحيفة الحياة اللندنية
في زمن انسحاب المثقف أمام سطوة السياسي وفاشية الأمني، كما فعل الكثيرون من أصحاب النوايا الحسنة المُحِبِّين، أو استتالته من ذاته، كما في حال أصحاب الحناجر المستوردة وسادة اللغة الحربائية من منتمي (السلام المُسلَّح)، يبقى صوت إدوارد سعيد، المؤيد للتسوية أصلاً (وهذه هي مأزق المشروع الوطني كله)، مدعاة لاحترام واعتزاز كل فلسطيني يأبى السقوط في لعبة الزيف الوطني (المقدس) والموصل للانتصار، لكن هذا لا يعني أننا لا نختلف عنه في الرأي. 181

178 - جريدة الاستقلال، العدد (3)، 4-11-1994م.

179 - جريدة الاستقلال، العدد (5)، 18-11-1994م.

180 - جريدة الاستقلال، العدد (7)، 2-12-1994م.

181 - جريدة الاستقلال، العدد (8)، 9-12-1994م.

7- حول انتخابات الحكم الذاتي

بمناسبة انتخابات الحكم الذاتي للرئاسة والمجلس التشريعي تضمنت (المرايا) تحليل موقف السلطة وإسرائيل من الانتخابات، وسعي السلطة للحصول على الشرعية عن طريق الانتخابات، وسعي إسرائيل للحصول على الأمن لمستوطنيتها بوجود سلطة مستقرة.¹⁸²

8- الإسلاميون وانتخابات الحكم الذاتي

بمناسبة جدل الانتخابات ومشاركة الإسلاميين في هذا الجدل تتضمن تحليل موقف الإسلاميين من انتخابات الحكم الذاتي ما بين المؤيدين للمشاركة في الانتخابات من منطلق سياسي تحت مبررات عدم ترك السلطة تنفرد بالقرار، وتصليب موقفها أمام إسرائيل، وحماية مؤسسات المعارضة وأطرها التنظيمية، والمشاركة في بناء مجتمع ديمقراطي. وقد أسماه "التكيف مرحلياً مع نفسية الهزيمة والتبعية" أما المعارضون للمشاركة في الانتخابات لأسباب شرعية وعقدية وتاريخية استراتيجية (الثوابت)، ولأسباب سياسية مرحلية تتعلق بوجود الانتخابات تحت سقف (أوسلو). وقد رد كاتب المرايا على المؤيدين بطريقة منطقية.¹⁸³

9- إسرائيل وعضوية الجامعة العربية

بمناسبة تصريح شمعون بيرز عن رغبة انضمام إسرائيل إلى الجامعة العربية وتحويلها إلى جامعة شرق أوسطية، فرجع رمضان شلح إلى أصل مأزق العرب. ضيّع العرب ملكهم، وأضاعوا فلسطين في نكبتين، لما تمردوا على ما يحصل لهم به الملك والغلبة (الإسلام)، واستبدلت العلمانية والأفكار الغربية الوافدة بالإسلام فوق (التغريب) الذي هو ثالثة الأثافي في مشروع الهيمنة الغربية على بلادنا إلى جانب التجزئة وإسرائيل، وحفاظاً على مصالح النخب الحاكمة، امتهنت أنظمة التجزئة القطرية تضليل شعوبها وسحق حريتها وكرامتها فخرّجت أجيالاً مقموعة مهزومة نفسياً.¹⁸⁴

¹⁸² - جريدة الاستقلال، العدد(7)، 23-12-1994م.

¹⁸³ - جريدة الاستقلال، العدد(11)، 30-12-1994م.

¹⁸⁴ - جريدة الاستقلال، العدد(12)، 6-1-1995م.

المبحث الثاني: مرايا عام 1995م

1- قمة الإسكندرية.. لماذا؟

بمناسبة عقد قمة عربية مُصغرة بين مصر وسوريا والسعودية بتاريخ 28-12-1994. حلل الدكتور رمضان شلح أسباب القمة العربية، وكيفية تأثير علاقات الدول الثلاث مع أمريكا، واعتبر القمة العربية المصغرة تظاهرة سياسية لبيان قوة الدول الثلاث مجتمعة ومنفردة لإجبار أمريكا على عدم تجاوز دورها.¹⁸⁵

2- في صحة القدس

بمناسبة استشهاد ستة رجال شرطة في الضفة الغربية على يد جيش الاحتلال الإسرائيلي. طوى الشعب المُتعب خيمة عزائه، عاد أصحاب الأوسمة إلى مكاتبهم، لكن (شمات الهوا) المفاوضات استؤنفت، التقينا ببيروز واختلفنا على السنتيمترات في (لعبة دق القدم)، واحتياجات الأمن لجحور النمل اليهودي في الضفة المنكوبة، لكننا في النهاية، رفعنا كأس حرارتنا لتحيته: في صحة أمتكم؛ ورفع بندقيته التلمودية للثناء علينا: في صحة موتكم!؛ وافترقنا لنعد للقاء رابين غداً، ولكل العرب والمسلمين: في صحة القدس!.¹⁸⁶

3- الحجاج في القرن العشرين

بمناسبة واقع الاستبداد في الأمة كتب رمضان شلح قصيدة (أنا الحجاج) ولما كان حجاج القرن العشرين المُتفشي في أوطاننا هو الشمس الذي تَوَزَع الضوء على نهاراتنا بالقسط كما يَوَزَع الحليب على أطفالنا، آثرت أن أقاسم شريكي في الهم القارئ الغبطة والفرح بواقع أمتنا المجيدة كما يشع من كلمات هذه القصيدة في الأجزاء التي اقتطفها هنا..
أيها الناس: لقد أصبحت سلطاناً عليكم .. أنا الحجاج إن أنزع قناعي تعرفوني.
فاكسروا أصنامكم بعد ضلالٍ واعبدوني.
إنني لا اتجلى دائماً.. فاجلسوا فوق رصيف الصبر حتى تبصروني.
واحمدوا الله على نعمته.. فلقد ارسلني كي اكتب التاريخ.. والتاريخ لا يُكتب دوني ..

¹⁸⁵ - جريدة الاستقلال، العدد(13)، 13-1-1995م.

¹⁸⁶ - جريدة الاستقلال، العدد(14)، 20-1-1995م.

4- والنعم يا من تركتم لنا الوصية في شظية

بمناسبة عملية (بيت ليد) الاستشهادية المزدوجة (صلاح شاكور وأنور سكر)

والنعم يا صلاح الدين، يا شاكور الإله في غلاه، يا داخلاً عبادة النبي، يا فارس القصواء.. والنعم يا أنور المجد الفدائي، يا سكر الليمون، والبرق المعطر ليللة الحناء.. يا آخر المدافعين عن شرف أمة مهیضة الجناح، يا براعم الملاحم المضيئة في غد مثل نجمة الصباح، يا سيف عز الدين ولعلعة الرصاص في الأعراس، يا فجرنا القريب في جزائر المجد على دُرى الأوراس، يا شجر الورد الذي يزهر البارود والقمح المقاتل، يا حمزة العربي يُشهر في عكاظ سيفه ضد السلالات الجبانة في القبائل.. والنعم يا من تركتم لنا الوصية في شظية .¹⁸⁷

5- كلينتون والمزدوج أنور- صلاح

بمناسبة عملية (بيت ليد) الاستشهادية المزدوجة (أنور سكر وصلاح شكر)

لا يستطيع كلينتون أن يرسل بطاريات صواريخ (باتريوت) لتبطل مفعول (المزدوج أنور- صلاح)، فهذه صواريخ آدمية مجال حركتها الأرض المسروقة التي تُغني وشوشتها عن الرادارات فتدل حُطى النشامى على الهدف... دوت أصدااء انفجارات بيت ليد في أروقة البيت الأبيض، فسارع كلينتون إلى إدانتها بشدة باعتبارها عملاً إرهابياً ضد (أبرياء) هم أفراد الجيش الاسرائيلي الذين ربما يرشّحهم كلينتون العام المقبل لنيل (جائزة نوبل للبراءة).¹⁸⁸

6- والعود أحمد

بمناسبة عودة إصدار (الاستقلال) بعد حجبها من السلطة

في نوفمبر الماضي اغتال العدو الصهيوني الأخ هاني عابد المدير العام لصحيفة الاستقلال، لم يكن هاني يتوسد ثرى فلسطين شهيداً حتى كان يتعرض لمحاولة الاغتيال الثانية بإطلاق نار الصمت والإسكات على كلماته وفكرته. في المرة الأولى التقطت (مرايا) الفجيعة حكمة الموت الفلسطيني تنطلق "من لم يمّت بالسيف مات مفخخاً"، في المحاولة الثانية التقطت (مرايا) الهزيمة الوجه الآخر الأكثر سواداً في مشهد الانكسار، فسألت حكمة الموت الجديدة أو الحياة الجديدة "من لم يمّت بالسيف مات مكماً".¹⁸⁹

¹⁸⁷ - جريدة الاستقلال، العدد (15)، 27-1-1995م.

¹⁸⁸ - جريدة الاستقلال، العدد (16)، 3-2-1995م.

¹⁸⁹ - جريدة الاستقلال، العدد (17)، 17-3-1995م.

7- بوريم الفلسطيني في سجن سرايا غزة

بمناسبة نشر الصحف الإسرائيلية صورة لمستوطنين يهود ينزلون من الطائرة في القدس وهم يرتدون الأزياء العربية والفلسطينية في عيد المسخرة (البوريم) اليهودي. الذي يزور سرايا غزة ينشر صدره للمنجزات العظيمة والرائدة للحكم الذاتي: العسكر، البنادق، السجّان، الزنازين، التحقيق، المردوانات، الإحباط النفسي.. كل شيء على ما يُرام. المتغيرات الطفيفة التي تلمسها والخطّة والعلم المسكين تدفعك إلى الاعتقاد بقيام السجن بدوره على أكمل وجه، إنّ أولئك لم يرحلوا، ولكنهم في حفلة عيد المسخرة (البوريم) ¹⁹⁰.

8- قيادة أمريكا.. لعنة العالم

بمناسبة نشر مقال لوزير الخارجية الأمريكي (وارن كريستوفر) بعنوان (قيادة أمريكا.. فرصة للعالم) قام رمضان شلّح بتحليل المقال واستعرض أهداف أمريكا في الشرق الأوسط التي حددها (كريستوفر)، وهي: دعم إسرائيل وضمان أمنها، وحفظ أمن واستقرار الأنظمة العربية الموالية لأمريكا، وضمان استمرار تدفق النفط للغرب بأ ¹⁹¹بخس الأثمان، والهدف الجديد هو محاربة الإسلام المكافح لا الإسلام الأمريكي بلغة الشهيد سيد قطب، وذلك تحت شعار الأصولية أو الإرهاب... وختم (مرايا) مُعلّقاً على (قمة الأرض) "إذا كنا نسينا أنّ قمة الأرض ناقشت تلوث البيئة فيجب أن لا نشك لحظة أننا بحاجة إلى قمم جبال تُناقش (تلوث عقولنا) التي لا تُدرك أنّ قيادة أمريكا.. لعنة العالم".

9- ما جرى في الخرطوم ويجري في غزة

بمناسبة انعقاد (المؤتمر الشعبي العربي الإسلامي) في الخرطوم برئاسة حسن الترابي رد رمضان شلّح على اقتراح أفريقي بشطب كلمة (العربي) من اسم المؤتمر فرفضه الترابي، ومما كتبه شلّح تعقيباً على ذلك "لقد أصبح عرب اليوم أضحوكة ومهزلة بين الأمم، فيما نحن ببركة الحكم الذاتي أصبحنا مضحكة العرب، فماذا تكون النتيجة لو ضربنا أخماس الهزيمة بأسداس العار الذي يُجلّ جنّات الوطن المنكوب بهم (الزمن العبري)، المُلقى على عاتقنا بعد هذا العمر الطويل من الدماء والشهداء؟، النتيجة هي صاعقة مدوية ماحقة لن يقف منها أحد ليُقال له صح النوم، إذا أردت أن تفهم ماذا جرى في البيت الأبيض فعليك أن تعرف ماذا جرى في سرايا غزة! ¹⁹².

¹⁹⁰ - جريدة الاستقلال، العدد(18)، 24-3-1995م.

¹⁹¹ - جريدة الاستقلال، العدد(19)، 31-3-1995م.

¹⁹² - جريدة الاستقلال، العدد(20)، 7-4-1995م.

10- ولنا فيها مآرب مشبوهة

بمناسبة إصدار أحكام السجن المؤبد على مجاهدين فلسطينيين من (محكمة أمن الدولة) للسلطة الفلسطينية، وما ورد في حيثيات الحكم (استغلال الدين لمآرب مشبوهة)

"يا الله.. مآرب مشبوهة!، فلسطين، القدس، حيفا، يافا، عكا، اللد، الرملة، وإخراج المستوطنين من قلب القطاع مآرب مشبوهة!، ترى ما الذي دار في مخيلة الشيخ عمر شلح (أخ الدكتور رمضان) لحظة سماعه النطق بالحكم في حقه؟!، أهكذا أيها الوطن.. لقد كنت لنا في درة حليب الأم حباً، فيصبح لنا اليوم ذنباً.. يا صفى الدين الحلبي.. هل ما زلت تسأل: هل خاب الرجا فنياً؟، خاب الرجا، ومات الإباء، وأصبح الذل فينا كبرياء" 193.

11- سنة أولى مسخ ذاتي

بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لتوقيع اتفاق القاهرة وبدء تطبيق الحكم الذاتي بالأمس أطفأت السلطة الذاتية، الشمعة الأولى من عمر الحكم الذاتي الذي أطفأ سراج قلوبنا وأمل العودة إلى فلسطين. كشف المنجزات في عام يتلوه عليكم (باسهال) النائب (الخاص) في زمن الذمم (التنك)، والألسنة التي لا تدخل (الحنك) 194.

12- القدس في البازار الأمريكي

بمناسبة التنافس في الانتخابات الرئاسية الأمريكية، وتصريح (كلينتون) برفض نقل السفارة الأمريكية إلى القدس غضب إدارة كلينتون ورفضها نقل السفارة ليس ناتجاً عن عدم قناعتها بالراسخة بأن القدس هي العاصمة الأبدية لإسرائيل، بل لأن ذلك يُمكن أن ينسف عملية السلام، فحسب كلينتون ورايين يجب الانتظار حتى يبتلع العرب والمسلمون طعم التسوية و(خوازيقها) كاملة بعدها ننقل (البيت الأبيض) إلى (جبل الكرمل)، أو حتى إلى (جبل الهيكل)، أي المسجد الأقصى 195.

13- وكفى العرب شر القمة

بمناسبة إلغاء القمة العربية بعد تجميد اسحق رابين لقراره بمصادرة أراضي في القدس توقفت حملة أو هوسه رابين الأخيرة بشأن القدس، وتبادل الملوك والرؤساء العرب التهاني بينهم لانقشاع غيمة القمة (المسخوطة)، التي قبولها على مضض، وطيروا أسمى آيات الشكر لرايين على كرمه النبيل، وإتاحة الفرصة لهم بتغيير صيغة المثل الشعبي إلى (اجت منك يا رابين) بدلاً من (اجت منك يا جامع)، نظراً للإنزعاج الشديد الذي تسببه لهم الجوامع مأوى (الأصوليين) 196.

193 - جريدة الاستقلال، العدد(21)، 28-4-1995م.

194 - جريدة الاستقلال، العدد(22)، 5-5-1995م.

195 - جريدة الاستقلال، العدد(23)، 19-5-1995م.

196 - جريدة الاستقلال، العدد(24)، 27-5-1995م.

14- ما بعد النكبة الثالثة

بمناسبة ذكرى التوقيع على اتفاقية أوسلو السنوية

بعد النكبتين كنا نعرف الوطن ونعرف الطريق إليه، وبعد (النكبة الثالثة) تضاعل الوطن فصار بحجم بند في اتفاق، فلم يعد من السهل التعرف عليه... واختلفنا على الطريق، فصار من الصعب الوصول إليه... فهل يأتي اليوم الذي يتضاعل فيه الباطل ليكبر الوطن، فنراه ناصعاً كاملاً من جديد، فنسلك الطريق الواضح والصعب إليه، خارج مايو المُفجع، وخارج يونيو الموجه، في الزمن الهجين¹⁹⁷.

15- الإيدز السياسي والاستعمار

بمناسبة الذكرى السنوية لاتفاق أوسلو كتب رمضان شلح ناقداً مشروع التسوية " (الإيدز السياسي) وباء فكري ولوثة في العقل والإرادة تنسخ مقولة المفكر الإسلامي مالك بن نبي (القابلية للاستعمار)، ليحل محلها (القابلية للاستعمار)، فوفقاً لنظرية مالك بن نبي فإن الشعوب لا تستعمر إلا إذا كان لها القابلية لذلك من خلال الإحساس بالضعف والهزيمة أمام العدو بما يقود إلى الإذعان والاستسلام، والاستعمار يعني أن تتصرف النخبة الحاكمة على أساس أن الشعب (أهبل) ولا مبالي، ويوماً بعد يوم يقل اهتمامه بالسياسة، ويسعى ليل نهار من أجل لقمة العيش في ظل الحصارات المتتالية التي يفرضها العدو للتجويع من أجل التكريع"¹⁹⁸.

16- أيها العقل الفلسطيني أين أنت؟

بمناسبة مواصلة قمع سلطة أوسلو للمقاومين الفلسطينيين

منذ النكبة الأولى أو قبلها، ونحن نتقلب نتغلب على جمر الصبر، ونحمل الوطن جرحاً في القلب لا يندمل، ولكننا بقينا في كامل وعينا، ولم نفقد عقولنا التي ظلت دوماً شعلة متقدة وبوصلة توشر للوطن، وترسم سارقه في مركز دائرة الهدف فلا تخطئه أبداً، بعد أوسلو اختلف الأمر، فالعقل الفلسطيني (المخمود) بالتسوية طالت مدة غيابه¹⁹⁹.

17- محمود الخواجا

بمناسبة استشهاد (محمود الخواجا) قائد القوى الإسلامية المجاهدة (قسم) الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين داخل قطاع غزة.

محمود أن المسدس، أنت القلم، أنت الخريطة، أنت العلم، أنت فلسطين كل فلسطين، وأنت مع الله دوماً (قسم)، أنا عرفات، في موكب الفاتحين كنت أنت بوصلة القلب، وكنت الجهات الأربعة، كنت تُهيء، للذاهبين إلى جنة الخلد مواعيدهم²⁰⁰.

¹⁹⁷ - جريدة الاستقلال، العدد(26)، 9-6-1995م.

¹⁹⁸ - جريدة الاستقلال، العدد(27)، 16-6-1995م.

¹⁹⁹ - جريدة الاستقلال، العدد(28)، 23-6-1995م.

²⁰⁰ - جريدة الاستقلال، العدد(29)، 1-7-1995م.

18- 25 يوليو.. أي موعد لأي اتفاق

بمناسبة عقد اتفاق (إعادة الانتشار) بين السلطة واسرائيل

25 يوليو الجاري موعد جديد لإجراء اتفاق دفع قسط جديد من أقساط استحقاقات كارثة أوسلو، هذا التاريخ مناسبة جديدة للإفصاح عن الحضور الكثيف لمفردات التضليل والتزوير التي سوّقت ولا زالت مشروع الدولة في قلب أمتنا ... فمخلب اسرائيل الوحشي ونابها الذي افترست به أراضي الغير في هجوم كاسح لم يتوقف حتى هذه اللحظة يُسمى (جيش الدفاع الإسرائيلي) ²⁰¹.

19- الإسلام والمرأة والغرب

بمناسبة توجيه البابا بولس الثاني نداءً يدعو إلى إنصاف المرأة ومساواتها بالرجل، مع إصراره على خطر انضمامها إلى (الكهنوت).

الكنيسة (أو الدين في الغرب) ترى أنّ العلاقة بالسماء تخصص يُحرّم على نصف المجتمع (المرأة) الولوج إليه أو الوقوف على أسرارهِ ... منذ قرون والغرب يصر على تقديم صورة المرأة المسلمة والعربية لشعوبه وللعالم من خلال حكايات (ألف ليلة وليلة)، نعم الإسلام يقر بوجود فارق معين في الأدوار بين الرجل والمرأة - كما يقول البابا - لكن ليس على مستوى الصلة بالله أو التكليف بعبادته أو الكرامة في كنفه، والخطاب القرآني يقرن عادة بين المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، وغيرها من الصفات الإيجابية بطريقة تؤكد كيانية المرأة، واستقلالية شخصيتها، وتحملها المسؤولية على قدم المساواة مع الرجل ²⁰².

20- مأساة البوسنة تواطؤ لا تخاذل عالمي

بمناسبة الإبادة الجماعية لمسلمي البوسنة خاصة سقوط مدينة (سربرنيتسا) وقتل وتشريد سكانها. هل سقطت (سربرنيتسا)، أم سقطت ورقة التوت عن عورة النظام العالمي البشع؟، نعم سقطت المدينة المسلمة المغدورة، وسقط في وحل افتراسها المجتمع الدولي كله الذي يُطلق عليه زوراً وبهتاناً (القرية الكونية)، إنها الكذبة الكبرى أو الغابة الكونية، التي ينمو فيها شجر الموت، وليس التوت بكل أشكاله، وتحكمها الساحرة أمريكا بعضاً (الشرعية الدولية)، أو (الملهي الدولي) المُسمى الأمم المتحدة، هذه القرية الظالم أهلها يرتفع فيها كل شيء إلا الدم المسلم ²⁰³.

²⁰¹ - جريدة الاستقلال، العدد(30)، 7-7-1995م.

²⁰² - جريدة الاستقلال، العدد(31)، 14-7-1995م.

²⁰³ - جريدة الاستقلال، العدد(32)، 21-7-1995م.

21- ما قبل الطوفان

بمناسبة مشاركة بيرز ورايين في حفل السفارة المصرية في تل أبيب بمناسبة ذكرى ثورة (23) يوليو
عندما يصبح العقل هو التنكر للوطن

وحب الوطن هو الجنون

عند هذا كله، وهو غيض من فيض، يغطي الدخان الأسود وغيوم ما جدوى الكلمات.. هل يمكن أن تغسل
درن العصر والشيطان الذي لا يقتله السيف
هل يمكن أن يقتله الحبر؟! ²⁰⁴

22- الفساد بين المستورز والمستهل

بمناسبة صدور تقارير دولية عن فساد السلطة الفلسطينية

ثلاثون عاماً والمستهل يعاني من بطش المستعمر الطامع في الأرض ولا زال، اليوم يعاني أيضاً من ظلم
المستورز الطامع في العرش.. كم من وقت سيمر حتى تدرك أن هذا العرش هو النعش لنا جميعاً؟! ²⁰⁵

23- القدس! القدس!

بمناسبة احتفالات إسرائيل بالقدس 3000

هل هناك من يمكنه أن يزعم أن أحداً سوى إسرائيل يستطيع أن يقرر مصير القدس؟!، لا ننتظر جواباً على
هذه الأسئلة، لكن حين تطاردنا صيحاتهم في المحارب، فلا تملك إلا أن تصرخ في العرب والمسلمين..
القدس.. القدس. ²⁰⁶

24- محمود درويش في غزة

بمناسبة زيارة الشاعر محمود درويش لقطاع غزة

مرحباً بشاعر فلسطين الكبير في (جيتو غزة)، حيث نهاية الحرب التي لانهاية لها وبداية السلام الذي لا
بداية له، جاء ليطلع على التجربة وهو يحاول أن يحصن نفسه من خيبة الأمل، كما يقول، وهل من حصانة
من أوبئة المرحلة سوى فلسطين، لأن فلسطين هي العدو المشترك لكل الأمراض الراجة كما قال محمود
درويش يوماً. ²⁰⁷

²⁰⁴ - جريدة الاستقلال، العدد (33)، 28-7-1995م.

²⁰⁵ - جريدة الاستقلال، العدد (34)، 4-8-1995م.

²⁰⁶ - جريدة الاستقلال، العدد (37)، 8-9-1995م.

²⁰⁷ - جريدة الاستقلال، العدد (38)، 15-9-1995م.

25- هزلت

بمناسبة دعوات إصلاح السلطة

عاد أبو صابر من حاجز إيرز ممنوعاً من التوجه للعمل .. أمضى يومه في البحث عن عمل في القطاع المُحرر فلم يجد .. تحسس جيبه .. اشترى من فتات عمله بالأمس في الأرض المحتلة رغيفاً عاد به إلى أم صابر وأولادها فوجدهم نائمين .. فكتب على الرغيف "ذكرى خالدة من سلطات الاحتلال" ونام، وفي الصباح استيقظت الأسرة فوجدت الفران قد أتت على الرغيف ولم تبق منه سوى كلمة الاحتلال" 208.

26- عبد الله و(روش هشنه)

بمناسبة رأس السنة العبرية

يقتبس رمضان شلح مقطعاً من قصيدة للشاعر العراقي مظفر النواب تُعبر عن فكرته منها: " ولا تعرف يا عبد الله بأي رصاص الطرفين ستستشهد .. أيهما إسرائيل كما أيهما إسرائيل؟! .. الخبز عليه علامة إسرائيل .. والمسرح والخمارة .. والصندوق القومي لتحرير القدس .. بداخلها إسرائيل .. فكر يا عبد الله مجرد تفكير .. بكيانين على أرضك .. أرضك أنت فإنك إسرائيل وإسرائيل 209.

27- محاكمة العدالة الأمريكية

بمناسبة إدانة الشيخ عمر عبد الرحمن بجرائم الإرهاب في أمريكا

يكره الأمريكيون السياسة بقدر ما يحبون المال، ويعشق معظمهم الشهرة والنجومية بقدر ما يمقتون العرب والمسلمين، لذا لم يكن غريباً أن يتزامن إعلان براءة سمبسون مع إعلان إدانة الشيخ عمر عبد الرحمن المتهم مع تسعة آخرين بمحاولة تفجير مبنى مركز التجارة العالمي، والتخطيط لتفجير مبنى الأمم المتحدة وأهداف أمريكية أخرى، ومحاولة اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك 210.

28- سمبسون وموسيف ووليمة العصر

بمناسبة تبرئة سمبسون في المحكمة الأمريكية بعد قتل زوجة وعشيقها، وفقر موسيف وهو ضابط جيش روسي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي

حكاية سمبسون وموسيف بشقيها هي حكاية النظام الدولي الجديد، وهي حكاية قديمة بالية، ولكن بشاعة فصولها المُتجددة تفتح أعيننا كل يوم على نظام عالمي طازج: اقتصاد سوق حر، مطعم وجبات سريعة لالتهام أوطان بأكملها وشعوب بأسرها، لقاءات إيدز عابرة للقارات، صندوق نقد وبنك دولي لتطاحن الأمم وانهيار الحضارات، نظام شرق أوسطي زنبقي لتغيير جلود المحميات، دول وهمية مسخوطة تنبت كالطحالب على خرائط الغزاة 211.

208 - جريدة الاستقلال، العدد(39)، 22-9-1995م.

209 - جريدة الاستقلال، العدد (40)، 29-9-1995م.

210 - جريدة الاستقلال، العدد(41)، 6-10-1995م.

211 - جريدة الاستقلال، العدد(42)، 12-10-1995م.

29- بعد القدس الخيانة ترتكب العرب

بمناسبة تصويت الكونجرس الأمريكي بالأغلبية الساحقة أنَّ القدس هي العاصمة الموحدة لإسرائيل إلى الأبد ها توا أدوارد سعيد يقسم لنا أنَّ هذا السلام "استسلام بلا حدود وأنه عار شديد"، وها توا محمود درويش ليؤكد لنا أنه سيحيلنا "حفنة من تراب"، وهاتوا نزار قباني ليصرخ "ليس هذا الثوب ثوبي، ليس هذا العار عاري"، ويا طير البرق هل تستطيع أن تحمل مظفر النواب إلى نيويورك ليصارحهم بحقيقتهم أنَّ شيئاً ما "أطهر من أظهرهم"²¹².

²¹² - جريدة الاستقلال، العدد (43)، 20-10-1995م.

الفصل الثاني: محمد الفاتح بعد الأمانة العامة

المبحث الأول: مرايا عام 1999م

انقطع الدكتور رمضان شلّح عن الكتابة في زاوية مرايا طوال السنوات الأولى لتوليّه مسئولية منصب الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وعاد للكتابة في النصف الثاني لعام 1999م، ولم يكتب بعد هذا العام سوى أربع مرات في أزمنة متباعدة.

1- لهم الحائط ولنا البكاء

بمناسبة مصافحة الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة ليهود براك في جنازة ملك المغرب الحسن الثاني. حين تتفتح الأبصار في الزمن اليهودي، وتعي القلوب التي في الصدور يفسر العرب تعارف البشر لحظة البعث في موكب القيامة، بعد أن غيبهم الموت، بالتعارف على قادة إسرائيل في مواكب الجنائز والمصائد، لقد أجهز الحكام العرب على كل ما في حياتنا من كرامة وقُدسية، ولم يبق أمامهم إلا ملاحقتنا في الموت ليمحقوا روحانية الأمة، ويلوثوا كل الشعائر التي تذكرها بالآخرة وتصلها بالله.²¹³

2- احتكار المجد وثورة حتى النصر

بمناسبة عملية استشهادية في جنوب لبنان وإنشاء كازينو للقمار في أريحا الفلسطينية لماذا لا يُضيء قمر فلسطين اليوم؟، لماذا وحده العالمي يشع منه الضياء ويهزم عتمة الموت الفاجع الذي اجتاح أرواحنا النائمة؟... وهكذا يكتمل الفعل الثوري الفلسطيني المبدع دورته من جهاد الخنادق إلى جهاد الفنادق وصولاً إلى جهاد الكازينوهات!، فالمجد للمقامر.. والسجن للمواطن.. عاشت فلسطين الكازينو حرة عربية.. وإنها لثورة حتى النصر.²¹⁴

3- حماس والأرض مقابل الحل النهائي

بمناسبة قرار الأردن إغلاق مكاتب حماس فيها وطرد قيادتها عقب انتصار الثورة الإسلامية في إيران، والذي جاء قبيل توقيع مصر معاهدة الصلح مع إسرائيل، علّق مسؤول إسرائيلي آنذاك على إغلاق سفارة إسرائيل في طهران وتحويلها إلى سفارة لفلسطين بقوله: " إذا كان العلم كانه العلم الإسرائيلي قد أنزل في طهران فإنه سيرتفع غداً في القاهرة"، ولم تكتف بعض العواصم المُتيمّة حباً بإسرائيل برفع علم الأخيرة في سمائها، بل أخذت على عاتقها أن تنزل راية المقاومة وتلاحق المجاهدين إرضاءً لإسرائيل، وهذا ما فعله نظام (وادي عربية) في الأردن هذا الأسبوع بما اتخذته من إجراءات تعسّفية بحق قيادة وكوادر ومكاتب حركة حماس في الأردن.²¹⁵

²¹³ - جريدة الاستقلال، 30-7-1999م.

²¹⁴ - جريدة الاستقلال، 20-8-1999م.

²¹⁵ - جريدة الاستقلال، 2-9-1999م.

4- من لا يقوى على الشهادة لا يقوى على الحياة

بمناسبة تنفيذ عملية فدائية أبطالها ثلاثة رجال من الأرض المحتلة عام 1948م خمسون عاماً من التهويد، دُبحت فيها فلسطين من الوريد إلى الوريد، لكنها لم تمت، بل فاجأت الجميع، وهي تستطيع كالشمس وكالسيف يقطر شهداً من دعاء الفجر في صلاة (أمير مصالحة) إمام قرية مشهد... حين اختار النشامى طريقهم إلى الخلود، عبر لحظة الانفجار المقدس في طبريا وحيفا، كانوا يدشنون ممراً آمناً للعودة بالصراع إلى نقطة الصفر.²¹⁶

5- حصّاد وأوسلو ووادي عربية وزرع الله

بمناسبة إجراءات الأردن التعسفية ضد حركة حماس ينسى هؤلاء جميعاً أنّ طريق الجهاد والمقاومة ليس عنواناً لتنظيم أو فصيل بعينه، إنه إرادة شعب وخيار أمة، وإنّ السائرين عليه على مدار الأجيال هم زرع الله الذي استوى على سوقه، لن تطاله ولن تكسره اتفاقات الهزيمة، وكما امتد منجل الطغاة من حصّادي أوسلو ووادي عربية نحو نبتة المقاومة، تقول لهم: أنتم تحصدون والله يزرع، فانظروا أين حصادكم من زرع الله؟!²¹⁷

6- قطع (سنيه) قول كل مكابر

بمناسبة عودة قادة اليسار الفلسطيني إلى الضفة والقطاع وتصريح (افرايم سنيه) نائب وزير الحرب الإسرائيلي بهذا الخصوص. لا يريد (المناضل الكبير) أن يعترف بثمن العودة... لكن (افرايم سنيه) نائب وزير الحرب الصهيوني قطع قول كل مكابر، فقال: "نحن نأخذ قرارنا بناء على مصلحة الدولة... يجب أن نمكن من الدخول للمناطق كل من يؤيد اتفاق أوسلو ويرفض الإرهاب ويستنكره وتخلي عنه... أما من يواصل الإرهاب لن نسمح له بالدخول".²¹⁸

7- عصر الكلاب الإلكترونية

بمناسبة تسارع وتيرة القطيع العربي مع إسرائيل استعرض رمضان شلّج محاولات كثير من الأنظمة العربية لإقامة علاقات مع إسرائيل ثم كتب: "وهكذا يبدو النظام العربي (داير على حل شعره) كما يقولون؛ بحثاً عن أقصر وأنجع السبل التي توصل إلى تل أبيب، ولم لا؟ فالمثل الشعبي في كل الأقطار العربية تقريباً - مع مراعاة الفروق الطفيفة في اللهجات يقول: "كلب داير ولا سبع مربوط".²¹⁹

²¹⁶ - جريدة الاستقلال، 9-9-1999م.

²¹⁷ - جريدة الاستقلال، 23-9-1999م.

²¹⁸ - جريدة الاستقلال، 7-10-1999م.

²¹⁹ - جريدة الاستقلال، 14-10-1999م.

8- فتحي الشقاقي

بمناسبة الذكرى السنوية الرابعة لاستشهاده

فتحي الشقاقي رفض أن يستجدي الحياة من العدو، أو أن يلتمس العفو من الجلاذ... رفض الحفاظ على ذاته ورأسه ووجوده بأي ثمن كما فعل كثيرون... وعندما يفرض قانون غاية العصر على النور أن يُسلّم أوراقه للظلام، وأن يُمنح الذنب اسم غزالة، كان خيار الشقاقي واضحاً، أن لا شيء على هذه الأرض يُغري بهذه الحياة²²⁰.

9- الوعد المشؤوم والاتفاقات الأكثر شؤماً

بمناسبة الذكرى السنوية لـ (وعد بلفور)

يعود رمضان شلّح إلى أصل قصة وعد بلفور بقرن من الزمان، فكتب: "لم تبدأ القصة في العقل الاستعماري البريطاني بوعد بلفور، فمنذ عام 1839م دعا (بالمرستون) رئيس وزراء بريطانيا إلى إقامة كيان يهودي استيطاني في فلسطين. ليكون حاجزاً بين مصر والمشرق العربي، وليصبح قاعدة أمامية للمشروع الإمبريالي الغربي في قلب الوطن الإسلامي²²¹."

10- نحن والنكبة وسؤال المصير

بمناسبة انتشار ظاهرة النكبة الفلسطينية في ظل السلطة الفلسطينية

بدأ رمضان شلّح بعرض دور النكبة السياسية في مصر كنوع من الرفض الشعبي للواقع السياسي، واقتبس ما قاله عباس العقاد عن ذلك "إنّ المزاج والتدين هما توأما الشخصية المصرية"، ثم انتقل إلى النكبة في فلسطين بأنها ليست من سمات الشعب الفلسطيني بسبب "رحلة العذاب الفلسطيني من النكبة الأولى وما قبلها وما بعدها من نكبات أعطت المزاج الفلسطيني نكهة خاصة تشعر من خلالها أن الروح الفلسطينية مجبولة بالألم والعذاب... ولكن يبدو أنّ الشعب الفلسطيني هذه الأيام بدأ يجرب حظه مع النكبة، والسبب في ذلك... أنّ الكلام لم يعد يُسعف في التعبير عما يُعانيه الشعب ويشعر به وبلغّة الشارع (لغة الدغري) أنّ الكلام غير مسموح به"²²².

²²⁰ - دراسة: (بدر).. كتاب مفتوح للأجيال.. تأملات

²²¹ - جريدة الاستقلال، 28-10-1999م.

²²² - جريدة الاستقلال، 11-11-1999م.

11- أجهل من خروف وأحمق من ديك

بمناسبة الذكرى الثانية عشرة للانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة)

لم يفوت رمضان شلّح مناسبة لبيان عيوب اتفاقية أوسلو، وفي هذه المناسبة كتب "ما فعله المفاوض الفلسطيني في هذا العقد لم يحدث في تاريخ التفاوض، سواء كانه التفاوض لبيع الأوطان أو بيع البندورة، وليس هناك نظرية سياسية أو إدارية في العالم تستطيع تفسير ما حدث خارج دائرة الجنون أو العبث، ولعلنا نجد في الحكاية الشعبية التي تُروى للأطفال شيئاً يُعيننا على فهم واستيعاب ما جرى"، ويروي شلّح حكاية الثعلب والديك، الخروف الذي أنقذ الثعلب من العطش ثم أكله الثعلب، والديك الذي أخرج العظمة من حلق الثعلب ثم أكله الثعلب.. وهكذا حدث عندما أنقذ فريق أوسلو الكيان الصهيوني من مأزق الانتفاضة²²³.

²²³ - جريدة الاستقلال، غزة، 9-12-1999م.

المبحث الثاني: مرايا بعد عام 1999م

1- الجهاد الإسلامي .. مشروع استوى على سوقه

بمناسبة نشأة حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين

كتب رمضان شلح في مجلة (المجاهد) موضحاً البدايات الأولى لنشأة (الجهاد الإسلامي)، "قبل ما يقرب من ربع قرن كنا نتحلق حول (الفارس) وهو يحدثنا عن وطن ضاع بين الخنادق والتلوج، وعن هتاف الجماهير التي سحقوها وهي تحلم بالخبز والمطر، وعن الحاكم الذي يُريد شعباً أبكم يُساق كالقطيع، وعن المخيم الذي قالت سيدته للذاهبين إلى المنافي؛ لا تنشدوا وطناً ضائعاً في البلاد الخرساء، ولكن فتشوا عنه في لهيب المدن.. كان الفارس الطبيب يمتشق القلم مبضعاً يفتح عقل الحركة الإسلامية المعاصرة، ويخرج الورد اليابس من قلبها، ويزرع مكانه بذرة فلسطين، ويُعلقها جرساً على شفتيه يدق في كل لحظة، وفي كل ساعة، وينسف به وعي أمة لا تستطيع أن تتنفس أو تتنهد بحرية، لكنها تبني إمبراطورية من كلام جميل عن فتوحات قابلة للنشيد وغير قابلة للحضور... كان الشقاقي يسرج خيل وعيه وينسج حروفه من القرآن، وكان يجدل سياق فكرته من نسج التاريخ، فتجد بريقها في مرآة الواقع، فيرتسم حلمه ومشروعه على جدار عقولنا صافياً كعيون الأطفال، كان يكتب وطناً شهياً في سنابل القمح، ندياً في صوت بلال، ومُلعلعاً في فوهة بندقية القسام..."²²⁴.

2- ساعة الورد والياسمين

بمناسبة العملية الاستشهادية التي نفذتها المحامية الفلسطينية هنادي جرادات في مدينة حيفا المحتلة عام النكبة 1948م كتب رمضان شلح هذه القصيدة منها:

أي جُرح في فؤادي

أنت يا طُهر بلادي؟

يا غزال البحر

يا ألق العصافير

ويا سرب الملائكة المُطل من السحاب

ليقطف الليمون والنعناع من سر الصلاة على النبي

ومن تسابيح النوارس فوق هذا الأزرق الدموي

أي ثوب لحدادي

طرزته الريح وشماً في سماء القلب

²²⁴ - مجلة (المجاهد)، نشرة الجهاد الإسلامي، العدد (351)، 2001م.

شمساً لعيونك يا هنادي؟!
يا تفاريح بلادي
من يدافع عن سهيل الأرض؟!
من يمشي على رمشي؟!
ويسند ظهره لجحافل الافرنج
أعنيها على بردي
فأبصر في مرايا الموت نعشي
حبة من قمح جدي
كسرة من خبز أمي
أحواناً من دم الشهداء
حزناً من هوى الشعراء
وحشاً يحصد الورد وأطفال الحجارة
يزرع الموت سياجاً للحدثة
ينشر الرعب طقوساً للحضارة

3- القدس و(سلام نسوان) العم سام ²²⁵

بمناسبة التعامل المهيّن للإدارة الأمريكية مع أنظمة الحكم العربية، وبالتحديد وزيرة الخارجية الأمريكية (مادلين أولبرت)، عندما حددت عاماً واحداً لتحقيق السلام والتطبيع مع العرب، فكتب رمضان شلح مُعقّباً اقتبس منه ما يلي:

"معادلة أولبرايت لتحقيق السلام واضحة: لا شيء في خمس سنوات وكل شيء في سنة واحدة. بالعقل والحساب يبدو هذا مستحيلاً، لكن بـ (الشلوت) الأمريكي والإسرائيلي تتحقق المعجزات، وتصبح المعادلة بجرة قلم أو كبسة زر، ما ينجز في خمس سنوات يُنجز اضعافه في سنة واحدة، والسلام قادم (واللي مش عاجبه يشرب من البحر الميت أو من بحر غزة)، وتبقى كلمة السر لفهم حسابات أولبرايت هي (القدس)، القدس هي أعقد القضايا العالقة" .. ويعلق على تقصير وتخاذل العرب في موضوع القدس فيختم بقوله: "... وعلى شاشات الفضائيات يُحلّق النسر الأمريكي المتخفي في صورة امرأة، ويتلو منشوراً ألقته طائرات الفرنجة على الجثث المزروعة في الصحراء العربية (العربي العاشق إما أن يمتلك محبوبته أو نقيله)، فيا لمصير القدس إذا عشقها العرب في زمن الهزيمة" ²²⁶.

²²⁵ - مجلة المجاهد، 2002م.

²²⁶ - مجلة المجاهد، بدون تاريخ.

4- وفي الليلة الظلماء يفقد البدر يا محمود

بمناسبة الذكرى السنوية الرابعة لاستشهاد محمود الخواجا

" لم أكن أدرك يا محمود أنّ رحيلك كان رحيل مرحلة بأكملها، وأنّ غيابك سيطوي معه صفحة مجد تطوي معها بساط فلسطين من تحت أقدامنا. وحين نجلس على كومة الذكريات نسترجع أيام الوهج الساطع في مهرجان الشروق القرآني في (بيت ليد)، تدفني طقوس الانزواء إلى حيث البدايات البعيدة، حين كان (البصري) يحدثني عن شيخ في أرض الكنانة كان يصرخ في التائهين المصابين بمرض (اختلال الأولويات) من شباب الإسلام، فينادي بالصوت العالي: يا ليت لحاكم كانت عشباً أكلته خيل خالد بن الوليد !! " ²²⁷.

5- هل تستقيل الوردة من عطرها

بمناسبة تركه الكتابة في جريدة الاستقلال وعودته للكتابة لمرة واحدة بعد استشهاد يحيى عياش " لم يكن محمد الفاتح سوى تلميذ صغير في مدرسة مؤسسها العملاق فتحي الشقافي، كان أبو ابراهيم رضوان الله عليه توأم روعي ومداد قلبي، حين غادرنا لملم من زوايا عقلي وجنات قلبي كل المفردات التي زرعتها فيّ لما يقرب من عقدين من الزمان.. كما فتحي الشقافي عندي، فإنّ يحيى عياش غير قابل للثناء، وتستعصى عليّ كل الكلمات، يحيى عياش كان قابلاً للانفجار، قابلاً للاشتعال، وقلبه وسع فلسطين من بحرها إلى نهرها، فأية لغة يمكن أن تسعه؟! ... إنّ دم فتحي الشقافي ويحيى عياش يضعنا على طرف الخيار: إمّا أن نغيب أن نغلب أو نموت على مزاج الأوصياء، فتلك منطقة الجنون، فهل نختار جنون السقوط من هذه البدائل طالما أننا نستطيع الموت على مزاجنا؟! " ²²⁸.

6- فلا نامت أعين الجبناء

بمناسبة ذكرى معركة اليرموك التي خاضها المسلمون ضد الروم عام 636م - 13هـ

... ونحن حين نفتح على التاريخ، فإننا لا نهرب من الواقع، بل نحاول أن نصنع من كلمة التاريخ وسننه جسراً نمده على نهر الهزيمة لنعبر المرحلة باتجاه أولئك الذين قهروا في نفوسهم (القابلية للانكسار)، قبل أن يقهروا الامبراطوريات بضحكة الأمل المُشرعة في وجه الموت والطاغوت الذي يفترس الرجولة والحياة... اليرموك عنوان (قطار النصر) الذي لا يعرف أبجديته ركاب قطار الهزيمة (قطار السلام) في زمن العم سام. اليرموك نهار عربي إسلامي لم تعرف شمه الكسوف، لكن جحافل جيش الروم خطف أبصارها وميض البرق الساطع من (سيف الله المسلول). اليرموك حديقة الدم الذي يعبق بعبير الورد وأسرار النجوم، نقطف منها باقة لزماننا المثقل بأوراق الخريف الميتة والمكدسة في ملفات عصر التفاوض والمفاوضين.

²²⁷ - مجلة المجاهد، بدون تاريخ.

²²⁸ - مجلة المجاهد، بدون تاريخ.

بأقة تكسر ميزان القوى حين التقى جيش التوحيد بجيش الشرك. وقطف الفقراء شمس النصر على أسوار التاريخ... في زمن الردة يا سيف الله حشونا آذاننا بالقطن الأمريكي الناعم كي لا نسمع نداء عكرمة: من يبايع على الموت؟، واستطبنا (صوت العير)، على فراش الزمن الإسرائيلي الوثير.. فلا نامت أعين الجبناء!"²²⁹.

7- من محمد الفاتح إلى عبد الله الشاعر

بمناسبة رسالة من الكاتب الأديب عبد الله الشاعر يطلب منه العودة للكتابة في زاوية مرايا المشروع الذي أطعمته كل عمري يسرقني من (المرايا) ومن نفسي، يطحنني في التفاصيل المملة والرديئة.. يسرق الياقوت من لغتي، وينثر فوق أزمنتني أكواماً من الهم. والشوك، لعل أشد ما يؤلمني إحساسي أن البراعم التي كنت ولا زلت أعصر لها عنقايد روعي في (المرايا) وغيرها تخذلني فلا يتفتح منها برعم ليعدوا على سطح المرايا الساخن يُشاركننا الرؤى ويسترد شموخنا الشارد في زمان يناصرنا العداء في كل لحظة وفي كل بقعة. ولكن عندما قرأت رسالتك المثيرة تنفست الصعداء وقلت: لعله هو؟! لذلك فإنني اعتذر لله ولقراء (الاستقلال) الأعزاء عن عدم قدرتي على تلبية رغبتك بالعودة لكتابة (المرايا) "...".

²²⁹ - مجلة المجاهد، بدون تاريخ.

²³⁰ - مجلة المجاهد، بدون تاريخ.

المبحث الثالث: تعقيب على (مرايا) محمد الفاتح

تخرج الدكتور رمضان شلح من مدرسة أو جامعة المفكر الشهيد فتحي الشقاقي كما وصف نفسه أكثر من مرة، المدرسة التي تُكتب فيها السياسة بأسلوب أدبي، أو يكتب فيها الأدب بمضمون سياسي، ويكتب فيها النثر بقلم شاعر، أو يكتب الشعر بقلم ناثر، والسياسة التي تُكتب يحكمها منهج أخلاقي ومضمون مبدئي، كما إنَّ الأدب الذي يُكتب تفوح منه إحساس شاعر وروح فنان. وقد تميز رمضان شلح بأسلوب المدح المبطن بالذم وهو أصعب أساليب السخرية في فن المقال وكتابة الخواطر والوجدانيات، ومن خلال تنوع مواضيع (مرايا) واضح أنه مُتابع للأحداث اليومية على المستويات المحلية والإقليمية والدولية والتي تخص القضية الفلسطينية بالتحديد، وهذا ينقلنا إلى مضمون (مرايا). كانت محاور: فلسطين، والإسلام، والجهاد هي المحاور التي قام عليها مشروع فكرة وحركة (الجهاد الإسلامي) التي أسسها المفكر الشهيد فتحي الشقاقي، وهي المحاور التي التزم بالكتابة عنها المؤسس وكذلك سار على دربه الراحل الكبير رمضان شلح، وفي إطار هذه المحاور التزم بالكتابة عن قضايا فلسطين، والأمة العربية، والأمة الإسلامية، وهي كتابة مضمونها يدل على مفكر استوعب التاريخ وسُننه، وشخص الواقع وأحداثه، واستشرف المستقبل وآفاقه، وإلى جانب هذا الفكر الاستراتيجي فقد التقط الأحداث الصغيرة واستطاع الخروج بكل حدث بفكرة تخدم المشروع الفكري الذي يحمله شلح كما حمله سلفه الشقاقي وهو مشروع (الجهاد الإسلامي).

وإذا فصلنا قليلاً في هيكل الكتابة المتميزة لرمضان شلح فنجد (العنوان) فيه معايير عنوان المقال النموذجي المتميز بالدلالة على المضمون بلغة واضحة، وبالإشارة لجذب القراء بطابع ساخر أحياناً. ونجد (المقدمة) بداية مُثيرة تشد القارئ لمواصلة القراءة والدخول في عرض المقال دون تكلف أو اقحام. أما (العرض والمضمون) فيعرض الفكرة بسلاسة ويبسط المضمون بعقلانية ويلتزم بفكر (الجهاد الإسلامي)، ومضمون محوره (الإسلام وفلسطين والجهاد)، ومنهج تفكير يحترم عقل القارئ، وبالنسبة لـ (الخاتمة) فهي تترك القارئ في ذروة اهتمامه بالمضمون مما يترك بصمة قوية في ذهن القارئ بعد أن أوصله إلى نتيجة منطقية لجسم المقال.

وإضافة لما سبق بالنسبة لـ (الاسلوب) الذي كتب به رمضان شلح فالطابع العام هو أسلوب أدبي بلغة عربية فصلى رصينة، وظف فيها الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأمثال الشعبية، والاقتباسات التاريخية، وإلى جانب ذلك وظف الكلمات العامية في مكانها المناسب الذي يخدم فكرة المضمون وهدف المقال فكانت إضافة نوعية للمقال أو الخاطرة وكسرت أي رتابة يُمكن أن تتسلل إلى القارئ من قوة العربية الفصحى.

مصادر الباب السادس (الفصل الأول والفصل الثاني)

- 1- جريدة الاستقلال، غزة، العدد (1)، 21-10-1994م.
- 2- جريدة الاستقلال، غزة العدد (2)، 28-10-1994م.
- 3- جريدة الاستقلال، غزة، العدد (3)، 4-11-1994م.
- 4- جريدة الاستقلال، غزة، العدد (5)، 18-1-1994م.
- 5- جريدة الاستقلال، العدد (7)، 20-12-1994م.
- 6- جريدة الاستقلال، العدد (8)، 9-12-1994م.
- 7- جريدة الاستقلال، العدد (9)، 16-12-1994م.
- 8- جريدة الاستقلال، العدد (10)، 23-12-1994م.
- 9- جريدة الاستقلال، العدد (11)، 30-12-1994م.
- 10- جريدة الاستقلال، العدد (12)، 6-1-1995م.
- 11- جريدة الاستقلال، العدد (13)، 13-1-1995م.
- 12- جريدة الاستقلال، العدد (14)، 20-1-1995م.
- 13- جريدة الاستقلال، العدد (15)، 27-1-1995م.
- 14- جريدة الاستقلال، العدد (16)، 3-2-1995م.
- 15- جريدة الاستقلال، العدد (17)، 17-3-1995م.
- 16- جريدة الاستقلال، العدد (18)، 24-3-1995م.
- 17- جريدة الاستقلال، العدد (19)، 31-3-1995م.
- 18- جريدة الاستقلال، العدد (20)، 7-4-1995م.
- 19- جريدة الاستقلال، العدد (21)، 28-4-1995م.
- 20- جريدة الاستقلال، العدد (22)، 5-5-1995م.
- 21- جريدة الاستقلال، العدد (23)، 19-5-1995م.
- 22- جريدة الاستقلال، العدد (24)، 27-5-1995م.
- 23- جريدة الاستقلال، العدد (26)، 9-6-1995م.
- 24- جريدة الاستقلال، العدد (27)، 16-6-1995م.
- 25- جريدة الاستقلال، العدد (28)، 23-6-1995م.
- 26- جريدة الاستقلال، العدد (29)، 1-7-1995م.
- 27- جريدة الاستقلال، العدد (30)، 7-7-1995م.
- 28- جريدة الاستقلال، العدد (31)، 14-7-1995م.

مصادر الباب السادس (الفصل الأول والفصل الثاني)

- 29- جريدة الاستقلال، العدد (32)، 21-7-1995م.
- 30- جريدة الاستقلال، العدد (33)، 28-7-1995م.
- 31- جريدة الاستقلال، العدد (34)، 4-8-1995م.
- 32- جريدة الاستقلال، العدد (37)، 8-9-1995م.
- 33- جريدة الاستقلال، العدد (38)، 15-9-1995م.
- 34- جريدة الاستقلال، العدد (39)، 22-9-1995م.
- 35- جريدة الاستقلال، العدد (40)، 29-9-1995م.
- 36- جريدة الاستقلال، العدد (41)، 6-10-1995م.
- 37- جريدة الاستقلال، العدد (42)، 12-10-1995م.
- 38- جريدة الاستقلال، العدد (43)، 20-10-1995م.
- 39- جريدة الاستقلال، غزة، 30-7-1999م.
- 40- جريدة الاستقلال، غزة، 20-8-1999م.
- 41- جريدة الاستقلال، 2-9-1999م.
- 42- جريدة الاستقلال، 9-9-1999م.
- 43- جريدة الاستقلال، 23-9-1999م.
- 44- جريدة الاستقلال، 7-10-1999م.
- 45- جريدة الاستقلال، 14-10-1999م.
- 46- جريدة الاستقلال، 28-10-1999م.
- 47- جريدة الاستقلال، 11-11-1999م.
- 48- جريدة الاستقلال، 2-12-1999م.
- 49- جريدة الاستقلال، 9-12-1999م.
- 50- مجلة (المجاهد) نشرة الجهاد الإسلامي، العدد (315)، 2001م.
- 51- مجلة المجاهد، العدد () 2002م.
- 52- مجلة المجاهد، العدد ()، بدون تاريخ
- 53- مجلة المجاهد، بدون تاريخ
- 54- مجلة المجاهد، بدون تاريخ
- 55- مجلة المجاهد
- 56- مجلة المجاهد

قراءة في الوثيقة الفكرية
للجهاد الإسلامي التي كتبها
رمضان شلح



ملحق
رقم (١)

قراءة في الوثيقة الفكرية للجهاد الإسلامي التي كتبها رمضان شلح

الأزمة الفكرية التي تعاني منها الحركات الأيديولوجية هو إيمانها اليقيني بامتلاكها الحقيقة المطلقة، لأنها تأخذها من مصدر معصوم من الخطأ، هذا المصدر المعصوم قد يكون الكتاب المقدس كالقرآن الكريم أو الانجيل أو التوراة، وقد يكون الزعيم المُلهم أو القائد العبقري أو النخبة المميزة. وخطورة ذلك بأنه يجعل الجماعة على يقين راسخ بأنها تمثل الحق والصواب والخير، بينما غيرها يمثل الباطل والخطأ والشر، وهذا يجعلها تؤمن بأنها الفرقة الناجية الوحيدة، أو شعب الله المختار، أو خلاصة الخير البشري، وهذا ينطبق على الحركات الإسلامية المتطرفة وغيرها من الحركات العقائدية المتطرفة سواء كانت سماوية كالنصرانية واليهودية أو غير سماوية كالشيوعية والنازية. وهذا أصل تكفير الآخرين ومن ثم استباحة دمائهم، وإزهاق أرواحهم، وانتهاك أعراضهم، واغتصاب أموالهم.

ونتيجة لإدراك عمق هذه الأزمة الفكرية، فقد كُتبت الوثيقة الفكرية لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين الصادرة عام 2018 تحت عنوان (الأسس والمفاهيم الإسلامية) التي كتبها أمينها العام السابق الدكتور رمضان عبدالله شلح، وجاءت الوثيقة معبرة عن فهم مختلف يُعالج هذا الجانب من الفكر الديني الذي قد يقود إلى إلغاء الآخر أو تكفيره، لذلك فقد جاء في مقدمة الوثيقة الفكرية "لا تزعم الحركة أن هذه الوثيقة تُعبر عن الحقيقة النهائية أو خاتمة فهمها للإسلام، بل هي اجتهاد متواضع في زمن الصراع على الإسلام، للإجابة على سؤال: أي إسلام؟ وأي عالم؟ إنها تمثل الإطار العام الذي يحدد ملامح الهوية الإسلامية لحركة الجهاد، والمنطلقات العقدية والفكرية التي تحكم مواقفها من كثير من القضايا المطروحة في شتى المجالات". فما ورد في الوثيقة ليس أكثر من اجتهاد بشري متواضع يقبل الصواب والخطأ، ولا يمثل الحقيقة المطلقة.

وتأكيداً لهذا الفهم جاء في أحد بنود الوثيقة "الفكر الإسلامي ليس هو الإسلام، فالإسلام هو الوحي الإلهي، في كتاب الله، والسنة النبوية الصحيحة، والفكر الإسلامي هو فهم علماء المسلمين للإسلام واجتهاداتهم وآرائهم فيما لا نص فيه، أي أنه فكر إنساني في دائرة الإسلام، يؤخذ منه ويُترك". وهذه التفرقة بين الإسلام والفكر الإسلامي مهمة وضرورية لمواجهة أسس الفكر التكفيري، فما يفهمه العقل البشري من القرآن والسنة كنصوص دينية للإسلام، ليست هي الإسلام بل فهمنا للإسلام وهو فكر إسلامي يقترب أو يبتعد عن أصل النص الديني، وبالتالي لا يجوز إضفاء طابع القداسة على الفكر الإسلامي وإعطائه صفة اليقين المطلق والصواب الكامل، كما نُعطي للنص الديني الصحيح القطعي. وهذه الرؤية تفتح الباب أمام الفكر الوسطي المعتدل المتسامح، وتغلق الباب أمام الفكر الإقصائي لمن يرى بأن فكره هو الإسلام نفسه لا يجوز مخالفته وليس اجتهاداً في دائرة الإسلام.

هذا الفهم الواضح للفرق بين الإسلام والفكر الإسلامي، ينسحب على رؤية الوثيقة الفكرية للتراث الواردة في أحد بنودها "التراث هو ما تركه السلف للخلف. وما عدا الوحي، فهو ليس معصوماً أو غير قابل للنقد، والموقف المتوازن منه ليس تقديسه، ولا الانسلاخ عنه ورفضه، بل هو العمل على تنقيته والانتفاع بكل صالح فيه، بما يسهم في الارتقاء بحاضر الأمة، ويحقق استمراريتها التاريخية والحضارية". هذه الرؤية للتراث تُخلص العقل الإسلامي من تراث ثقيل ساهم بعضه في تغذية ثقافة الفتنة وإراقة الدماء بين المسلمين، فإذا كان التراث هو تفاعل العقل مع النص، أنتج اجتهادات فقهية وفكرية سياسية وغيرها، وبما أنها اجتهادات بشرية ففيها الصواب والخطأ، فهي ليست مقدسة، فلماذا يُقدم البعض هذه الاجتهادات على النص، أو يجعلها مساوية للنص الديني؟!، ومنها فتاوي علماء اشتهروا بسرعة إطلاق فتاوي التكفير والتقتيل. ولذلك جاءت الوثيقة لتضع النقاط على الحروف بعدم الانسلاخ عن التراث أو تقديسه، بل الانتفاع بالصالح والمفيد منه.

وتلك الرؤية نجدها في بند الوثيقة الذي يتحدث عن دور الحركات الإسلامية "العمل لإحياء دور الإسلام في الحياة واجب شرعي، ولا يحق لأي جماعة أو حركة إسلامية تسعى لتحقيق هذا الهدف، الزعم بأنها جماعة المسلمين، بل هي جزء أو جماعة من المسلمين، فيها الصواب والخطأ...". فالوثيقة تتحدث عن إحياء دور الإسلام في الحياة، وليس إحياء الإسلام، فالهدف هو تفعيل وتقوية دور الإسلام في مجتمع مسلم، وليس إحياء الإسلام في مجتمع (جاهلي)، كما في رؤية المتطرفين. وهذا واضح أكثر في رفض الوثيقة زعم بعض الحركات المتطرفة بأنها (جماعة المسلمين)، والأصل أنها (جماعة من المسلمين)، فالفرق بينهما كبير فالزعم بأنها جماعة المسلمين يعني إخراج ما عداهم من المسلمين من دائرة الإسلام وتكفيرهم على اعتبار أنهم (الفرقة الناجية) الوحيدة، وهذا من أصول التكفير ومبررات العنف والتقتيل. والأصل أن جميع الحركات الإسلامية هي جماعة من المسلمين في المجتمع المسلم والأمة الإسلامية.

والوثيقة تتحدث في بنود أخرى عن رؤيتها الوسطية في إطار الفكر الديني المعتدل، واحترامها للتعددية الدينية والعرقية واللغوية والثقافية والسياسية، ورفض العنف والارهاب والتكفير، وأهمية الاجتهاد والتجديد، وربما كان من أهم أهداف التجديد في الفكر الديني هو تنقية التراث الإسلامي من التطرف بكافة أشكاله المنتج للإرهاب الدموي الذي يضر بالأمة الإسلامية ويفرقها ويقسمها، ويجزئ الشعب الواحد ويشتته، ويفكك الوطن الواحد ويدمره، مع أهمية رفض محاولات الخلط بين الجهاد والارهاب، فالجهاد هي كلمة السر التي تحيي الأمة وتجدد حياتها، وتحرر الإنسان والأوطان، والجهاد والمقاومة هي خيار وقدر الشعوب الحرة لانتزاع حقوقها وتحرير أوطانها ونيل حريتها.

خلاصة هذه القراءة في الوثيقة الفكرية للجهاد الإسلامي أنها حركة مقاومة فلسطينية الإسلام مرجعها وتحرير فلسطين من الكيان الصهيوني هدفها والجهاد سبيلها فهي حركة وطنية بمرجعية إسلامية ترفض ثقافة التكفير من خلال وثيقتها الفكرية وكل أدبياتها المنشورة منذ انطلاقتها قبل عقود من الزمن.

رمضان شلّج.. الرمز والفكرة



ملحق
رقم (٢)

رمضان شلّح.. الرمز والفكرة

لكلّ شعب رموزه الوطنية الموحّدة، وعناوينه القومية الموحّدة، العلم الوطني، والنشيد القومي، والزعيم المُحرّر... وقد تتسع الرموز والعناوين لتُغطّي مساحةً أكبر في العقل الجمعي الشعبي، خاصة عند الشعوب التي تعيش مرحلة التحرر الوطني كالشعب الفلسطيني، فامتدادها مع امتداد الزمن، فمن عز الدين القسام وعبد القادر الحسيني وياسر عرفات وأحمد ياسين وفتحي الشقاقي إلى مروان البرغوثي وكريم يونس إلى محمد الدرة ورزان النجار وصولاً إلى رمضان شلّح، فحين يشتدّ ليل الاحتلال حُلْكة وظلاماً تبقى رموزنا نجوماً يهتدي بها الشعب إلى سواء السبيل وطريق الحرية.

وإذا كان الشعب الفلسطيني بحاجة إلى الرموز الوطنية لتوّده وتهديه، فهو أشد حاجة لها في زمن الانقسام والفرقة، وحين يعزّ الإجماع الوطني يبدع الناس من رموزهم الوطنية الإنسانية قواسم مشتركة تجمعهم وتوحدهم... هكذا كان الأمر مع رحيل القادة الرموز ياسر عرفات وأحمد ياسين وفتحي الشقاقي، وهكذا الأمر مع رمضان شلّح، عندما اختاره الفلسطينيون ليؤدّهم في لحظة وطنية حرجة كانوا بأمس الحاجة إليها، ليمنحوا أنفسهم لحظة وحدة وتوحيد، تُعطيهم شحنةً وجدانية، وقوة معنوية، وطاقة إيجابية، وحماسة وطنية...، فيُضفي عليها من روحه قبساً من المهابة والجلال، وجذوة من العظمة والوقار... فكان رمضان شلّح من أولئك الرموز الذين جسّدوا معاني السمو في الغاية والوسيلة، وقيم الثبات على المواقف والمبادئ، وصفات القيادة المتمسكة بالحقوق والأهداف، وسمات الزعامة المؤمنة بالشعب والنصر.

لقد كان أبو عبدالله من الذين آمنوا بشعبهم وقدرته على صنع المعجزات وتجاوز التحديات، فالفلسطيني قادر أن يأخذ الريح إلى اتجاه النصر، فبادلته الشعب نفس الإيمان، ففي حضرة الغياب استحضره شعبه في غرسٍ وطني مشهود، خرج فيه من سجون الحزبية الضيقة إلى فضاء الوطن الواسع، وتحرر فيه القائد الوطني من أحادية اللون الواحد لرايات الفصائل الحركية إلى تعددية ألوان علم فلسطين الوطني... فلم يُعد رمضان شلّح أميناً عاماً لحركة مقاومة فلسطينية فقط، بل قائداً فلسطينياً، ورمزاً وطنياً، ومُفكراً ثورياً، وزعيماً وحدوياً، وفارساً شجاعاً... قال كلمته بصدق ورحل، وسجّل شهادته بشجاعة وغادر، وأدى واجبه بمسئولية ومضى، ونصح قومه بأمانة وذهب، وأوجع عدوه بقوة وترجّل... وعبر عن ضمير شعبه، وروح أمته، ورائحة أرضه، وبرتقال الجليل، وعنب الخليل، وزيتون غزة، وشعر محمود درويش، وأدب غسان كنفاني، وتمرد القسام، وثورة الشقاقي، وجهاد الياسين... وكان نتاج كل ذلك تمسكه بالحقوق الوطنية بقوة لا ضعف فيها، وبوضوح لا غموض فيه، وبمثابرة لا مساومة فيها، وبغناد لا هواده فيه، وباستراتيجية لا خداع فيها... ففلسطين من البحر إلى النهر، وليست الضفة والقطاع، والقدس الموحّدة الكاملة، وليست القدس الشرقية، والتحرير يتم بالمقاومة والجهاد، وليس بالتسوية والتقسيم.

رمضان شلح كان واضحاً وحاسماً في مبادئه الفكرية ومواقفه السياسية المتمسكة بالحقوق الوطنية الفلسطينية والمعارضة الجذرية لنهج التسوية واتفاقية أوسلو ومُخرجاتها، وكان صادقاً مع نفسه وحركته وشعبه، فلم يُشارك في أي مؤسسة سياسية أفرزتها اتفاقية أوسلو أو تحت سقفها، تماماً كسلفه الشهيد فتحي الشقاقي، ورغم ذلك كان خطابهُ السياسي وطنياً محوره رفض نهج التسوية بعيداً عن مُهاجمة الأشخاص وتخوينهم، وإقصاء المُخالفين تمهيداً لشيظنتهم وتجريمهم وصولاً إلى سفك دمائهم _ وهذا أصل الفتنة والاقتتال الداخلي _، فقد آمن أن الاختلاف مع إخوة الوطن مهما كان كبيراً وعميقاً يبقى في دائرة الخلاف الفكري والسياسي، بالإمكان أن يُحل بالحوار الوطني، ليبقى التناقض المركزي مع العدو المُحتل للأرض، ليواجه بالعنف الثوري والمقاومة المُسلّحة، آمن بالوحدة الوطنية القائمة على كل مكونات الشعب الفلسطيني، و بالشراكة الوطنية المرتكزة على عدم نفي الآخر، ولم يمنعه خلافه مع الزعيم الراحل ياسر عرفات على إنصافه كقائد تاريخي كبير دفع حياته ثمناً لدفاعه عن حقوق شعبه الوطنية.

وكما كان المُفكر رمضان شلح ضد التخوين السياسي في الإطار الوطني، كان ضد التكفير الديني في الإطار الإسلامي، إدراكاً منه بخطورة مآلاته ونتائجه. فخط بحروف من ذهب وثيقته الفكرية لحركة الجهاد الإسلامي في لحظة تاريخية زاخرة بأمواج الفتنة، في كتابه (الأسس والمفاهيم الإسلامية) كاشفاً اللثام عن أساس معضلة التكفير لبعض الحركات، النابع من إيمانها بأنها اوحدها الفرقة الناجية وتمتلك الحقيقة المطلقة بما تمتلكه من تفسير وتأويل خاص بها للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية، فمن كلماته النورانية في مقدمة الكتاب "لا تزعم الحركة أنَّ هذه الوثيقة تُعبّر عن الحقيقة المطلقة النهائية أو خاتمة فهمها للإسلام، بل هي اجتهاد متواضع في زمن الصراع على الإسلام"، وبهذا الوعي أخرج نفسه وحركته من أحادية الرؤية، والنظرة الإقصائية، وعقيدة الفرقة الناجية، بما تحمله من مخاطر على المجتمع والأمة، ومؤكداً في نفس السياق رفضه أن تُعرّف أي حركة إسلامية نفسها بأنها (جماعة المسلمين) واعتبرها (جماعة من المسلمين)، والفرق بينهما كالفرق بين الموت والحياة.، هكذا كان رمضان شلح الرمز والفكرة. أما رمضان شلح المجاهد كما عرفه كاتب هذه السطور من خلال شهادته ومشاركته في إحدى محطات حياته وسيرته الجهادية في النصف الأول من ثمانينيات القرن السابق، وهي محطة عودته إلى الوطن مع رفيق دربه ومعلمه الشهيد فتحي الشقاقي _ الذي وصفه بالجامعة، حين قال في ذكرى رحيله أنه تخرج من جامعتين في مصر، هما جامعة الزقازيق وجامعة فتحي الشقاقي _، وتضمنت تلك المحطة مشاهد عديدة امتدت ما بين مساجد غزة خطيباً وداعياً للإسلام وفلسطين والجهاد، وباحات المسجد الأقصى المبارك بالقدس في ليالي القدر مُبشّراً بالثورة ومُحرّضاً على المقاومة، وبيوت حارات غزة ومخيماتها- بعضها

بحضور المعلم الشهيد فتحي الشقاقي - مُنظراً لنهج الإيمان والوعي والثورة، وزار عاً لبذرة الإسلام المقاوم في فلسطين... وصولاً إلى محطة الغربة عام 1986، مع غربة كاتب هذه السطور بعدها بثلاث سنوات إلى محطة السجن... حتى دار الزمن دورته بعد عشرين عاماً فكان اللقاء في دمشق حيث وصل قطار حياته وجهاده إلى محطة الأمانة العامة ثم إلى مرحلة الغياب.

رحمك الله يا أبا عبد الله، حاولت توحيدنا حياً ووحدتنا ميتاً كما وصفه كاتب تقرير تلفزيون فلسطين عندما كتب يقول: "وحدتنا يا رمضان، أيُّ قامةً وطنيةً هذه التي ترحلُ في زمنٍ صَعَبٍ فيه اجتماعنا، ويُحيلنا بموته من انقسامٍ إلى اتحاد، أيُّ رجلٍ هذا الذي استطاع برحيله أن يُعيدَ إلينا الثقةَ بأننا بخير، وأن أخلاقنا الوطنية ما زالت بعافيتها، وأنَّ فلسطين تَوحِدنا فعلاً وليس شعاراً... استطاع بهذا الرحيل أن يشعرنا بقوتنا ويجدد فينا عنفوان الفلسطينية الواحدة بكل ألوانها، فالكل الفلسطيني نعي قامةً وطنية صاحبة فكر وطني لا قداسة عنده إلا لفلسطين من بعد الله... أخلاقه الوطنية ستظل تُقدِّم دروساً في أخلاقيات الاختلاف دون الخلاف على الهدف...".

الوحدة... الاسم الآخر لرمضان شلح



ملحق
رقم (٣)

الوحدة... الاسم الآخر لرمضان شلح

مرَّ عامان على رحيل القائد الوطني الكبير رمضان عبد الله شلح، الأمين العام الثاني لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، ولا يزال حضوره يأبى الغياب، لاسيما لمن عرفوه عن قُرب ومنهم كاتب هذه السطور، إذ عرفته في محطتين: الأولى بعد عودته من الدراسة في مصر مع رفيق دربه ومعلمه المُفكر الشهيد فتحي الشقاقي، مؤسس حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وكان في هذه المحطة يجوب الوطن من أزقة غزة وحاراتها ومخيماتها إلى باحات المسجد الأقصى المبارك وشوارع القدس العتيقة، مُبشِّراً بصوتٍ آخر للإسلام وفلسطين، والمحطة الثانية بعد ما يزيد على عقدين دار فيهما الزمن دورته، فكان اللقاء في دمشق العروبة والمقاومة أميناً عاماً للجهاد الإسلامي يقود المقاومة من قلب العروبة، ويحتضن فلسطين في قلبه، فكانت محطته الأخيرة قبل أن يُغيبه المرض ثم الموت، ولكنه بقي الغائب الحاضر كما كل العظماء الذين يزرعون بذور حياتهم في تربة شعبهم وأمتهم الطيبة، فتثمر أشجارها الطيبة ثمار الحرية والوحدة.

الوحدة في فكر الراحل الكبير رمضان شلح هي وحدة فلسطين: الأرض والشعب والقضية، أرض فلسطين الكاملة كوحدة إقليمية لا تتجزأ، والتأكيد على وحدة الشعب الفلسطيني بكل مكوناته الدينية والسياسية والثقافية والنضالية، فالشعب الفلسطيني في رؤية رمضان شلح "هو شعب واحد، وقضية واحدة، وهو جزء أصيل وحيوي من الأمة العربية والإسلامية"، بمن فيهم الشعب الفلسطيني داخل فلسطين المحتلة عام 1948م، والشعب الفلسطيني في خارج فلسطين (الشتات)، فجميعهم جزء أصيل من الشعب الفلسطيني ومسيرته الكفاحية.

كما رأى المسيحيين الفلسطينيين "جزءاً لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية، وشركاء في الوطن، قدّموا من أجله تضحيات جسام بجانب إخوانهم المسلمين، برز فيهم القيادات السياسية والكفاحية والرموز والنخب الثقافية والاقتصادية، فكان لهم أثر بالغ وواضح في مسيرة النضال الفلسطيني".

ونادى بالوحدة الوطنية الفلسطينية على قاعدة مقاومة الاحتلال، واعتبرها "الضرورة الأكثر إلحاحاً لمواجهة المخطط الصهيوني، الرامي إلى تحويل الصراع من صراع بين الشعب الفلسطيني والمحتل الإسرائيلي، إلى صراع داخلي بين الفلسطينيين أنفسهم"، ولذلك طالب بتوحيد كل البنادق الفلسطينية ضد الاحتلال، وحل المشاكل الداخلية الفلسطينية بالحوار. وأرسى مفهوماً للشراكة الوطنية يقوم على أساس إرساء العمل الوطني على القواسم المشتركة عملاً بقاعدة "تعزيز ما اتفقنا عليه، والتجاوز حول ما اختلفنا فيه، من أجل حماية الثوابت ومواجهة مشاريع تصفية القضية". والشراكة على أساس "مساهمة جميع الأطر والتنظيمات والفعاليات الفلسطينية في صنع القرار الوطني، وإعادة تأطير المؤسسات الفلسطينية بما يلائم حركة تحرير وطني تُجسد وحدة الأرض والشعب".

بناءً على ذلك، كان خطابه السياسي وطنياً محوره رفض نهج التسوية بعيداً عن تخوين المخالفين أو شيطنة المختلفين، فأمن بأن الاختلاف مع إخوة الوطن مهما كان كبيراً أو عميقاً يبقى في دائرة الخلاف السياسي والفكري الذي يُمكن أن يُحل بالحوار الوطني سياسياً وفكرياً، ليبقى الكل الفلسطيني موحداً في مقاومته للاحتلال.

والوحدة الوطنية في فكر رمضان شلح ليست ترفاً أو خياراً، بل هي واجب وضرورة مصيرية، وشرط وجود لكل الفلسطيني... "الوحدة والحرية وجهان لعملة واحدة"، وهي مرتبطة بمفهوم "الوطنية الفلسطينية" التي حددها بأربعة عناصر، الأول: الهدف، أي ماذا يريد الشعب الفلسطيني وحركته الوطنية؟ فالاتفاق على هدف تحرير فلسطين الكاملة من البحر إلى النهر هو أحد أعمدة الوحدة الوطنية، أما التنازل عن هذا الهدف فهو نقض لأحد هذه الأعمدة. والثاني: الوسيلة للوصول إلى الهدف... المفاوضات أم المقاومة؟ فالتسوية والمفاوضات تُفرّق الشعب الفلسطيني، والثورة والمقاومة توّخّده وتقربّه للهدف. والثالث: المؤسسات الوطنية، فمنظمة التحرير الفلسطينية يُفترض أنها الإطار الجامع لكل الفلسطيني ووعاء الشراكة في القرار الوطني، لكنها أصبحت هي المشكلة بسبب إقصاء الإسلام المقاوم (حماس والجهاد) من المنظمة، أو محاولة احتواء الإسلام المقاوم، والسلطة كإفراز للمنظمة حرفت المسار من الصراع ضد الاحتلال إلى صراع داخلي على السلطة. والرابع: التهديد الإسرائيلي ممثلاً بالاحتلال والاستيطان والتهويد والأسرلة والحصار والتهجير والإبادة... إذ يستهدف العدوان الإسرائيلي الأرض والإنسان والمقدسات، حتى بات التهديد عامل توحيد للشعب الفلسطيني وحركته الوطنية إذا ما تم الاتفاق على العناوين الأخرى: الهدف والوسيلة والمؤسسات.

الوحدة عند رمضان شلح مرتبطة بمفهوم "الجماعة الوطنية" في فكر الجهاد الإسلامي، وهو المفهوم الذي أعاد الانسجام إلى مفاهيم: الوطنية والعروبة والإسلام، وصهرها في بوتقة واحدة هي "الجماعة الوطنية" كجزء من "الأمة العربية والإسلامية"، وجزء من محاولة إنهاء التناقض الوهمي بين دوائر الانتماء الثلاث: الوطنية الفلسطينية، والقومية العربية، والأمة الإسلامية، ولذلك آمن كأمين عام لحركة الجهاد الإسلامي بأن فلسطين قضية العرب والمسلمين الأولى والمركزية، وآمن بالعلاقة الارتباطية بين وحدة الأمة وتحرير فلسطين، وأنّ الدعوة إلى وحدة الأمة جزء جوهري من مشروع تحرير فلسطين، فاعتبر "الوحدة الإسلامية من الأهداف الكبرى في الإسلام، وأن المسلمين في دين الله أمة واحدة، جميعهم إخوة في الإسلام على اختلاف أعراقهم وألسنتهم وألوانهم وأوطانهم ومذاهبهم، ورفض التجزئة ونبذ الفرقة والتنازع، وتحقيق التآلف والوحدة بينهم فريضة شرعية وضرورة حياتية".

وانسجاماً مع هذه الرؤية الوجودية للأمة ورفض موجة تكفير المسلمين التي ابتدعتها المؤمنون بعقيدة الفرقة الناجية الوحيدة، رأى أنه "لا يحق لأي جماعة أو حركة إسلامية الزعم بأنها جماعة المسلمين، بل هي جزء أو جماعة من المسلمين فيها الصواب والخطأ"، ولذلك لم ينسب إلى نفسه وإلى حركته امتلاك الحقيقة المطلقة، فوضع في مقدمة الوثيقة الفكرية للحركة هذا الوعي الذي يرى في الوثيقة اجتهاداً فكرياً متواضعاً في زمن الصراع على الإسلام.

وتأكيداً لوحدة الأمة في إطار هذا الوعي الرفض لهوس التفريق والتكفير قال "إنَّ الشيعة مسلمون تجمعهم بأهل السُّنة رابطة الإسلام، وبينهما خلاف تاريخي حول مسألة الخلافة أو الإمامة، امتد إلى بعض مسائل الاعتقاد والفقه ولكنه لا يُخرج من الملة"، وأنَّ "الصوفية لهم نهج خاص للتربية والعبادة... معيار القبول أو الرفض موافقة كتاب الله وسُنَّة نبيه"، وأنَّ "السلفية مدرسة فكرية لفهم الدين وممارسته على قاعدة الانتساب إلى سلف الأمة الصالح"، وغيرهم من التيارات والمذاهب الإسلامية.

رحم الله المجاهد الكبير رمضان عبد الله شلح.. حاول توحيدنا حياً، ووحدنا بعد رحيله حاضراً فينا رغم الغياب، وحدنا رمزاً وطنياً وعربياً وإسلامياً لوحدة الشعب والأمة، كما كل رموز الوطن الصغير والكبير منذ فجر التاريخ وحتى عمر المختار ويوسف العظمة وعبدالقادر الجزائري... وصولاً إلى عز الدين القسام وعبدالقادر الحسيني وأحمد عبدالعزيز... وحتى ياسر عرفات وأحمد ياسين وفتحي الشقاقي... ورمضان شلح من أولئك الرموز الذين جسّدوا معاني السمو في الغاية والوسيلة، وترجموا قيم الثبات على المواقف والمبادئ، وأكدوا صفات القيادة المتمسكة بالحقوق والأهداف، وحملوا سمات الزعامة المؤمنة بالشعب والنصر... وإضافة إلى كل ذلك، أصبح رمضان شلح هو الاسم الآخر للوحدة... وحدة الشعب والأمة.

الفهرس:

5 تقديم:

الباب الأول: رمضان شلّح وفتحي الشقاقي والجهاد الإسلامي

7 بعيون رمضان شلّح

8 الفصل الأول: رمضان شلّح كما عرف نفسه

8 المبحث الأول: من هو رمضان شلّح؟

10 المبحث الثاني: تأثير فتحي الشقاقي على رمضان شلّح

12 المبحث الثالث: نشأة (الطلائع الإسلامية) برواية رمضان شلّح

13 المبحث الرابع: رمضان شلّح.. الأمين العام لـ (الجهاد الإسلامي)

15 مصادر الفصل الأول (الباب الأول):

16 الفصل الثاني: فتحي الشقاقي بعيون رمضان شلّح

المبحث الأول: فتحي الشقاقي يُشخص مشكلتي الحركتين

16 الإسلامية والوطنية

المبحث الثاني: فتحي الشقاقي يُدشن مشروع الجهاد

18 والمقاومة في فلسطين

19 المبحث الثالث: فتحي الشقاقي.. الإنسان والقائد والمفكر

21 المبحث الرابع: الأعمال الكاملة للمفكر الشهيد فتحي الشقاقي

22 مصادر الفصل الثاني (الباب الأول):

23 الفصل الثالث: الجهاد الإسلامي بعيون رمضان شلّح

23 المبحث الأول: حركة الجهاد الإسلامي "الفكرة والمشروع"

25 المبحث الثاني: حركة الجهاد الإسلامي "النشأة والتطور"



27	المبحث الثالث: حركة الجهاد الإسلامي "ضرورة وإضافة"
28	المبحث الرابع: حركة الجهاد الإسلامي "ميلاد وبرنامج"
29	مصادر الفصل الثالث (الباب الأول):
30	الباب الثاني: فلسطين بين مشروعين
31	الفصل الأول: فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر
31	المبحث الأول: فلسطين قضية الأمة المركزية "لماذا وكيف؟"
33	المبحث الثاني: القدس مركز الصراع الكوني
35	مصادر الفصل الأول (الباب الثاني):
37	الفصل الثاني: فلسطين في المشروع النقيض (إسرائيل)
37	المبحث الأول: إسرائيل ظاهرة يهودية واستعمارية وأمريكية
40	المبحث الثاني: طبيعة ومستقبل الصراع بين المشروعين
43	مصادر الفصل الثاني (الباب الثاني):
44	الفصل الثالث: حسم الصراع بين المشروعين بالجهاد والمقاومة
44	المبحث الأول: الجهاد والمقاومة "قضايا أساسية"
47	المبحث الثاني: الجهاد والمقاومة "قضايا إشكالية"
49	المبحث الثالث: (الانتفاضة) بعيون رمضان شلّح
52	مصادر الفصل الثالث (الباب الثاني):
53	الباب الثالث: حركات وثورات بعيون رمضان شلّح
54	الفصل الأول: رؤية رمضان شلّح للحركة الإسلامية الفلسطينية
54	المبحث الأول: الحركة الإسلامية الفلسطينية "مراجعة ونقد"



56	المبحث الثاني: الحركة الإسلامية الفلسطينية "إضافة وإنجاز"
58	المبحث الثالث: الحركة الإسلامية "أسئلة الهوية والانتها"
60	مصادر الفصل الأول (الباب الثالث):
61	الفصل الثاني: رؤية رمضان شلح للحركة الوطنية الفلسطينية
61	المبحث الأول: "نشأة الحركة الوطنية الفلسطينية" رواية رمضان شلح
63	المبحث الثاني: نقد الحركة الوطنية الفلسطينية
64	المبحث الثالث: فكرة (الجماعة الوطنية) عند رمضان شلح
65	مصادر الفصل الثاني (الباب الثالث):
66	الفصل الثالث: رؤية رمضان شلح لإيران الثورة وحزب الله المقاوم
66	المبحث الأول: مرتكزات الموقف من إيران والحزب والشيعة
67	المبحث الثاني: عوامل الانتصار من وحي ثورة إيران ومقاومة الحزب
69	المبحث الثالث: الثورة الإسلامية في إيران "مفارقات وإضاءات"
71	مصادر الفصل الثالث (الباب الثالث):
72	الباب الرابع: قضايا ومفاهيم في فكر رمضان شلح
73	الفصل الأول: الوحدة في فكر رمضان شلح
73	المبحث الأول: الوحدة الإسلامية
75	المبحث الثاني: الوحدة الوطنية
77	مصادر الفصل الأول (الباب الرابع):
78	الفصل الثاني: العروبة في فكر رمضان شلح
78	المبحث الأول: نقد المشروع القومي العربي
79	المبحث الثاني: العروبة والإسلام



81		مصادر الفصل الثاني (الباب الرابع):
82		الفصل الثالث: الشهادة في فكر رمضان شلّج
82		المبحث الأول: ظاهرة الاستشهاديين والعمليات الاستشهادية
84		المبحث الثاني: قيم ومعاني مستوحاة من الشهادة والشهداء
89		مصادر الفصل الثالث (الباب الرابع):
		الباب الخامس: ومضات فكرية في التاريخ والاقتصاد والسياسة
90		والدين عند رمضان شلّج
91		الفصل الأول: ومضات تاريخية
		المبحث الأول: (بدر) كتاب مفتوح للأجيال
91		تأملات قرآنية في ظلال المعركة
93		المبحث الثاني: الإسلام والغرب.. جدل الصراع في التاريخ والواقع
96		مصادر الفصل الأول (الباب الخامس):
97		الفصل الثاني: ومضات اقتصادية
97		المبحث الأول: قراءة في الاقتصاد السياسي لاتفاق غزة - أريحا
99		المبحث الثاني: تحولات الاقتصاد العالمي "توازنات الثروة والقوة"
102		مصادر الفصل الثاني (الباب الخامس):
103		الفصل الثالث: ومضات دينية وسياسية عند رمضان شلّج
103		المبحث الأول: ومضات دينية تنويرية عند رمضان شلّج
105		المبحث الثاني: ومضات سياسية وطنية عند رمضان شلّج
109		مصادر الفصل الثالث (الباب الخامس):



110	الباب السادس: محمد الفاتح.....
111	الفصل الأول: محمد الفاتح.. قبل الأمانة العامة.....
111	المبحث الأول: مرايا عام 1994م.....
114	المبحث الثاني: مرايا عام 1995م.....
123	الفصل الثاني: محمد الفاتح بعد الأمانة العامة.....
123	المبحث الأول: مرايا عام 1999م.....
127	المبحث الثاني: مرايا بعد عام 1999م.....
131	المبحث الثالث: تعقيب على (مرايا) محمد الفاتح.....
132	مصادر الباب السادس:.....
134	الملاحق.....
	ملحق رقم (1) قراءة في الوثيقة الفكرية للجهاد الإسلامي
134	التي كتبها رمضان شلّح.....
136	ملحق رقم (2) رمضان شلّح "الرمز والفكرة".....
139	ملحق رقم (3) "الوحدة" الاسم الآخر لرمضان شلّح.....



هذا الكتاب

(رمضان شلّح والجهاد الإسلامي).. كتابٌ يجمع بين وجهين لمضمونٍ واحد، فالكتاب يعرض لـ (الجهاد الإسلامي) بقلم وصوت (رمضان شلّح)، ويُقدّم (الجهاد الإسلامي) بفكر وعيون (رمضان شلّح)، كما يعرض ويُقدّم (رمضان شلّح) من خلال علاقته المُتلاصقة بـ (الجهاد الإسلامي) مُنذ تعرفه على مفكرها ومؤسسها وأمينها العام الأول المُعلّم الشهيد والمفكر الدكتور (فتحي الشقاقي) وحتى استشهاده -رحمه الله - ثم وفاة الراحل الكبير الدكتور رمضان شلّح، والعلاقة التي تربطني بالراحل الكبير موضوع هذا الكتاب ليست مجرد علاقة على الورق، بل علاقة في الواقع امتدت على مدى زمني طويل تنقّلت بين عدة محطات، وبدأت منذ عودة فتحي الشقاقي وإخوانه وتلاميذه من مصر في مطلع ومنتصف ثمانينات القرن العشرين وعندما كان رمضان شلّح يجوب قطاع غزة وباحات المسجد الأقصى كادحاً وصادحاً بخيار الإيمان والوعي والثورة، وفُنادياً ومبشراً بكلمة السر الجامعة بين الإسلام وفلسطين والجهاد.. وانتهت بمحطة الأمانة العامة في دمشق قُبيل أن يُبتلى بالمرض ثم مصيبة الموت...

والكتاب مجرد ومضات مما كتبه وقاله رمضان شلّح وليس كله، كما أنه يتضمن أعماله الفكرية والسياسية والأدبية المنشورة فقط، كما أنه لا يتضمن أعماله في قيادة الحركة بجناحيها -السياسي والعسكري - وخاصة العمليات الفدائية والاستشهادية المؤلمة للعدو والمؤثرة في مسيرة النضال الوطني.. والكتاب يتبع أسلوب الاقتباس المباشر بالنص مما كتبه أو قاله شلّح، وكذلك الاقتباس غير المباشر بالمعنى والاختصار والشرح مما كتبه أو قاله شلّح. والمصادر التي اعتمد عليها الكتاب هي (موسوعة الأعمال الكاملة للدكتور رمضان شلّح) المجموعة ورقياً وغير المنشورة وعددها أحد عشر مُجلّداً، وقد قسمت الكتاب إلى ستة أبواب وملاحق، يتفرع منها فصول، والفصول يتفرّع منها مباحث، فبنود وأرقام وحروف.. ومن المُفيد القول أخيراً أن هذا الكتاب (رمضان شلّح والجهاد الإسلامي) قد كُتب وأُعد أثناء حرب الإبادة على غزة ووسط نارها، وما توفيقني إلّا بالله.

د/ وليد القططي